تدبير الخلاص

قصة المصالحة بين الإله والإنسان
من الكتاب المقدس وتاريخ العالم

بقلم

القمص/ أنجيلوس جرجس شنودة

☆ اسـم الكتـاب: تدبير الخلاص – قصة المصالحة بين الإله والإنسان
☆ المـــؤلـــف: **القمص أنجيلوس جرجس شنودة**
☆ **تصميم وطباعة:**
☆ **تجميع وتنسيق** : نانسي القمص
☆ **الطـبـعـــة:** الخامسة منقحة ومزيدة – أكتوبر ٢٠٢٠
☆ **الـنـاشـر:** مكتبة سانت ماري
☆ **رقـم الإيـداع:** ١٠٧٢٩/ ٢٠٠٢
☆ **الترقيم الدولي:** 977-17-0529-6

قداسة البابا المعظم

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مثلث الرحمات

البابا شنودة الثالث

مقدمة
الطبعة الخامسة

سنوات طوال وهذا الكتاب يحمل كرازة خاصة لكل من يريد أن يعرف أهمية الخلاص، وعمل الإله المحب للبشر منذ سقوط الإنسان إلى أن جاء وتجسد وصُلب وقام، وأعطى كل النعم والسلطان للكنيسة. قصة طويلة نحن أحد عناصرها وأبطالها لأنها صُنعت لأجلنا.

وقد كنت طيلة هذه السنوات أزيد على هذ الكتاب بعض الأفكار، ولكن قدمت تدبير الخلاص في برنامج "كنيستي" على قناة مارمرقس وقد أضفت أفكار أخرى، فوجدت أن أضيفها في هذه الطبعة أيضاً. الرب قادر أن يعمل بتلك الكلمات لمجد اسمه القدوس... آمين.

القمص
أنجيلوس جرجس شنودة
٢٠٢٠م

مقدمة
الطبعة الأولى

هذا الكتاب عزيزي القارئ هو ثمرة عمل وصلاة أربع سنوات، تناولت فيه موضوعاً في غاية الأهمية وهو تدبير الخلاص والحياة في الكتاب المقدس منذ عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٥م.

ففي أحد المؤتمرات الدولية كنت أتحدث مع شخصية هامة في كنيسة إحدى الدول فهالني أنه قال لي: "إننا في كنائسنا لم نعد نُعلِّم بالعهد القديم واكتفينا بالعهد الجديد" ...!!!!

ولما سألته بدهشة كيف هذا؟ قال لي: "كيف أُعلِّم به وهو يقول إن الله اختار شعباً خاصاً له وترك باقي العالم، وأنه أمر هذا الشعب أن يقتلوا الشعوب الأخرى ويحاربوها، بل ويغتصبوا أرضها". فقلت له: "أولاً أتؤمن أن هذه الأحداث تمت فعلاً؟" فقال: "نعم أؤمن". وكيف لا يؤمن والتاريخ يؤكد على حدوثها بجانب الآثار التي لا تزال تحفظ الأحداث. فقلت له: "وتؤمن بأن هذا الشعب في العهد القديم صنع هذه الأمور بتدخل من الله، مثل خروجه من مصر وإعالته لهم طيلة أربعين سنة في البرية، ووجوده أمامهم من خلال تابوت العهد، وما صنع لهم في

تاريخ العهد القديم." فقال لي: "نعم أؤمن"، فقلت له: "إذاً أنت تؤمن أن العهد القديم حقيقي وإلهي، ولكنك لا تعرف ما هي مقاصد الله في هذه الأمور!"، فقال لي: "وما هي مقاصده في الحروب والقتل؟"، فقلت له: "أن كل ما تم في العهد القديم يدخل في قصة خلاص الإنسان وهذا يسمى تدبير الخلاص وهو الهدف الأول للكتاب المقدس. فكل ما فيه كان بتدبير رائع للخلاص".

تركته وتساورني هذه الأسئلة وتلك القضايا العقلية. ولما رجعت وجدت أن نفس هذه الأسئلة توَّجه بقوة من الذين ينتقدون الكتاب المقدس والمسيحية.

فكان هذا الكتاب، وهو الثمرة النهائية لعمل الله وتوجيهه لأفكاري في هذه السنوات... لتكتمل هذه الأفكار بأبوابها التي تدور في محورين:

- ☆ **الأول**: إرادة الله وعمله لخلاصنا بعد السقوط.
- ☆ **الثاني**: إرادة البشر واستجابتهم لدعوة الله لخلاصهم.

فهذا الكتاب الذي بين يديك – عزيزي القارئ – يحكي لك قصة محبة الله للإنسان وتمسكه به، منذ أن خلقه حتى خلَّصه، بتجسده وفدائه على الصليب، بدءاً بقصة الخلق والخطية وتعدي الإنسان على وصايا الله، ومروراً بوعود الله في العهد القديم وإتمامه الخلاص على الصليب. وهذه القصة لم تحدث مصادفة أو بطريقة عشوائية للأحداث، بل هي وفق خطة وضعها الله لخلاص الإنسان الذي أحبه منذ البدء وحتى المنتهى.

الله يجعل هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه بصلوات صاحب القداسة البابا الأنبا شنودة الثالث....

القمص
أنجيلوس جرجس شنودة
١٩٩٥م

الفصل الأول

محور القصة ورؤيـة عامة للتدبير

- خلقة الإنسان والسقوط
- تدبير الخلاص في الكتاب المقدس
- التقاء العهد القديم مع اللـه في ظلال السيد المسيح
- وحدة الرؤية في تدبير الخلاص بين القديم والجديد

☆خلقة الإنسان والسقوط

لقد خلق الله الإنسان على شبهه، كما قال في سفر التكوين:

"فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم." (تك ١: ٢٧)

"وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية." (تك ٢: ٧)

وهذا الشبه من حيث الحرية والعقل والقداسة والسلطان والخلود، فوضع فيه من خلال هذا الشبه إمكانيات الحياة معه، فصورته وشبهه جعلت الإنسان كائناً حياً بالله. وقد كان له بهذا الشبه والقداسة السلطان على كل الأرض. وكان الإنسان تاج الخليقة بهذا السلطان. وكانت هذه الصورة تمثل العلاقة والارتباط بين الله وبين الخليقة الجامدة. فقد كان الإنسان المسؤول عنها والمتسلط عليها، وهو عنوان حب الله المعلن في الوجود.

وحينما سقط الإنسان وفقد القداسة، فقد معها الشبه الذي كان يربطه بالله، وبحريته كسر العلاقة التي كانت تعطيه السلطان، وكانت النتيجة هي الموت والضعف والألم والتغرب عن الله.

ولأن الله أحب الإنسان، ولأن الله لا يمكن أن تتغير مشاعره نتيجة حادث أو فعل، فكان لابد أن يعد الله طريقاً آخر يلتقي فيه مع الإنسان ويعيده مرة أخرى إلى الحياة والعلاقة معه، ويرسم فيه شبهه من جديد حتى يمكن أن يسكن الله فيه مرة أخرى.

ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا والإنسان مخلوق حر، ولابد أن يختار بنفسه الطريق الذي رفضه وسقط؟ فلابد أن يختار العلاقة مع الله، وأن يريد بحريته أن يسكن فيه، ويرجع إلى الصورة التي خُلِّق عليها.

لذلك سار تدبير الله لخلاص الإنسان وإنقاذه من الموت جنباً إلى جنب مع إعلاء وتدريب حريته ولفت نظره إلى اختياره الطريق معه، فقد كان لابد أن يحمل الله القضية ويعيد خلقة الإنسان مرة أخرى، ولكن ليس بمعزل عن حرية الإنسان. إذ أصبح للإنسان إرادة خاصة منفصلة عن إرادة الله. فقد لا يريد الإنسان أن يعيش مع الله مرة أخرى. وبالرغم من حتمية الخلاص لكي يحيا إلى الأبد إلا أنه قد يختار الموت بعيداً عن الله وأصبحت المشكلة هي: أن الإنسان لابد أن يخلُص ولكن بحريته.

- وهكذا أصبح الخلاص مرهوناً بإرادتين:

١- **إرادة الله:** لكي يعيد للإنسان حياته وصورته.

٢- **إرادة الإنسان:** في قبول عمل الله لخلاصه، واختياره لوجوده معه بصورة دائمة.

ولأن إرادة الله كائنة دائمة فاعلة (أي ثابتة لا تتغير) فتكون المشكلة في إرادة الإنسان لأنها متغيرة وقد أصبحت فاسدة.

فقد سار تدبير الخلاص بصورة تدريجية في المعرفة والإعداد والإعلان، بل سنرى من قصة الخلاص أن الله كان دائماً يفتح طريقاً يلتقي فيه مع الإنسان ليُعرِّفه بذاته، ويجعله يختار الحياة معه طواعية، ولكن إرادة الإنسان لم تكن دائماً تريد ذلك. وحينما كان الإنسان – بجهله وشره– يرفض هذا الطريق، كان الله يفتح له طريقاً آخر يتناسب مع حالته واختياراته. فينزل الله إلى مستوى فهم الإنسان وجهله واستنارته الضعيفة، لكي يرتفع به تدريجيا ليدرك معنى وجود الله ويختاره عن حب وإيمان. فيعلن له الأعمق فالأكثر عمقاً حتى أعلن له سر الخلاص والتجسد.

فقد كان الله دائماً يفتح طريقاً للإنسان حسب إمكانياته التي يكون فيها، ويعلن له وفق حالته عن كيفية العلاقة معه، ثم يرتفع به من خلال وسائل معينة يهيئ بها فهمه وفكره (مثل الرموز والطقوس والإعلانات) إلى الحالة التي تجعله في علاقة دائمة معه.

ولكننا سنرى أيضاً في قصة الإنسان أنه غالباً كان يواجه عمل الله بضعف وارتداد. فيعود الله من جديد ليغير الطريق ليجد الإنسان حيث هو، وبشتى الطرق يحاول أن يُعرِّفه ذاته ويرشده إلى طريق الخلاص. لذلك سنرى أن الله كان يتنازل ويكلم البشر بنفس اللغة والمفاهيم التي يدركوا بها معنى الرسالة في تلك الحالة، حتى وإن كانت مادية ومشوشة بأفكار ضعيفة.

من أجل هذا سنرى أن قصة الخلق جاءت مختصرة جداً في الكتاب المقدس رغم أنها أخذت من الإعداد والترتيب فترة طويلة، إلا أنها سارت بهدوء وبلا توقف لأنها كانت تسير وفق إرادة الله فقط. ولكن بعد السقوط أصبح للإنسان إرادة أخرى خارج إرادة الله، فاستخدم الله كل الوسائل ليقنع الإنسان الذي خلقه حراً بالحياة معه، وهذا هو موضوع تدبير الخلاص في الكتاب المقدس.

✫ تدبير الخلاص في الكتاب المقدس

فالكتاب المقدس إذاً هو قصة الإنسانية في علاقتها مع الله. فالقصة عبارة عن تقابل مأساوي بين إرادتين متناقضتين، إرادة الله ومحبته للإنسان الذي يريد له الخلاص والحياة، وإرادة الإنسان المحصورة في جهله وعدم معرفته بالله ومعرفة محبته للبشر. فيكون جوابه على إرادة الله بالرفض وعدم الموافقة أحياناً. أو الخضوع لإرادة الله وتدبيره للخلاص. فالقصة بكل فصولها تحتوي على خطة الله لخلاص الإنسان رغم إرادته وجهله.

ومن هذه الصورة يكون الإنسان هو هدف الموضوع، وموضوع الحب، والحب الموضوع في كل خيوط القصة.

لقد ظل الله يدبر آلاف السنين وهو يعد للإنسان الطرق الخلاصية، فمرة يسير في الطريق، وأغلب المرات يرفض، فيفتح له طريقاً آخر يتوافق معه ليقابله فيه. ونرى هذه المراحل وتلك القصة في الكتاب المقدس على مدار السنين، والله ينظر إلى تصرفات الإنسانية بصبر حتى يصل الإنسان بحريته إلى معرفة الآتي:

١. **عمل الخطية وصورة الموت:** فكان لابد أن يفهم الإنسان أن الخطية هي عاره وصورته المشوهة التي تؤدي به إلى الموت، فيتجه بحريته نحو طلب البر والحياة مع الله ليعيش إلى الأبد .

٢. **إمكانية تجسد الله وخلاص البشرية:** وذلك من خلال شعور الإنسان بعجزه عن خلاص نفسه أو إمكانية إعادة الحياة لذاته، أو حتى فهم سبل الحياة بدون الله. فأعد فكرة التجسد بكل الطرق الرمزية والقصصية والكلامية والعلنية. فحينما ظهر لإبراهيم عند باب الخيمة وأكل معه كان يعد أذهاننا لإمكانية ظهوره في الجسد :

"فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه"
(تك ١٨: ١، ٢)

وحينما ظهر لموسى في العليقة وكلمه كان إشارة لإمكانية اتحاد اللاهوت بالناسوت:

"وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق"
(خر ٣: ٢)

وعند تدشين الهيكل ظهر مجد الله لنرى إمكانية حلول مجده على الأرض:

"... ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب" (١مل ٨: ١-١١)

وكان يكلم الأنبياء فماً لأذن ليَعرفوه من خلال كلمته:

"... وإذا بصوت إليه يقول: ما لك ههنا يا إيليا؟..."

(١مل ١٩: ١٣، ١٤)

وفتح آفاق السماء برؤيا لإشعياء النبي ليرى عرشه فيزول من عقولنا استحالة رؤيته والتلاقي به:

" ... وهذا نادى ذاك وقال: قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض..." (إش ٦: ١-١٣)

كان كل هذا ليُعلن عن إمكانية تجسده والتقاء البشرية مع لاهوته في ناسوته، حتى أنه بعد كل الإعداد يكون:

"الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يو ١: ١٤)

أي أن الله الذي هو الكلمة الذي أعد البشرية لاستقباله متجسداً حل في وسطنا كما يقول معلمنا ماربولس الرسول:

"الله، بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة. كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عَمِلَ العالمين" (عب ١: ١، ٢)

ويقول أيضاً ماربولس الرسول موضحاً أن السيد المسيح له المجد هو محور تدبير الخلاص:

"عرفنا بسر مشيئته، حسب مسرته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض، في ذاك" (أف ١: ٩)

لهذا فإن معرفة الله في الكتاب المقدس مرتبطة بصورة كبيرة بمعرفة تدبيراته الخلاصية، حتى أن **القديس أوغسطينوس** يقول: *"إن عرفت التدبيرات فهمت الأسفار"* فبدون أن نعرف تدبير الخلاص يبقى الكتاب المقدس مجرد تاريخ، ولكن حينما نعرف تدبير الخلاص لا يكون الكتاب المقدس تاريخاً لشعب أو حكايات زمنية، ولكنه تاريخ الخلاص الذي يضم وثائق وعهود بين الله والإنسان.

لذلك نحن نتمسك بكل كلمة فيه لأننا من خلاله نعرف الله، ونسمع فيه نبضات حبه لنا والقصة العذبة التي بين العريس وعروسه.

وإن كانت هذه المعاملات خاصة بشعب معين، إلا أنه كان لأجل العالم كله. فقد كانت القصة لابد أن تحدث مع أحد الشعوب حتى يستعلن الله فيهم وبهم (كما سنوضح فيما بعد)، إلا أنه يجب أن تنظر إلى الكتاب المقدس كله على أنه رؤية عامة للخلاص وليس لشعب أو لأشخاص محدودين فهؤلاء الذين نراهم في الكتاب المقدس هم أبطال القصة التي يرويها لنا الله بنفسه لنعرفه ونحبه ونرتبط به. فالكتاب المقدس هو قصة خلاصنا التي تبدأ في سفر التكوين:

"في البدء خلق الله السموات والأرض" (تك ١:١)

وتنتهي في سفر الرؤيا:

"رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة" (رؤ ٢١: ١)

فبين الأرض الأولى والأرض الجديدة يحكي لنا قصة الحياة، وهي تُحكى لنا من خلال أشخاص، وهؤلاء الأشخاص يقودونا إلى الله من خلال كلام الله معهم فالكلام يتجاوز الزمن بدخول الله طرفاً فيه لأن الله غير

زمني، ويرتفع فوق الأشخاص نتيجة تعاملات الله في هذه الصورة لأن معاملات الله لا تتغير.

فالكتاب المقدس بهذا يكون كعلاقة حية صنعها الله بتدبير رائع لينسج منها خيوط حياة الإنسان معه. وحينما نرى الإعلانات والمعاملات والتدبير في الكتاب المقدس نعرفه ونحبه، وهكذا يقول **القديس إيريناؤس**: *"الكتاب المقدس يصادق الإنسان مع الله، والله مع الإنسان"*. وهذا التآلف الذي يكون في الكتاب المقدس لا يكون إلا في ربنا يسوع المسيح له المجد، ففيه تعرف البشرية الله وتتآلف معه.

☆ التقاء العهد القديم مع الله في ظلال السيد المسيح

وحتى على مستوى العهد القديم كانت صورة التقاء الشعب مع الله في ملامح وظل شخص السيد المسيح ورمزية كيانه، فنراه في موسى ويوسف، وفي الوعد والذبائح والطقوس وفي حلول مجده على الخيمة، وفي تابوت العهد. لقد عاش العهد القديم في هذا الكيان الرمزي الممجد، وحينما تجسد الله، أخذت هذه الرموز حياتها وقوتها التي كانت ستبقى بلا قيمة بدونه.

والعهد القديم في صورة تدبير الخلاص يأخذ ثلاثة محاور أساسية هي:

❖ التاريخ ❖ الشريعة والعهد ❖ النبوة

∞ أولاً: التاريخ

وفيه نرى معاملات الله مع الإنسانية في مختلف العصور والحضارات، فنجد عبر التاريخ معاملات الله مع أشخاص يمثلون نماذج حية، نعرف منها إرادة الله وطريق الخلاص. لذلك فالتاريخ في الكتاب المقدس ليس قصصاً منفصلة ولا مجرد حكايات نأخذ منها عبرة فقط، ولكنه تاريخ الإنسانية كلها مع الله في طريق وصول الله للإنسان، وردود أفعال الإنسانية أمام مبادرات الله لخلاصنا. ومن خلال هذا نعرف الله لا من خلال كلمات تقال، ولكن من خلال حياة عاشها آباء على الأرض لنعرف أن طريق الخلاص ليس مجرد وصايا وأحكام وعلامات جامدة، ولكنه طريق ودرب حي عاشه أشخاص وقديسون.

◈ تاريخ العهد القديم حقيقة ورمز لعمل المسيح الخلاصي

وقد كان هذا التاريخ وتلك القصص بمثابة نمو تدريجي في معرفتنا بالله ولطريق الخلاص. لذلك فالأشخاص الذين كتبوه ليسوا مؤرخين، ولكنهم سجلوا هذه القصص من خلال عمل روح الله فيهم. فالوحي

الذي كان يحكم الفكرة كان بمثابة نبرة الراوي المدقق والمفرز لعناصر معينة، يريد أن يلفت نظر السامع لها، حتى تخرج القصة من مجرد قصة إلى مَثل وطريق نرى فيه حياة الخلاص.

والقصة المحورية في تاريخ الخلاص هي: أن الإنسان أصبح مستعبداً في يد قوات الظلمة، وأصبح ليس له حرية الحياة ولا سلطان القداسة وأن الموت هو السيد الذي صار يحصد ثمرة حياة كل إنسان مولود على الأرض مهما كانت حياته أو قوته. وهذا هو العهد القديم، فجاء السيد المسيح له المجد. الله المتجسد ليكسر سلطان العبودية ويعطي الانتصار والقيامة، ويفتح أبواب الحرية لشعبه، وشعبه هذا هو كل من آمن به وأحبه وعرفه واختاره. وأصبح هذا هو العهد الجديد:

"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (يو ١: ١٢)

وعلى هذا المستوى نرى تاريخ العهد القديم هو القسم الأول من القصة ولكنه القسم الذي كان الخلاص فيه مجرد رموز وصور وكانت الحياة فيه مجرد أحلام وآمال. وكان الله فيه محتجب خلف الرموز والكلمات والصور التشبيهية؛ لذلك كان العهد القديم على مستوى رمزي يعكس تاريخاً آخر وحقيقة أخرى، هي حقيقة الحرية التي ستتم

بالمسيح. وكأن الله أراد أن يعد البشرية بمناخ تاريخي كائن في أذهانهم، حتى حينما يأتي هو تكون كل عناصر هوية الشعب معدة لمجيئه وقبوله كمخلص، فجذور القصة مرسومة كرمز، والمحتوى والمعنى كائن في لاوعي البشرية كصورة مطبوعة في قلوبهم واشتياقات محققة في تاريخهم.

وحينما جاء السيد المسيح وفتح آفاق الخلاص وانكشف التاريخ الرمزي في ظل الحقيقة، فهمنا كل الصور التي كانت تحمل ظل الخلاص. هكذا يقول لنا القديس بولس الرسول عن حادثة عبور الشعب للبحر الأحمر (خر ١٤) كتاريخ لرمز وظل لحقيقة المعمودية التي نأخذها في السيد المسيح له المجد:

"فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح"

(١كو ١٠: ١-٤)

وهكذا أيضاً يكشف لنا السيد المسيح له المجد عن المعنى الظلي والرمزي لحادثة تاريخية مثل المن الذي نزل من السماء . ويقدم لنا الحادثة على مستوى الحقيقة التي هي صورة تجسده ونزوله من السماء ، وأننا سنأكله فنحيا للأبد كما قال رب المجد يسوع (يو ٦ : ٤٨- ٥١)

"أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم."

ويكشف لنا السيد المسيح أيضاً عن الحية النحاسية التي أُعطيت لشفاء الشعب في البرية من لدغة الحية :

"فقال الرب لموسى: اصنع لك حية مُحرِقة وضعها على راية، فكل من لدُغ ونظر إليها يحيا"(عد ٢١: ٨)

فكانت هذه رمزاً وظلاً لعمل رب المجد يسوع على الصليب :

"وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرُفع ابن الإنسان" (يو ٣: ١٤)

وفي قصة يونان النبي وجه السيد المسيح أنظارنا إلى المعنى الرمزي للقيامة فيها :

"لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال"

(مت ١٢: ٤٠)

وأمور كثيرة ينكشف المعنى الخاص بصورتها المحددة التي أرادها الله من خلال ارتباطها برمز لحقيقة خلاصية في المسيح. فالتاريخ إذاً كان يعكس التدبير، وتاريخ الشعب والعهد القديم كله كان له معنى ظلي لتاريخ الإنسانية كلها مع الله على مستوى حقيقة الأحداث الخلاصية التي تمت بالمسيح. وأخيراً فإن تاريخ الشعب في العهد القديم يمثل أيضاً رمزاً روحياً لتاريخنا الشخصي مع الله وطريقة حياتنا الروحية معه على مستوى فردي، فإن قصتنا هي إن الله يُعرِّفنا بذاته ويسير معنا في برية التيه ثم يدخلنا إلى أرض الموعد بعد جهاد، ويعطينا الوصايا سنداً في الطريق ونتطهر بالدم ونصير شعبه المقدس وكنيسته المحبوبة، قد نسقط ونقوم ونتوب وهو يقبلنا ويطهرنا ويدعونا كي نثبت فيه، إلى أن يأتي الزمان المنتظر للمجيء الثاني لرب المجد يسوع والحياة الأبدية معه.

لذلك فإننا في رؤيتنا لهذا التاريخ المقدس، والذي يعكس طريق الحياة مع الله، علينا أن ندخل نحن في موضوع التاريخ وخلاصنا الشخصي، وأن نكون نحن في كل شخصياته على مستوى الحياة والطريق فيه.

ثانياً: العهد والشريعة

كلمة عهد هي عنوان القصة الخلاصية، إذ أن كلمة عهد تعني ارتباط. فإن كانت الخطية قد صنعت انفصالاً كنتيجة للشر الذي أصبح في طبيعة الإنسان، فإن الله أراد أن يصنع صورة جديدة يقابل فيها الإنسان ويرتبط به من خلالها، فكان العهد قبل السيد المسيح له المجد في صورة معينة: وهي الوصايا والناموس والذبائح تلك التي كانت تأخذ قوتها من عمل المسيح وذبيحته الكفارية على الصليب التي تمت بعد آلاف السنين من ممارسة الشعب لهذه الصورة، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة التي يعيش فيها الإنسان مع الله قبل أن يتم التجسد ودخول العالم كله إلى أحضان السيد المسيح له المجد. فالحقيقة الخلاصية كانت كائنة في هذا العهد.

والعهد هنا كان للعالم كله وليس لشعب واحد أو لأشخاص معينين ولكن كان شعب إسرائيل هو الوسيط بين الله وباقي الشعوب، كما كان موسى النبي هو الوسيط عن هذا الشعب أمام الله ثم من بعده أصبح الأنبياء والملوك. وكأن هؤلاء هم الذين أُعطي لهم أن يوقعوا على وثيقة العهد التي بين الله والإنسانية، إذ أن العالم كله كان لا يزال قاصراً قصور العقل والرؤية والمعرفة. فلم يكن العالم له استعدادات ذاتية تجعله قادراً أن يقيم هذا العهد بتلك الصورة. فكان بدلاً منه شعب إسرائيل، لذلك كان الله يقول عن إسرائيل "**ابني البكر**" (**خر ٤: ٢٢**) وليس ابني الوحيد، فهو كبكر يكون له حق العهد مع الله عن إخوته وأن يوقع على العهد نيابة عن إخوته أي الشعوب الأخرى.

أما الشريعة فكانت تمثل بنود العهد وطريقة الحياة به وهذا على محورين:

أ- شرائع خلاصية: وهذه كان يقول عنها الله أنها فريضة أبدية، وهي صورة رمزية يعيش فيها الشعب، ولكنها كانت انعكاس لحقيقة أخرى غير مرئية مرتبطة بهذا الرمز، وهي حقيقة ربنا يسوع المسيح له المجد، أي أن هذه الشرائع في حد ذاتها وبدون ارتباطها بالسيد المسيح لا تفيد كقول معلمنا القديس بولس الرسول:

"لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يَرفع خطايا"
(عب ١٠: ٤)

لذا فإنها كانت ذات فائدة لما لها من شبه ورمز لحقيقة خلاصية أخرى مرتبطة بها، فمن خلال هذا الرمز يعيش الشعب في الحقيقة التي لم تحدث بعد، وكأنهم دخلوا في شركة الحقيقة من خلال الرمز كما يقول معلمنا القديس بولس الرسول:

"لأن الناموس، إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة، التي يقدمونها على الدوام، أن يُكمِّل الذين يتقدمون" (عب ١٠: ١)

فقد كان الناموس والشرائع تأخذ قدسيتها وعملها من خلال الحادث الذي سيتم فيما بعد بالسيد المسيح له المجد.

ولعل هنا من يتساءل هل كانت هذه الطقوس مجرد تمثيلية لما سيتم؟ فنقول له: لا، بل لها شركة العمل قبل أن يحدث. وهذا لأن العمل الحقيقي الذي سيتم فيما بعد سيجتازه الله المتجسد بذاته، فدخول اللاهوت المتحد بالناسوت إلى مستوى هذا العمل يجعل لهذا العمل قوة مسبقة على تاريخ حدوثه. ولكن لأن هذا العمل لم يتم باللاهوت فقط بل بالناسوت أيضاً، فكان لابد أن تنتظر البشرية هذا الحادث فعلاً حتى

تأخذه على مستوى الحقيقة التاريخية الملموسة والأبدية. وعلى هذا تكون الإنسانية قد دخلت في شركة خلاصية على مستوى الرمز من خلال دخول شعب إسرائيل في هذا العهد.

وبهذه الممارسات الخلاصية اصطبغ العالم كله بصورة الخلاص، وهذا من خلال صبغة لاهوتية للرمز التي أعدها الله وأتى بها قبل زمان حدوث الحقيقة لاشتراكه في ذات الحقيقة في علاقته مع شعب إسرائيل. ولكن هذا لم يكن كافياً لأنه كان لابد أن تتم نفس الحقيقة على مستوى الفعل. فإذاً العمل سيتم بشركة اللاهوت والناسوت معاً كطبيعة واحدة، ولكن لأن ناسوت السيد المسيح له المجد ليس أزلياً، لذلك كان لابد أن تحيا البشرية منتظرة هذا العمل الذي سيتم في زمان معين ولا تكتفي بصبغة الخلاص التي في الرمز مع شعب إسرائيل والتي بدون حدوث الحقيقة لا يعني الرمز شيئاً.

ب- **شرائع تنظيمية:** وهي خاصة بالمجتمع وتنظيمه وهي كانت تعكس صورة العدل، وقصد الله في رسم ملامح شعبه وسط الشعوب التي لا تعرفه. وأن يأخذ قوانين مدنية من هذه الشعوب قد تخل بصورة وعمل تدبيره للخلاص.

ஐ ثالثاً: النبـــوة

هي الوعود والكلمات التي أرسلها الله إلى إسرائيل ومنها إلى البشرية كلها على فم الأنبياء، لتعطيه ثقة الإيمان بالخلاص وانتظار المسيح، فبدون المسيح تكون كل كلمات الله للأنبياء ووعوده لهم بلا فائدة وبلا قوة ولا تحمل فعل حقيقي.

◈ والنبوات أنواع هي:

١-نبوات خلاصية مسيانية: وهي النبوات الصريحة والمباشرة عن الخلاص بالسيد المسيح له المجد، والتي ترسم صورته وحياته وعمله، وتجعلنا نعرفه حينما نجده من أول وهلة ولا تجعل أحد يشك فيه مثل:

"لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام"
(إش ٩: ٦)

وأيضاً:

"ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٤)

تلك التي تخبرنا عن مجيء السيد المسيح وولادته من العذراء.

وعن صلبه وآلامه يقول إشعياء النبي :

"لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مُصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" (إش ٥٣: ٤-٧)

كما توجد نبوات كثيرة عن قيامته وصعوده.

٢- **نبوات خلاصية تاريخية للشعب:** أي نبوات عن خلاص الشعب من يد الشعوب الأخرى، وقد تمت هذه النبوات فعلاً وإن كان التاريخ اليهودي نفسه يحمل رمزاً لخلاص العالم والإنسانية من الشر، كما قلنا سابقاً.

٣- **نبوات شخصية:** أي نبوات عن أشخاص سيكون لهم دور في تدبير الخلاص، مثل نبوة إشعياء النبي عن كورش ملك فارس الذي أمر برجوع الشعب من السبي.

"هكذا يقول الرب لمسيحه، لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً، وأحقاء ملوك أحل، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تُغلق..." (إش ٤٥: ١-٧)

كما يذكر ملاخي النبي نبوة عن يوحنا المعمدان فيقول:

"هأنذا أُرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي"
(ملا ٣: ١)

٤-نبوات روحية حياتية نتيجة الخلاص: وهي تبين صورة الحياة الخلاصية ومن ينعمون بالخلاص، وصورة الحرية وانهزام الشر مثل نبوة إرميا النبي عن الحياة في العهد الجديد:

" ... وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر...." (إر ٣١: ٣١-٣٤)

☆ وحدة الرؤية في تدبير الخلاص بين القديم والجديد

بعد سقوط الإنسان أصبح عمل الله للإنسان مرتبطاً بالسؤال الذي سأله الله لآدم "**أين أنت؟**" (**تك ٣: ٩**) وهذا يوضح إرادة الله ليُدرك الإنسان أينما هو، وكانت اشتياقات الإنسان إلى الله في سؤالين تقدم بهما موسى النبي إلى الله هما ما اسمك؟ (خر ٣ : ١٣)، و "**أرني مجدك**"(**خر ٣٣: ١٨**).

فقد كانت إجابة الله عن سؤال الإنسان هو قصة العهد القديم، وإجابة الإنسان في شخص السيد المسيح له المجد في العهد الجديد. فالعهد القديم كان كله اشتياقات لرؤية الله والعهد الجديد هو تحقيق هذه الاشتياقات:

"الكلمة صار جسداً وحل بيننا"

(يو ١: ١٤)

لذلك فالكتاب المقدس كله كأنه سؤال واستجابة، اشتياقات وعجز، مرض وموت، ثم شفاء وتكميل حياة. فالعهد القديم يظهر مأساة الإنسان وعجزه، وتحقيق الاشتياقات والشفاء واستكمال صورة الإنسان وإنقاذ الله له يظهر في العهد الجديد. لذلك سنرى في العهد القديم

صوراً تكتمل في العهد الجديد حتى على مستوى الألفاظ والرموز والقصص والتساؤلات.

بل أن هناك وحدة في التقسيم والترتيب الموضوعي في معالجة القضية من العهد القديم والجديد. إذ أن الموضوع واحد، فالغريب أن ترتيب عناصر الموضوع واحد أيضاً في كل وحدة مثلاً:

- **القسم التشريعي في العهد القديم:** أسفار موسى الخمسة، نجد ما يقابلها البشائر الأربعة كعهد جديد وشريعة روحية جديدة.
- **القسم التاريخي في العهد القديم:** من سفر يشوع إلى سفر أستير، الذي يبين رحلة الشعب مع الله في كنيسة العهد القديم، يقابلها سفر أعمال الرسل الذي لـه نفس الموضوع في رحلة كنيسة العهد الجديد مع اللـه على الأرض.
- **القسم التعبيري الشخصي:** من سفر أيوب إلى سفر نشيد الإنشاد يقابله الرسائل في العهد الجديد.
- **القسم النبوي في العهد القديم:** من إشعياء النبي إلى ملاخي النبي يقابله سفر الرؤيا الذي له نفس الصبغة إذ يعبر بنبوات عن مرحلة خلاصية آتية وهي مرحلة ملكوت السموات باختلاف صوره.

بل ويمكننا أن نرى نفس ترتيب هذه العناصر في كل وحدة، وكأننا أمام بناء متناسق على مستوى إجمالية الفكرة وتفصيلاتها، مثلاً يمكننا أن نرى نفس التناسق على مستوى وحدة أسفار الشريعة ووحدة العهد الجديد، فنرى:

- **في سفر التكوين:** مبادئ الحياة مع الله، ونرى نفس الموضوع في البشائر الأربعة.
- **في سفر الخروج:** تكوين شعب الله وكنيسة العهد القديم، وفي أعمال الرسل نرى تكوين شعب الله وكنيسة العهد الجديد.
- **اللاويين:** وهذا السفر يبين العلاقة والصورة الكهنوتية التي للشعب والتي تنطوي على لقاء الشعب مع الله، ونفس المعنى نراه في رسائل بولس الرسول الذي يركز على استكمال الصورة في المسيح، ويبين علاقة الكنيسة مع الله في المسيح.
- **العدد:** وفيه تتابع رحلة الشعب بجهاده ومواقفه المتعددة في طريقه، وفي رسائل الجامعة نرى صورة الكنيسة وشعب الله في طريق حياتهم الجديدة.
- **التثنية:** وفيه يقدم موسى النبي المواعيد المنتظرة وإعلانات آتية، وفي سفر الرؤيا نجد نفس المعنى في المواعيد الأبدية وحياة السماء.

نعم يا عزيزي القارئ إن الكتاب المقدس يحوي ما حققه الكلمة الأزلي في العهد القديم، من وقائع وأحداث تستنير وتظهر صورتها بتجسده في العهد الجديد، وإذ يستعلن التاريخ كحقيقة أبدية وليس حوادث ماضية. فالله ظل يرسل بروحه خطوط النور والمعرفة في العهد القديم، بقصص وصور ورموز، تعبر وترسم طريقاً ظهر ملامحه في المسيح وأدركنا غايته بالتجسد.

لعلني عزيزي القارئ أكون قد قدمت صورة إجمالية لقضية التدبير الإلهي لخلاصنا ورموزه.

تعال الآن لنرى الصورة التفصيلية لخطوات ومراحل تدبير الخلاص كما قال عنها معلمنا ماربولس الرسول:

"إذ عرفنا بسر مشيئته، حسب مسرته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض، في ذاك. الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً، معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته" (أف ١: ٩ -١١)

صلاة

يا أبتي وإلهي...

أنظر إليَّ افحصني جيداً

إن صوت نفسي يزلزلني

أخبرني من أنا؟!

تراب وطين وهباء،

أم نسمة حياة وسماء...

هل لي أن أطلب منك

أن تحتضنني؟!

أم أن سقطتي

صارت شوكاً في صدرك؟!

أي قوة تحركني!

أي ملامح ترسم وجهي!

أي مرض يحرمني من حلم الحياة؟!

والآن صرت أصارع فسادي

أسقط وأنا مستغرب من عنادي...

صرت أحمل تراب فسادي...

لم أعرف كيف أهرب منه

يظل يصرخ في داخلي وينادي

فمن يحمل موتي عني؟!

من يكسر المتاريس ويحررني؟!

من يعيد كياني وينهضني؟!

أيها النور والحق والحياة...

اخلقني من جديد...

وأعد لي الحياة...

آمين...

الفصل الثاني

قـــصـــة الإنســـان

المرحلة الأولى "من بعد السقوط إلى الطوفان"

التدبير الإلهي والقصة البشرية لهذه المرحلة

☆ في البدء خلق الله كل شيء حسن

☆ فساد الإنسان

☆ دم الذبائح غطاء لفساد الإنسان

☆ إرادة الإنسان الفاسدة وفساد الكون

☆ نتائج السقوط

☆ ولكن ماذا عن الإنسانية التي كانت داخل الله وفي فكره الخالد... هل تضيع؟!

☆ رموز المرحلة وظلالها

☆ المعنى الشخصي والحياتي للمرحلة

إن كل خيوط القصة في إجمالها حينما تجتمع، إنما ترسم في تجمعها منظراً رائعاً لتجسد الله وفداء الإنسان الذي أحبه، ففي كل مرحلة من مراحل الخلاص نجد إعلان التجسد والخلاص هو المعنى السري والخفي وراء كل عمل في العهد القديم، والحقيقة التي يصل إليها كل من يلتصق بالله ويعرفه. ولكن إرادة الإنسان كانت هي التي تعرقل ظهور هذه الحقيقة والدخول في فهم أسرارها ومعرفة الله. لهذا كانت فصول القصة الطويلة وتفصيلاتها مؤسفة من جهة الإنسانية. فإن مراحل الخلاص ما هي إلا مراحل تدارك الله للإنسان في طريق جديد يفتحه هو بعد الطريق الذي رفض فيه الإنسان الحياة معه. وتكون المرحلة هي صور جديدة في كيفية إعلانات الله حسب ما يستطيع الإنسان بحالته الراهنة أن يتقبلها ويعيها.

وينقسم تدبير الخلاص المعلن لنا في الكتاب المقدس إلى سبع مراحل. كان التدبير في كل مرحلة يأخذ أدوات جديدة لإعلان الملكوت، ويكشف الخلاص بصورة مرحلية تحتوي الشعب الذي يقدم له الخلاص في هذه المرحلة، ويخدم أيضاً فكرة الخلاص على مستوى عام، أي الخلاص المقدم للبشرية كلها. وحينما تنازل الله إلى مستوى الشعوب في إعلان الخلاص كان يستخدم أدوات معاشة وصور مطبوعة

في أذهانهم ورموز حياتية لا يمكن أن يدركوا الحياة مع الله والخلاص بدونها . فالله استخدم تراث البشر واشتياقاتهم وتصوراتهم وأفكارهم، فأخذ منها ما هو مناسب للاستخدام كي يكون قريباً من ذهنهم، ورفض الأمور التي لا تصلح للخلاص والحياة معه.

لذلك لا يمكننا فهم كلمات الله في العهد القديم أو معرفة قوة الرموز وأعماق التشبيهات بمعزل عن البيئة والتراث المحيط بالشعب والبشر التي استعلنت لهم تدبيرات الخلاص.

❖المرحلة الأولى

من بعد السقوط إلى الطوفان

☆ التدبير الإلهي والقصة البشرية لهذه المرحلة

في البدء خلق الله كل شيء حسن

لقد خلق الله الإنسان كموضوع للحب، ولأن الله محبة، فالمحبة دائماً باحثة عن محبوب. ولم يكن الإنسان مجرد مخلوق أحبه الله، ولكنه رفعه إلى مستوى الشبه والصورة في الكيان ولأنه مخلوق يشبه الله، فقد كان الإنسان عاقلاً حراً، مقدساً له سلطان، خالداً لا يموت. والقداسة التي في الإنسان هي نتيجة ارتباطه بالله كصورة وكشبه. وإذ أن فيه العقل فلابد أن يكون لهذا العقل دور في القداسة ألا وهو حرية الاختيار. والحرية هنا تكون في اختيار الحياة مع الله بالقداسة. فحينما يختار ألا يكون مع الله يفقد القداسة، ويفقد أيضاً شبهه بالله، وفقدان الشبه يجعله لابد أن يموت ويفقده أيضاً الخلود، إذ أن الحياة لا يمكن أن توجد خارج الله. لذلك فحينما يختار أن يفقد القداسة يفقد الشبه ويفقد إمكانية الوجود في الله، وبهذا يفقد قوة كيانه المخلوق عليه إذ أن الله لا يمكن أن يكون مرتبطاً بما هو غير مقدس، فالقانون الذي أعلنه

الله للإنسان هو حينما يفقد الإنسان الوجود مع الله سيفقد أيضاً كيانه الذي خلقه الله.

من أجل هذا كانت الوصية هي طريقة الإعلان لكسر العلاقة مع الله ورفض الحياة معه، **"لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت"** (تك ٢: ١٧) فالأكل من الثمرة فعل مادي لعمل العصيان. وكان العامل الذي جعل الإنسان يختار أن يكسر العلاقة، هو أنه أراد أن يكون مثل الله... كيان خارج عنه... مثله. ولم يثق في أنه خارج الله لا يوجد سوى الموت، وكان كلام الشرير الذي صدقه الإنسان: **"لن تموتا.... تكونان كالله"** (تك ٣: ٤،٥).

ولكن لماذا اختار الله أن يأكل الإنسان ليعبر عن العصيان والانفصال عنه؟ هذا لأن الأكل هو كيان خارجي يتحول إلى طبيعة خاصة للإنسان. فالإنسان حينما يأكل الشيء فهذا الشيء يتحول إلى كيانه، فكانت الشجرة هي الصورة التي بها الإنسان يأكل شيء تغير بها كيانه وطبيعته. وكانت الحرية والوصية هي أن الإنسان سيأكل ويدخله هذا الكيان الجديد الذي به يكسر الإنسان الشبه. وهذا ما اختاره الإنسان أن يفقد العلاقة والشبه والفردوس معلناً عصيانه بالأكل.

وواجه الإنسان الحالة الجديدة فقبل السقوط كان يحمل كيان النعمة والبر والقداسة وبعد الأكل صار الإنسان يشعر أنه عريان. والعرى صار علامة على أنه شعر بأن هناك تغير حدث في كيانه الداخلي. وهذه نتيجة الانفصال عن الله وأصبح بعد ذلك أيضاً أن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح لم تعد متناسقة مع النفس. وهذا ما جعل الإنسان يخاف ويهرب من وجه الرب.

فساد الإنسان

وسقط الإنسان وكسر العلاقة مع الله، إذ أراد أن يكون مكتفياً بذاته خارجاً عن طاعة الله، وهنا نادى الله على الإنسان **"أين أنت؟" (تك ٣: ٩)**. ولم يكن الإنسان مستعداً لمجاوبة الله عن حقيقة ما هو فيه، والحال الذي وصل إليه. فتحجج بالغواية وبالمرأة، متمرداً على أنه خلق له المرأة وأنها هي السبب، وكان هذا استكمالاً لصورة الخروج عن طاعة الله.

فالإنسان أصبح له عيون تنظر إلى الله بتمرد العبد، أكثر مما ينظر إليه بطاعة الابن.

وأصبح الإنسان هارباً بإرادته غير المطيعة من وجه الرب حاملاً كل صور العصيان عبر تاريخ البشرية. وأصبحت العلاقة معه علاقة غربة وخوف، فبعد ما كان الله يُدخل الإنسان إلى سر الوجود لكي يعلن له عن شركة سلطانه ومحبته الأبدية، أصبح الإنسان بلا سلطان ولا خلود ولا حرية.

ولكن لأن هدف خلقة الإنسان هو الحب، فقد كان لابد أن تجد المحبة طريقاً أخر يحتوي فيه الإنسان بلا موت ولا ضياع، مع الاحتفاظ بحق العدل الإلهي لقانون حرية الإنسان وحكم الموت الواقع عليه. لذلك كان الحب هو الوعد بالخلاص (**تك ٣: ١٥**): **"وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه"**. إلا أن هذا الوعد كان مبهماً وغير واضح.

وقد كان السؤال المباشر بعد السقوط **"أين أنت؟"** إعلاناً عن حالة الجرم ووضع العصيان أمام الله. فلم يستطع الإنسان أن يتراءى أمام الله، إذ أن بطبيعته الفاسدة شعر بأنه عريان. والحقيقة أنه كان شعوراً داخلياً. لم يكن الإنسان يعرف حقيقة صورته بعد الخطية، لأن هذه الأمور كانت جديدة عليه. لكنه شعر بأن هناك تغيراً حدث لم يستطع بصورته الجديدة أن يقف أمام الله. بل خاف وأختبأ وقال: **"سمعت**

صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت" (تك ٣: ١٠)، وبهذا صار الإنسان يحمل حكم الموت.

ولكن نسمع أحياناً من يقول ولماذا لم يقبل الرب توبة آدم ويغفر له بدلاً من قصة الفداء والدم؟ **فلابد أن ندرك الآتي:**

أولاً: كلمات الله هي القانون الذي به خلق الرب الكون والحياة، بل كلماته التي تخرج منه لابد أن تكون فاعلة فحينما يريد يتم، فحينما يقول موتاً تموت فلابد أن يموت، فصار الموت له صفة حتمية الفعل.

ثانياً: الإنسان خرج من الحياة فأصبح يعمل فيه الموت، وأصبح فاسداً بطبيعة مشوهة وفاقدة قوة الحياة الحقيقية بالرب.

ثالثاً: نتيجة هذا صار الإنسان تحت سلطان إبليس، الذي يحمل سلطان الشر نفسه، فكان لابد أن الإنسان يموت إذ أصبح تحت سلطان الموت والفساد والشر.

ويبقى السؤال هل سيترك الرب الإنسان يواجه مصيره وموته وفساده؟! هذا أيضاً مستحيل أن يحدث وهذا للآتي:

أولاً: إن الإنسان صنعة يد الله، وأن الله أراد أن يصنع ابن يشبهه فكيف يفشل؟! وبالرغم من أنه حر إلا أن الرب كان يعرف منذ خلقته حراً إنه يمكن أن يحدث هذا، فكيف يخلقه حراً وهناك إمكانية للسقوط ولا يدبر أيضاً حلاً لهذه القضية.

ثانياً: الله أحب الإنسان، فلأجل الحب لا يمكن أن يتركه يموت. ولكن ما هو الحل والقضية أصبحت لها حتمية الموت وحتمية الحل الإلهي.

وكيف يتم التوافق بين أن يموت الإنسان ويحمل حكم الموت، وبين أن الإنسان لا يموت لأن الله يحبه وإنه لا يمكن أن يترك من يحمل شبهه يصير تراباً وتحت سلطان إبليس.

وأصبحت القضية تحمل متناقضين لابد أن يموت الإنسان الذي أصبحت طبيعته فاسدة، الذي أختار بإرادته ألا يكون هناك شبه بينه وبين الرب وبهذا ينتهي معنى وجوده، وتدبير الله في أنه يملك ويحيا معه إلى الأبد. والنقيض الأخر هو أن الإله الذي أحب والذي أراد أن الإنسان يحيا معه ولأنه أحبه أيضاً فلا يمكن أن يتركه يموت.

وكان الحل الوحيد هو أن يأتي شخص يتمم الله فيه حكم الموت نيابة عن الطبيعة البشرية كلها، ولا يظن أحد أن الله كان من الممكن أن تكون رحمته أعظم من عدله أو العكس لأن صفات الرب مطلقة وغير متعارضة لذلك كان لابد أن يكون هناك من ينفذ فيه العدل وبه أيضاً يتمم الرحمة والحب.

ولكن كان هناك قضية أخرى غير العدل والرحمة فالإنسان لم يعد فقط يحمل حكم الموت ولكنه أيضاً صارت له طبيعة فاسدة. فيقول معلمنا بولس الرسول:

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢)

"لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح" (رو ٥: ١٧-١٩)

◈ البدلية العقابية هي الحل الخلاصي

أولاً: يحمل صفة المصدر

الطبيعة الإنسانية كلها من مصدرها الأصلي صارت فاسدة وانتقل الفساد وحكم الموت إلى كل البشرية، لذلك لابد أن من يحمل حكم الموت نيابة عن البشرية أن يكون مساوياً للمصدر، أي أن يساوي كل الإنسانية، أي يحملها عن كل البشر لأن الموت دخل إلى الجميع.

ثانياً: يكون باراً وبلا خطية

فآدم مصدر ولكنه خاطئ ويحمل طبيعة فاسدة، ولا يمكن أن يخلق الرب طبيعة أخرى ينفذ فيها حكم الموت لأن الموت كان على البشرية في آدم وحواء. فكان لابد من يحمل قضية الموت نيابة عن كل البشر أن يكون من الطبيعة الإنسانية ولكنه بار بلا خطية حتى لا يموت بخطيئة نفسه.

ثالثاً: يكون غير محدود زمنياً وكيانياً

لأنه إذا كان له كيان محدود فحينما يموت سيموت عن شخص واحد فقط، ولكننا محتاجين أن من يموت يكون نائباً عن كل البشر، ويكون قادراً أن يفدي من بعده ومن قبله أي يكون فوق الزمن. كما قال معلمنا بولس الرسول:

"ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض، في ذاك" (أف ١: ١٠)

رابعاً: تكون له الحياة في نفسه

أي أن تكون الحياة ذاتية حتى لا يمسكه الموت، أو لا يستطيع أن يعطي الحياة، لأن جميع البشر تسلل لهم الموت وصار الموت حكماً حتمياً. فمن يموت نائباً عن البشر لابد أن يعطي الحياة أيضاً بعد الموت.

خامساً: أن يكون له سلطان على إبليس

لأن إبليس صار يمتلك كل البشرية بفعل الشر الذي صار فيه الإنسان فيقول معلمنا بولس الرسول:

"الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كو ١: ١٣)

إذن فنحن نريد إنساناً ولكن بإمكانيات الإله، هذا لا يمكن أن يحدث لأن هذا يعني أن يصير هناك إلهين أحدهما بالطبيعة والأخر بالإمكانية، فيقول في سفر إشعياء:

"مجدي لا أعطيه لآخر" (إش ٤٢: ٨)

فكان لابد أن الله بذاته يرتضي أن يتحد بالطبيعة أي أن يصير طبيعة واحدة من طبيعتين متحدتين في شخصه المبارك. وكان هذا يعني تنازل واتضاع وحب حتى يتم الفداء وتحل قضية الموت.

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له حياة أبدية" (يو ٣: ١٦)

ومن هنا أصبح الملكوت هو أن الله سيأتي ليملك على الإنسان بالفداء بذبيحة ذاته، كما قال معلمنا بولس الرسول:

"يصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب" (أف ٢: ١٦)

فقد كان لابد أن ينزل السيد المسيح على الأرض ويقدم نفسه وذاته على الصليب فداءً لكل البشرية، ثم يقوم من الأموات، ثم يفتح أحضانه، ويعطي كل من يريد أن يحيا معه أن يدخل إليه عن طريق كنيسته التي وضع فيها أسرار الاتحاد به والخلاص لكل من يؤمن به فيأتي ويتكئ في حضنه ليولد من جديد بالمعمودية، ويتحد به في الإفخارستيا، ويأخذ روحه القدوس بالميرون، وهذه هي الكنيسة.

ولكن كيف يتم كل هذا والبشرية في حالة جهل وعتامة وضعف وفساد؟ لذلك أحتاج الإنسان فترة ما بين الفردوس وكنيسة العهد الجديد وكانت هذه الفترة هي كنيسة العهد القديم، فيها يتم الإعداد للخلاص بالوعود والأحداث والرموز، فقد كان الرب في هذه المرحلة يعد خلاصاً لكل البشرية. وكانت لابد أن تدرك البشرية إنه لا خلاص إلا بالفداء بذبيحة دم العهد .

∞ دم الذبائح غطاء لفساد الإنسان

ولأن الله قدوس فقد كان لابد أن يتراءى الإنسان في صورة حياة نقية أمام الله حتى يقيم معه علاقة. وهذا ليس كائناً في طبيعته التي فسدت. إذاً لا مفر من أن يقف أمام الله مستتراً في حياة أخرى نقية. ولكن أي حياة نقية سيدخل من خلالها؟ ولم توجد في الكون حياة أخرى مع الإنسان إلا في الحيوانات والطيور والأسماك! وهل يمكن أن تكون حياة الحيوان هي التي تغطي فساد الإنسان؟ نعم يمكن، ولكن بصورة مؤقتة إذ أن الحيوان غير خالد ، إذاً كان لابد أن تكون الصورة المؤقتة للعلاقة هي: أنه كلما أراد الإنسان أن يتراءى أمام الله، يأخذ حيواناً ويذبحه ويدخل في غطاء دمه أمامه، إذ أن حياة الحيوان في دمه،

فيمكن للإنسان أن يدخل مستتراً بدم الحيوان، هكذا يقول الله في سفر اللاويين:

"لأن نفس الجسد في الدم، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفس" (لا ١٧: ١١)

ولكنه كان غطاءً فقط وليس حلاً دائماً، فلم يكن لدم الحيوان إمكانية فداء حقيقي للإنسان وتدبيراً لرجوعه مرة أخرى إلى الله. أو أن يكون له إمكانية تغيير طبيعته المفقودة بعد الخطية. ولكنه فقط صنع إمكانية لاستمرار العلاقة مع الله من خلال هذه الصورة المؤقتة، التي كانت تشير وترمز أيضاً إلى تقديم حياة بدلاً عن الخطاة وتؤهل الإنسان لانتظار الذبيحة التي ستغطي البشرية كلها وتصنع الفداء والكفارة فيما بعد، إذ به ندخل إلى السموات.

"فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماتاً في الجسد ولكن محيي في الروح" (١بط ٣: ١٨)

لذلك صنع الله لهم الذبيحة كصورة ومثال للعلاقة الجديدة معه كما ذكر في سفر التكوين:

"وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما"
(تك ٣: ٢١)

ومن هنا دخلت البشرية في مرحلة الرموز التي تحمل عملاً مؤقتاً، يأخذ حقيقته من عمل لاهوتي قادم قادر أن يعيد الحياة للإنسان من جديد. ولكن قد واجه الرب أيضاً حالة الفساد في كل نواحي حياة البشر، وهذا ما استغرق كثيراً من التدبير والإعداد للخلاص.

إرادة الإنسان الفاسدة وفساد الكون

وقبل السقوط كان الله يملك على كل أمور الكون والحياة والإنسان، وكانت تسير الحياة بطبيعته الخيرة، ولكن حينما سقط الإنسان وأعلن أن إرادته ضد إرادة الله فتشوه ملكوت الله على مستوى الطبيعة المادية، كما قال معلمنا مار بولس الرسول في رسالته لأهل رومية:

"فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا. لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أُخضعت الخليقة للبُطل- ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها- على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح،

نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا، متوقعين التبني فداء أجسادنا".

(رو ٨: ١٨-٢٣)

وحتى يرجع الملكوت من جديد كان لابد أن يُخضِع الإنسان إرادته الشريرة لتكون وفق إرادة الله، وكان هذا هو سر تعطيل خلاص الإنسان في أزمنة كثيرة. فالملكوت يكون حادثاً حينما يريد الإنسان أن يعمل إرادة الله فيظهر الملكوت. وكان عمل الله في تدبير حياة الملكوت هو أن يهيئ إرادة الإنسان من جديد بحرية لاختيار الحياة معه وفق إرادته.

وقد خرج الإنسان بعصيانه وإرادته الحرة من الملكوت وهو يحمل وعداً بإعادته مرة أخرى بالمخلص الذي يأتي من نسل المرأة الذي يُعيد الملكوت من جديد، إذ قدم السيد المسيح له المجد ذاته للإنسانية، وإذ هو الإله المتجسد. لكنه صنع في ذاته كل ما يجب أن يصنعه الإنسان المخلوق حسب إرادته من إخلاء للإرادة والمشيئة لطاعة الآب وتتميم مقاصده في ناموس الحياة بحرية كاملة، ومحبة مطلقة حتى الموت.

"الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ

وُجِدِ في الهيئة كإنسان، وَضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (في ٢: ٦-٨)

وبذلك يكون قد أخضع ذاته نيابة عن البشر ليستعلن الملكوت من جديد فيه ويثبت به، إذ أن فيه تم كل طاعة لاستعلان الملكوت. ولا يكون الملكوت الجديد فيما بعد خاضع لإرادة بشرية كي يستمر الملكوت كما حدث في قصة الخلاص قبل المسيح.

ونعود إلى الإنسانية اليائسة والبائسة التي أدركت بعد السقوط والطرد من أمام وجه الرب إنها قد صارت تحيا في صورة وطبيعة فاسدة.

نتائج السقوط

ويوماً بعد يوم والإنسان يكتشف نتائج خروجه من دائرة الخير المطلق والحياة المقدسة فنرى في سفر التكوين الأصحاح الرابع صورة العنف والشر، فالإنسان أصبح يكره ويقتل ويحقد. وإجمالاً فقد تغير شكل الإنسان عما قد صنعه الله، فنرى في قايين البشرية التي تطورت إرادتها نحو الشر بصورة كبيرة حتى أنها صارت غريبة تماماً عن الله. فصورة الشر الكائن في قايين ليس هو من صنع الله.

لذلك كان لابد أن يتدخل الله ليحفظ الخلاص بصورة أخرى. فأعطى لآدم ابناً آخر أسماه "شيث" ومنه جاء "أنوش" أي إنسان. وكأن الإنسانية ستُكمل صورتها من خلال هذا النسل الجديد وفيه سيُكمل الله خطة الخلاص. وأصبح الملكوت أي الحياة مع الله ملكوتاً عائلياً، أي يسلم من أب لابنه وحسب صورة العائلة واختيار طريقة الحياة حسب إرادتها الحرة، إذ أن هناك عائلات أخرى لم تخضع للملكوت وهم أبناء قايين.

ويأتي الأصحاح الخامس ليُعلن لنا عن صورة الموت، الجرح الذي صارت البشرية تنزف منه حياتها ووجودها ولم يلتئم هذا الجرح مهما طال عمر الإنسان، ومهما كانت قوته؛ لذلك يؤكد هذا الأصحاح بعد ذكر كل شخص وسنوات عمره أنه مات.

ونأتي إلى أقصى تطور لصورة الشر التي يوضحها لنا سفر التكوين في الأصحاح السادس:

"ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض" (تك ٦: ٥،٦)

فالإنسان قد يتطور الشر فيه لدرجة أن جعله يحيا الفساد بكل صوره، فالفساد أصبح في كل شئ. فحتى أبناء أنوش قد انضموا لأبناء قايين فقال الله:

"أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" (تك ٦: ٢)

وهؤلاء قد فرضوا صورة الإنسانية الفاسدة على وجه الأرض وكان حكم الله هو:

"لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه، هو بشر" (تك ٦: ٣)

أي أن الإنسان قد فقد كل إمكانية الخضوع لعمل الله الخلاصي ولم تعد هذه الإنسانية فيها أي أمل للحياة مع الله أو إصلاح ما هو فاسد فيها، لذلك قال تلك الكلمات والأحكام إنه رأى كل ما فيه شر، وحزن إنه عمل هذا الكائن الشرير بل رآه بشر فقط، وكلمة بشر في معناها العبري جسد فقط، أي أن روحه قد ماتت، فالروح التي لم تتأثر بأعمال الله وكلماته تنتهي وتموت. ويوصف هذا بقوله في الكتاب المقدس:

"ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه" (تك ٦: ٥،٦)

أي أن الله قد رأى أن الإنسان قد أصبح بالكامل للشر والفساد ولذلك حزن وتأسف. كأنه أعلن أن الإنسان بإرادته قد خرج تماماً من الصورة التي خلقه الله عليها، فلم يعد هذا هو الإنسان صاحب الصورة والشبه مع الله، بل بإرادته شوه كل شيء وأصبح الموت يحكم كل ما فيه. ولم يعد ممكناً رجوعه إلى طريق الخلاص والدخول في دائرة الحياة من جديد.

وكان الرب يتعامل مع البشر بإمكانياتهم الجديدة لذلك كان أحياناً يتنازل إلى صورة إدراكهم وطريقة تفكيرهم، لذلك نرى الوحي يقول: "وندم الرب". ويقول البعض إن إله العهد القديم ليس إلهاً كاملاً فيقول **مصطفى محمود**: "نرى الله يفعل الفعل ثم يندم عليه وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئاً ولا يعرف ما يخبئه الغيب".

لابد أن نفهم أن في علم اللاهوت هناك ما يسمى بـ"أنثروبومورفيزم" أي تشبيه الله بالصور الإنسانية، وهو لأننا لا نستطيع أن ندرك صفات الله وأفكاره فنصف ما يفكر فيه الله وما يفعله

بصفات إنسانية نستطيع نحن أن ندركها ، فهذا تشبيه بشري إنساني حتى نستطيع أن ندرك به ما يعمله الله بصورة غير مدركة.

✍ ولكن ماذا عن الإنسانية التي كانت داخل الله وفي فكره الخالد... هل تضيع؟!

فكان الحل الوحيد لإنقاذ البشرية، هو أن ينتظر الله رجلاً وعائلة يمكنها أن تحمل قضية الخلاص الذي يريده الله ولاستمرار حياة الإنسان أمامه، تكون فيها إرادة حرة للحياة مع الله. لذلك انتظر الله أجيالاً وأجيالاً إلى أن وجد نوح البار الذي قال عنه:

"وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب ... كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله" (تك ٦: ٩،٨)

وأصبح الحل هو أن يجدد الله البشرية في صورة نوح، فيكون العالم والبشرية التي ستخلص هم نوح وأولاده، وأما باقي الموجودين فقد تغيرت صورتهم عما قد خلقهم، بل صاروا أشياء بلا وجود، حينما تخلوا عن صورة الوجود الخالد مع الله. لذلك يقول عنهم الكتاب المقدس:

"وفسدت الأرض أمام الله (أي ماتت)... ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض" (تك ٦: ١١، ١٢)

فالأرض كلها أصبحت صورتها فاسدة لأن الإنسان قد حولها إلى قبر كبير بموته واستخدمها في خطيته فتلوثت معه.

ولأن كل البشر قد أصبح طريقهم إلى الفساد أي إلى الموت ولا يوجد أحد له طريق إلى الحياة والخلود. لذلك قال الله لنوح:

"نهاية كل بشر قد أتت أمامي ... فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأُهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت ولكن أُقيم عهدي معك" (تك ٦: ١٣، ١٧، ١٨)

فالله أراد أن يُزيل صورة الإنسانية المبتلعة في الفساد، وأن يجعل هناك إمكانية للحياة الجديدة له من خلال عائلة نوح البار الذي يحفظ صورة الإنسان الذي سيخلص، والذي يريد الحياة مع الله. وتكون هذه هي صورة الإنسانية التي لأجلها سيأتي الله ويخلصهم لأنه إذا كانت الأرض كلها لا تريد الحياة مع الله فإن عملية الخلاص كانت ستقف. لأنه كما قلنا سلفاً أن الخلاص مرهون بإرادتين، إرادة الله وهذه لا تتغير وإرادة الإنسان وهنا دائماً المشكلة. لذلك قال الله لنوح:

"وأُقيم عهدي معك" (تك ٦: ١٨)

أي أن عهد الخلاص للبشرية ستكون ممثلاً فيه أمامي عن البشر... وقد يشعر أحد بقساوة الله حينما أباد هذه البشرية التي فسدت أمامه، وأنه لم يُشفق على هؤلاء البشر.

ولكن مهلاً يا عزيزي...

فإن طريقهم الذي اختاروه هو الموت، فهل سيكون لهم حياة أبدية ممجدة بعد حياتهم على الأرض؟! بالطبع لا... لأنهم اختاروا الفساد وأحبوا الموت، لذلك فقد تجردوا من صورة الحياة الروحية التي تخضع لعمل الله وتعطي الحياة الأبدية الممجدة للإنسان، لذلك فهم وحسب تعبير الكتاب أصبحوا أمام الله أجساداً تسكنها أرواح شريرة لأنهم صاروا مساقين لإرادة إبليس.

نعم لقد تجردت هذه البشرية من صورة الإنسان الخالد ليشابهوا موت الحيوان، ومع أن الحيوان يفنى تماماً بموته، ولأن الإنسان الشرير له الحياة بعد الموت ولكنها حياة بلا معنى إذ أنها خارج الله وفي أبدية العذاب أي لا يكون هناك إمكانية للخلاص. فهل يمكن أن يشفق الله

على جنود إبليس الذين أفسدوا خلقته وبإرادتهم اختاروا الموت؟! فهؤلاء كانت أيامهم محدودة لأنهم أشرار وليس لهم حياة أخرى أبدية.

لذلك يكون موتهم اليوم أو الغد لا يهم. ولكن الله أراد أن يفني تلك الصورة حتى يكون هناك أمل في تجديد الإنسانية حينما وجد نوح، لأنه لو ترك الله هؤلاء مع نوح وأولاده، قد يتمكنوا من إغوائهم أو قتلهم لأنهم لم يشابهوهم وتضيع على الإنسانية صورة الحياة مع الله. أو قد تغطي وجه الأرض صورة الظلم والفساد، وتكون صورة الحياة مع الله مجرد رائحة نادرة ولم تستعلن لأحد حتى يمكن للخلاص أن يتم؛ لذلك كان الحل الوحيد لكي يضمن الله استمرارية الإنسان في طريق خلاصه، هو التجديد بالطوفان والإبقاء على البشرية في صورة نوح وأولاده.

ونجد في الإصحاح السابع من سفر التكوين الوثيقة الوحيدة التي نفهم بها ما تم، إلا إن العلماء وجدوا تحليلات جيولوجية لطبقات الأرض تؤكد فكرة الطوفان أنه حدث شرخ في طبقات الأرض، وحدث اختلال في الطبقات والتي تُظهر لنا أنه حدث هذا الطوفان العظيم.

فالله سيأخذ نوح وأولاده كخليقة جديدة، وحتى يكون كل شيء جديد قال له الله خذ من كل الخليقة وأدخلها إلى الفلك كأنه سيبدأ من جديد خليقة جديدة، ويجدد الأرض بالماء الذي هو رمز المعمودية، رمز الكنيسة التي من خلالها بينما العالم في الخارج في فساد ولكن أولاد الله يدخلون إلى الكنيسة فيجدوا المرعى والراعي الذي يرعاهم إلى طريق الخلاص. وكان من المفترض أن الإنسانية تعي وتدرك أنها أصبحت إنسانية جديدة ولكن هذا لم يحدث.

رموز المرحلة وظلالها

ومنذ أن سقط الإنسان وهو قد أدرك أن هناك معنى رمزي وظلي للأمور الآتية:

١- الشجرة التي تعطي الحياة لمن يأكلها

وهذا الرمز يأخذ أشكالاً من مرحلة إلى مرحلة، إلى أن تتحقق صورته في السيد المسيح، حينما أعطانا جسده ودمه للأكل، ثم يكشف لنا سفر الرؤيا عن نفس الشجرة الكائنة للحياة الأبدية والتي تعني الحياة بالمسيح حينما قال:

"من يغلب فسأُعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله" (رؤ ٢: ٧)

٢ـ الذبيحة

وتلك التي صارت في ذهن البشرية كعمل للتقرب أمام وجه الله، فمهما اختلفت الديانات على مستوى العالم كله قبل المسيح، فالذبيحة كانت هي القاسم المشترك للعبادات كلها، وهذا يؤكد أن البشرية حفظت هذه الصورة من الإنسان الأول آدم وأولاده.

٣ـ الفلك

فالموت كان في الخارج، ولكن كان كل مَنْ في الداخل محفوظين، وهذه صارت فيما بعد رمزاً للكنيسة، والمياه التي غسلت الأرض من فساد الشر هي مياه المعمودية التي تُخلِّص الذين يدخلون فيها فتتجدد طبيعتهم بالمسيح له المجد.

المعنى الشخصي والحياتي للمرحلة

وهذه المرحلة من طريق الخلاص الشخصي لكل منا، هي المرحلة التي نُدرك فيها أننا قد تجاوزنا صورة البراءة الروحية، ونرى أن نفوسنا قد شوهتها أشواك الخطية، وأننا نحتاج إلى طوفان يغرق كل ما فينا من عالم

شرير لا يريده الله... وأننا نحتاج إلى إماتة هذا الإنسان الذي أصبح له إرادة شريرة يفرضها على إرادة الخير والحب والحياة الطاهرة مع الله، فإذا ما رأى الله أنه يوجد في داخلنا نوح البار فإنه سيُقيم عهداً جديداً معنا، بعد أن نسمح له بأن يُميت كل ما فينا من صورة شر العالم وفساد إبليس... وأما الخوف كل الخوف لو أنه فتش ولم يجد في داخلنا نوح البار. فتكون كل الطبيعة أمامه شريرة وبلا إرادة للخلاص.

لذلك يا صاحبي...

حاول أن تُبقي على ملامح داخلية فيك

تُعلن عن وجود إرادة للحياة معه،

حاول أن تمسك بنوح نفسك الذي

لأجله سيُخلصك الله

من طوفان الموت، وقانون الفناء

فها هو مستعد أن يُقيم عهداً جديداً

مع صورة الإنسان المحبوب لديه

✍ صلاة:

هل يمكن أن أكلمك بعد سقوطي؟!

هل يمكن أن ترى وجهي وتسمع صوتي؟!

فأنا لم أعد أحمل شبهك...

لم تعد حياتي تعلن عن حبك...

لقد جرحت ذاتي وصورتك...

لقد شوهت جمالي وأهنتك...

والآن ليس لي إلا دموعي لترحمني...

ليس لي إلا دمك ليسترني...

ولكن ويا للحيرة ...

هل أطلب منك أن تُصلب عني؟!!

أن تهان وتذوق الآلام بدلاً مني!!

إنني أحبك ولكنني...

هل يمكن أن أدخل في جرحك وألمك؟!

تموت أنت كي أعيش أنا وأصير ابنك!

هذا هو سر فسادي...

وهذا هو سر الفادي...

أنني بالموت أهنتك...

وأنت بالموت أعدت لي الحياة...

آمين...

الفصل الثالث

تشتيت العالم والبحث عن آلهة مادية

المرحلة الثانية "من الطوفان إلى إبراهيم "

- التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة
  - ☆ المذبح والعهد أساس العلاقة مع اللـه
  - ☆ الفساد يعود
  - ☆ الأساطير وصور الآلهة التي صنعها الإنسان
  - ☆ من هو الإله الأعظم وسط كل آلهة الأرض؟!
  - ☆ شروط الشخص الذي منه شعب اللـه
  - ☆ من الضمير العام إلى الشعب الخاص
  - ☆ هذه المرحلة في الكتاب المقدس

❖المرحلة الثانية

من الطوفان إلى إبراهيم

☆ التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة

✍ المذبح والعهد أساس العلاقة مع الله

وبعد الطوفان أصبحت البشرية في صورة جديدة أمام الله وبدأ عهد آخر للخلاص، وكما رأينا بعد الخطية أصبح لا يمكن للإنسان أن يقف أمام الله إلا بالذبيحة، فبدأ الإنسان علاقته مع الله بعد الطوفان بعمل ذبيحة، تنسم الله فيها رائحة الرضا عندما قال:

"وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أُميت كل حي كما فعلت. مدة كل أيام الأرض: زرع وحصاد، وبرد وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل، لا تزال"

(تك ٨: ٢٠- ٢٢)

وهكذا كان لابد للإنسان أن يحتفظ بهذه البركة الجديدة:

"وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض"

(تك ٩: ١)

وأن يتمسك بالله والحياة معه، رافضاً الشر والارتباط بالظلمة من جديد، إلى أن يأتي الله مخلصاً للإنسان ورافعاً عنه حكم الموت. فالإنسانية الباقية بعد الطوفان أصبح لها صورة جديدة، ورأى الله بعد الطوفان إمكانية الحياة والخلاص مع الإنسان، حتى أنه صنع معه ميثاقاً جديداً للحياة.

"وها أنا مُقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم"

(تك ٩:٩)

الفساد يعود

ولكن ما حدث غير هذا تماماً فالفساد في الطبيعة الإنسانية. لذلك يروي لنا الوحي ما حدث من أحد أبناء نوح استحق به أن يحمل لعنة أبيه، فبعدما خرجت هذه العائلة من الفلك، حدث أن نوح الأب الكبير شرب وسكر من عصير العنب وتعرى. ورأى حام أبيه وهو متعري وفي الأغلب تهكم عليه فلعنه نوح.

وكانت هذه اللعنة هي رؤية نوح لنسل حام أنه سيحمل هذا الشر. ومن هذا النسل كان نمرود. ويقول عنه سفر التكوين:

"الذي كان جبار صيد أمام الرب" (تك ١٠: ٩)

وفي تاريخ الشعوب يذكروا أن نمرود استطاع أن يسيطر على الإنسانية الأولى التي كانت تحيا في منطقة بابل، فهو كان بمثابة أول ملك يتسلط على الإنسانية وكان شريراً وشرساً. ولكنه كان قد ورث فكرة أن الشر نهايته طوفان وأن الله إذا غضب سيفني البشرية، وصورة غضبه في الطوفان والمطر لا تزال قائمة في الأذهان عن طريق الأجيال السابقة له.

ولكن كان نمرود يريد أن يهرب من سلطان الرب حتى يتمم شره، ويريد أيضاً أن لا يقع تحت غضب الله وعقابه. وبالرغم من إنه من أحفاد نوح البار إلا أن الطبيعة الفاسدة كانت تعمل في كل من يختار بحريته أن يميل إلى الشر، فقد جاء أحفاده ورفضوا بما لهم من إرادة حرة أن يرتبطوا بالله وأحبوا الظلمة أكثر من النور. فقد تحركت فيهم الطبيعة الفاسدة، ولم يسعفهم ضميرهم ومعاملات الله معهم ومع آبائهم ليرجعوا عن شرهم، فلقد رأوا أن الله يُريد أن يتسلط عليهم، ويفقدهم حريتهم في اختيار الشر. فاجتمعوا وفكروا في طريقة يهربون بها من سلطان الله وملكه عليهم، فقد كان كل الذي يربطهم به هو الخوف من

طوفان جديد ، إلى أن توصلوا إلى طريقة لبناء برج عال ومرتفع. فاجتمع الكل ليعلنوا أنهم وجدوا المنفذ لعصيان الله بلا خوف من الطوفان. وهذا بأن يبنوا لأنفسهم برجاً عالياً رأسه في السماء، فيعملوا ما يريدون ويرفضوا الله ويتحدوه، ويلتحفوا بالظلمة دون خوف من قوة الله. فإذا أرسل لهم الطوفان مرة أخرى فإنهم يدخلون في هذا البرج، فإذا صعدت المياه إلى دور يصعدون إلى الدور الذي يليه، إلى أن يصلوا إلى أعلى الأدوار وهو في قمة السحاب، وبذلك لن يُصيبهم شيء مما أصاب القدماء الأشرار بالطوفان، فيقول:

"وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة. وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض: "هلم نصنع لبناً ونشويه شياً". فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين. وقالوا: "هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض" (تك ١١: ١-٤)

وشنعار منطقة ما بين بابل والشرق التي يسمونها أرض الأكاديين.

وقد كان هذا إعلاناً جماعياً من الإنسان عن رفض السير في الطريق مع الله. وكانت هذه صورة أخرى لإعلان إرادة الإنسان للعصيان من جديد، وبذلك ترجع القضية إلى حتمية الموت وفناء الإنسان من جديد. ولكن كيف يفنيهم الله وقد وعد الإنسان بالخلاص ووعوده وقضائه بلا رجوع وثابتة بلا ندم؟! فلقد وعد الله أن لا يعود يفني الإنسان مرة أخرى كما حدث بالطوفان، ولكن كيف يستمر الخلاص وقد اجتمعوا على إرادة واحدة وهي رفض الحياة مع الله وفعل الشر، فقال الله:

"هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض" (تك ١١: ٦-٨)

أي أنهم مجتمعون على إرادة واحدة لأنهم مجموعة واحدة فلابد أن يفترقوا حتى لا يُساق الباقون في إرادة الشر دون معرفة أو اختيار حقيقي. ولأنه لا يريد أن يفنيهم حسب وعده، فقد كان لابد أن يكون هناك تصرف آخر ينقذ به الله الإنسانية كطبيعة عامة من تصرفات الإنسانية كأفراد أشرار في زمن معين. لذلك فرقهم إلى شعوب ومجموعات وقبائل، حتى لا ينتشر الشر إلى العالم كله، وجعل لكل

مجموعة لغة غير الأخرى، وهكذا صار العالم متفرقاً بفعل الشر الذي اختاروه، وقد كان المفروض أنه حينما يتفرقون في العالم، يراجع كل فرد حياته في ضوء عمل الله بعيداً عن تأثيرات الشر الجماعي. ولكن ارتحلت العائلات ذات اللغات الواحدة، ولم يتأثروا بما عمله الله في بابل وانشغلت كل مجموعة بعالمها الجديد ونسى الإنسان أنه لابد أن يُقيم علاقة مع الله الذي خلقه وأحبه ووعده بالخلاص في العالم كله.

◈ الآلهة الجديدة بعد تشتيت البشرية

وهؤلاء الذين تفرقوا كانوا يعرفون الله كخالق وكقوة جبارة، ولكنهم كانوا يفقدون العلاقة الشخصية معه ومحبتهم له، فإنهم يعرفونه ولكن عن بعد، لذلك – بعد فترة – سأل الأحفاد أجدادهم الأسئلة التي تراود كل إنسان ولد في العالم:

من هو الخالق؟ من نكون؟ لماذا نموت؟ وماذا بعد الموت؟

وأمام هذه التحديات العقلية كان الدين هو الإجابة الحتمية لتحدي غموض المصير والمنشأ. ولم تكن هناك إجابة حقيقية ملموسة عن الله نتيجة لضياع علاقة البشر بالله. فقد كانت الإجابات عبارة عن تراث

بشري موروث من الأجداد القدماء، وهو خليط من القصص الحقيقية مضافاً إليها عناصر أخرى من تأثيرات البيئة واجتهادات العقول، فقد كانت القصص الدينية في كل العالم محورها واحد يدور حول وجود إله قوي جبار خلق الكون، ولأجل خطيئة الإنسان طرد من الفردوس مع وعد بالخلاص، ولما ازداد الشر غضب الله وأرسل طوفاناً مهلكاً، ولكنه خلص عائلة واحدة في الفلك. وأنه في رضاه حماية للإنسان وفي غضبه شقائه وتعبه. وإن الذبيحة الدموية هي صورة العبادة له.

وهذه القصة جعلت كل شعب يفكر في وجود الله بصورة مختلفة عن الباقين. فحسب القصص الموروثة وحسب رؤية الأجداد، كانت رؤية الشعوب عن الله. فمنهم من وجد الله كخالق ومخلص وقوة للخير، ولأنهم لا يعرفونه فقد بحثوا عن صورة الخير ليعبدوه فيها أو يعبدوها فيه. ومنهم من استخلص من القصص أن الله قوة جبارة مهلكة يجب أن نتقيه ونحترس من الشر المهلك، فبحثوا عن القوة التي تفتك بالإنسان في الطبيعة وعبدوها، ليتقي الإنسان هذه القوة بعبادته لها.

الأساطير وصور الآلهة التي صنعها الإنسان

وصاغ كل شعب قصصاً تجعل لهذا الإله وجوداً حقيقياً أمام الشعب. وهذه القصص هي أساطير الشعوب التي لابد أن تجد أنها تتشابه في محاور أساسية وهي: الخلق– السقوط – وعد الخلاص – الطوفان– حتمية الطاعة لله. وهذا لأن هذه المحاور قد حدثت بصورة حقيقية للآباء الأولين مع الله وموروثة منهم رغم تشوه الحقيقة نتيجة عدم وجود العلاقة معه.

فلم تكن كل الأساطير أشياء خرافية ولكنها كانت طريقة الشعوب في صياغة الأمور الخارقة للطبيعة التي يعجز اللسان واللغة على وصفها أو تحديد الإيمان بصورة ملموسة. وهذا نتيجة تباعد الشعوب عن العلاقة مع الله الحقيقي.

فالإنسان الأول كان يعرف الله جيداً وتوارث الأبناء معرفته وحينما تشتتت البشرية، تشتت بهذا التراث المعرفي. وكل شعب صاغ هذه المعرفة بالقصص الأسطورية التي تصلح للتعليم وتقريب صورة الإله عند الشعوب.

لذلك نجد أن أغلب الأساطير في كل حضارات الشعوب لها جذور متشابهة. ولها عناصر ثابتة، مما يؤكد وحدة المصدر وحقيقة الموضوع. فمثلاً أسطورة "إيزيس" الفرعونية التي أنجبت "حورس" بقوة إلهية وقد صارع "ست" الشرير وأعاد عرش "أوزوريس" الذي قام من الأموات وصار ملكاً للخلود. فإننا نجد ذات الفكرة عند بلاد اليونان في أسطورة "دمتر"، وبلاد الرومان في أسطورة "سيريز"، وبلاد بابل في أسطورة "جلجاميش".

والعجيب أن يأتي بعض المفكرين الذين يجدوا التشابه بين سفر التكوين وبين بعض الأساطير فيستنتجوا أن موسى النبي قد تأثر بالأساطير وكتب بعض منها في السفر، بينما هذا المنطق مقلوب، لأننا نجد تشابهاً عاماً عند كل الشعوب في أهم الأساطير التي تحدد العلاقة مع الله وتكون الصورة هكذا: إن العالم كله كان عنده الفكرة الحقيقية عن الله ثم تشتت فصاغوا الأساطير عن الحقائق الموروثة لذلك فهي متشابهة لأنها تحمل بعض من الحقيقة ولكنها مع كم الأساطير والأفكار صارت الحقائق مشوهة. فجاء الله وكلم موسى النبي ليخبره عن الحقيقة التي كانت قبل الأساطير. لذلك فلابد أن نجد تشابهاً بين الأساطير وكلام سفر التكوين لأن الحقيقة المعلنة لموسى النبي بجلاء تام تشابه

الحقائق التي عند الشعوب ولكنها مشوهة. إذ أن المصدر واحد وهي حقيقة الأحداث.

وإليك يا عزيزي القارئ... بعض الأمثلة من هذه الآلهة وتلك الأساطير التي وضعها الإنسان أمامه في ذلك الوقت بعيداً عن إلهنا الحقيقي نتيجة الاحتياج إلى الألوهية كقوة ومعنى، وها أنا أسوق لك هذه الأساطير دون تعليق مني ولكن كل أسطورة تحتاج إلى رؤية واستنارة لتعرف عمقها في فكر الحقيقة:

☜ الحضارة السومرية والبابلية

في الجزء الجنوبي لما ما بين النهرين كانت هناك حضارة قديمة تسمى الحضارة السومرية، وقد وجدت حفريات يرجع تاريخها إلى ٢٣٠٠ ق.م. فيها كتابات على النحو التالي:

"أي سومر أيتها الأرض العظيمة بين كل أراضي الكون،
أنتِ التي يغمرك ضوء لا يخبو يا من تسنين القوانين الإلهية
لكل الشعوب من المشرق إلى المغرب"

وكما قلنا إن أي حضارة كانت لابد أن تجيب عن الأسئلة الميتافيزيقية (ما فوق الطبيعة)، فأطلقوا الأساطير التي تحكي عن هذه الأمور وعبدوا إلهاً أسموه "البانثيون السومري" يقولون عنه: *"حينما هبطت السلطة الملكية من السماوات وضع الآلهة الشعائر والقوانين العليا..."* والبانثيون هي آلهة تسيطر على الطبيعة وتضع الإنسان تحت رحمتها.

وهناك أساطير أخرى تعكس تفكيرهم في الخلاص والخلود والحياة الأبدية. وكان هناك ملوك آلهة وهم: "ميسكيا نكاشير" وهو ابن إله الشمس، وهو قد نزل وبنى مدينة مقدسة "لو كالبا ندو" وهو نصف إله، وكان راعياً. ثم الإله "دموزي" وهو إله يموت ليُبعث من جديد.

وعلى قدر ما يمكن أن يفكر الإنسان في وجود الله وصورته كان يمكن أن يوجد آلهة كثيرة. فكانت بابل فقط تعبد ٦٥٠٠ إله إذ أن كل قرية كانت تأخذ إلهاً يحميها ولكن كانوا جميعاً يؤمنون بأنه هناك إلهاً كبيراً لكل الآلهة يسمي "نو". ثم جاء إله آخر اسمه "مردك" قد انتصر على كل الآلهة وصار هو أعظم الآلهة، وهذا الإله هو الذي خلق البشر وعلى يديه حدث الطوفان.

☜ أسطورة جلجاميش في بابل

وهي أسطورة ترجع تاريخها إلى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف عام. وجلجاميش شخص ثلثه إله وثلثيه إنسان. وقد استطاع أن يعرف أسرار الكون وأخبار ما قبل الطوفان فهو من نسل "شمس نشتين" المخلوق الوحيد الذي نجا من الطوفان والذي كان يعرف كل الأسرار.

وقد مات صديق جلجاميش الذي يدعى "انجيدوا" وقد كانا معاً يصارعان ثوراً ضخماً أرسلته آلهة الشر "اشتار". فملأ الحزن قلبه، وبدت له صورة الموت بشعة ومخيفة، وأخذ يفكر في طريقة يهزم بها الموت. ولم يكن هذا إلا بمعرفة سر الخلود. ولم يكن هذا ممكناً إلا إذا ذهب إلى جده الأكبر "شمس نشتين" الذي يعرف كل الأسرار.

وبدأ جلجاميش رحلة مرعبة خطرة ليصل إلى جده الأكبر، صارع فيها وحوشاً ولاقى مخاطر كثيرة، واستغرقت هذه الرحلة أربعين يوماً وأربعين ليلة في نهايتها وجد نفسه أمام جزيرة صغيرة هي التي كان يقيم فيها جده الخالد أبا الدهر. ولكن حينما وصل إلى هذه الجزيرة كان قد أعيي من التعب ودخله مرض شديد، فسقط في قاربه أمام جده الأكبر، وبينما هو يصارع الموت أخذ يتوسل إلى جده أن يمنحه سر الخلود.

– فقال له الجد : إن الموت هو نهاية كل بشر ، ولا يمكن لأحد أن يعرف سر الخلود ولا حتى ساعة النهاية .

– فأجاب جلجاميش : أنني أشبهك تماماً فكيف أموت أنا بينما أنت جدي وأنا منك وأنت تعرف سر الخلود وتتركني أموت!!!!

فأخذ يحكي لـه قصة الخلق والطوفان والموت والخلود وعندما انتهى من القصة كان جلجاميش قد سقط من الإعياء في قاع القارب. فتألم الجد وهو يرى حفيده يموت ووعده أن يعيد إليه الحياة. فأحضر الجد الخالد السبعة عناصر المقدسة وقطر بين شفتي جلجاميش، فنام سبعة أيام، وبعدها استيقظ وطلب من جده أن يعطيه سر الخلود . فأخذه وأنزله إلى ينبوع الماء المقدس ليزيل عن نفسه مفاسد حياته الماضية. ثم رجع مرة أخرى وطلب أن يعرف سر الخلود فأخذه الجد الخالد إلى حيث نبتة الخلود وحصل عليها وأخذها ، وهي النبتة التي من يأكلها تعود إليه الحياة وتمنحه الخلود[١] .

ثم رجع جلجاميش ليصارع الشر من جديد في رحلة الرجوع إلى الأرض وهو يحمل نبتة الخلود .

[١] لاحظ هنا بعض الأفكار الهامة مثل السبعة العناصر المقدسة التي تهزم الموت، والماء المقدس الذي هو ينبوع الحياة، والنبتة المقدسة التي من يأكلها يحيا إلى الأبد .

☜ حضارة فارس

لقد كانوا يؤمنون بوجود إله عظيم واحد منه كل الأشياء، هو الإله "هرمز" وهو إله النور والخير، وكان قادراً على كل شيء وكل ما يفكر فيه لابد أن يكون. ويوماً فكر في أنه ماذا لو كان له منازع؟ وبمجرد ما فكر في هذا ظهر إله الظلام والشر "أهرمان". فقام إله الخير بخلق جميع الملائكة والبشر حتى يساعدوه ضد غريمه "أهرمان". وحاول إله الشر أن يؤثر على البشر لينضموا إليه. وهكذا بدأ الصراع بين الخير والشر.

☜ حضارة الهند

وقد عبد الهنود إلهاً يسمى "ميثهرا" وقد عبده الفُرس أيضاً وهو إله الزراعة والخصب والحياة. واعتقدوا أنه يدخل سنوياً في معركة مع إله الموت والظلام. وكان يتعرض في هذه المعركة للأسر ثم للاستشهاد موتاً على الصليب. فتصاب الأرض بالجفاف ويتوقف النسل، لكنه يعود ويقوم من الأموات. فيعم الربيع بعد القيامة المجيدة[٢] لتفرح الأرض وتعود لها الحياة.

[٢] لك يا عزيزي أن ترى أنه نفس توقيت قيامة السيد المسيح له المجد الذي يكون بعد الربيع.

☜ حضارات الفلاسفة وحضارة الفراعنة

وقد حاول الفلاسفة الإغريق الوصول بالمنطق العقلي للإجابة على الأسئلة الميتافيزيقية. ومع أنهم لم يعرفوا طبيعة الله ولكنهم بالمنطق وصلوا إلى مسلمات وضرورات عقلية لابد أن تكون ثابتة حينما نفكر في الإلهيات.

فقد قالوا بحتمية وجود الإله الخالق العظيم، وأنه لابد أن يكون الوجود كله من صنع إله واحد ليس له بداية ولا نهاية. كما أنهم لم يتصوروا أن يكون الإله خامل أو ساكن بل هو في حالة عمل دائم ومعرفة دائمة.

ولكنهم مع هذه الصور المنطقية الهامة جداً من الحقيقة الإلهية، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعرفوه على مستوى شخصي. لأن هذه الأمور كانت مجرد أفكار. وهذا على عكس حضارات أخرى مثل حضارة الفراعنة الذين حاولوا إقامة علاقة مع الصور التي فكروا فيها. وصنعوا من تصوراتهم حقائق لاهوتية آمنوا بها ونادوا للشعب أن يؤمن بها. بل صاغوا حولها الأساطير والقصص التي تقرب الحقائق للشعب. والأغرب أنهم جعلوا هذه الحقائق كأنها موروثة من تراث عالم إلهي حقيقي. فقد

كانوا يحاولون أن يبحثوا عن صور للتعبير عن الله، فأخذوا من الطبيعة صوراً تعبر عن الأفكار الإلهية ونادوا بحلول الله في هذه الصور فعبدوها .

والحضارة هي جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والأخلاقي يصنعها الإنسان بعد استقراره والتصدي لتحديات الطبيعة. فالحضارة المصرية كانت رؤية متكاملة للحياة الكونية على الأرض، وكانت تقودهم الحكمة الإلهية وقد سميت الماعت، وصوروها على شكل امرأة على رأسها ريشة نعامة، واعتبروها ابنة الإله العظيم رع التي تجسد معاني الحق والصدق والعدل ورمز للنظام الإلهي الذي يحكم الكون كله.

وكانت تجليات الإله الواحد المختلفة يسمونها "النترو" وهي رموز تعبر عن الإله الواحد، ولكن النترو هي صفاته المقدسة المتجسدة أمامهم، ولأنهم عرفوا إنه غير مدرك ولاهوتي فقد أطلقوا صفاته على أشياء مادية. ويقول **بلوتارك المؤرخ الإغريقي** : "عندما تسمع الأساطير المصرية القديمة تتحدث عن كائنات إلهية تتصارع فلا تنظر لتلك الأحداث بطريقة حرفية لأنها في الحقيقة رموز لمعاني ورائية" .

وكان الملك هو من يمثل الإله على الأرض ويقيم العدل فيقولوا: "رع الذي أقام الملك على أرض الأحياء إلى الأبد إنه يحكم بين الناس ويرضي الآلهة ليحقق ماعت ويقضي على الشر".

ومثلاً عبدوا الثور ولكنهم كانوا يدركون تماماً أن الله ليس هو الثور نفسه كطبيعة. لأنهم آمنوا فعلاً بأن الإله خالق كل شئ، فكيف يكون هو محدود ومخلوق. ولم يزعجهم عدم توافق كل جوانب الصورة مع ما ينظرون إليه من ملامح الألوهية، ولكنهم كانوا يكتفون بإقامة علاقة مع أحد مظاهر الألوهية في المثال الذي يقربهم من الإله الذي يعيش معهم وهذا لضعف العلاقة مع الله الحقيقي مع احتياجهم الشديد لذلك.

وعلى سبيل المثال عبدوا الشمس في عصور كثيرة وأعطوها اسم الإله الأعظم "رع" ثم "أتون" في عصر إخناتون.

وهذه صلاة للإله "رع" تبين العبادة بصورة محسوسة:

سيد الأبدية الذي لا ينقطع عن عبور الأعوام
الذي ليس حدود لزمن من حياته
الهرم الذي يعاوده الشباب
والذي لا ينقطع عن عبور الفراغ اللانهائي

الإلـــه المســـن الـــذي دأب علـــى جعـــل نفســـه شـــاباً
أمـــــام العيـــون العـديـــدة والآذان الـوفيـــــــــــــرة

هكذا كانوا يخلطون بين الأمور المحسوسة والمحدودة وبين الأفكار اللاهوتية الغير محسوسة والمحدودة.

وفي كتابات اللاهوتيين هليوبوليس الفرعونية المحفوظة إلى الآن في المتاحف المصرية كانوا يقولون:

"أتوم الإله الذي بادئ ذي بدء خلق نفسه بنفسه
وجاء للوجود من تلقاء ذاته"

هكذا نرى أن الإله في أذهانهم غير محدود برغم محدودية الرمز، ولكنهم كانوا يقيموا علاقة مع الرمز ليعطي لهم إمكانية تجسيد الفكرة الإلهية التي بداخلهم فعبدوا مثلاً الحيوانات مثل العجل والتمساح رمزاً للقوة. والبقرة والأوزة والعنزة والكبش رمزاً للحياة. وعبدوا القط والكلب والدجاجة وابن آوى والأفعى رمزاً للقوة المجهولة. وفي عصور أخرى عبدوا آلهة بأسمائها مع احتفاظهم بصورتها المحسوسة المادية الحيوانية مثل الإله أمون كان يرمز له بالكبش والإله حورس في صورة الصقر.

وقد كانت لهم إشراقات قوية جعلتهم يتصورون حقائق هامة مهدت فكرهم لاستقبال عمل الله الحقيقي. فمثلاً في *"كتاب الموتى"* (فصل ٨٥) الذي يرجع تاريخه إلى ٢٠٠٠ ق.م. يقول الإله:

"لقد خرجت إلى الوجود من ذاتي في خضم المياه الأزلية" [٣]

وفي كتاب نصوص الأهرام في الفقرة ١١٤٦ يقول الإله:

إنـــــني فــــــيض الـــــــدم الأزلــــــي
الــــــــذي انبثــــــق مـــــن الميـــــاه
أنــــا مـــن يكتـــب الكتـــاب المقـــدس
الذي يقول مـــا كـــان ويجـــعل مـــا سيكـــون

وقد كان هناك إشراقات من الحقائق الإلهية التي كان غالباً ما يرسلها الله لهم ولكن على مستواهم وحسب طريقة تفكيرهم. فمثلاً في عهد الإمبراطورية الحديثة كانوا يؤمنون بأن آمون هو الإله العظيم. وأمون كلمة تعني "الإله الخفي"؛ وآمنوا بأن القوى الإلهية تمثلها ثلاثة آلهة (آمون ورع وبتاح). وآمنوا بأن "آمون" هو اسم الإله، و"رع" هو وجهه، "وبتاح" هو جسمه.

---

[٣] قارن بين هذه الفكرة وبداية سفر التكوين.

وأيضاً آمون هو الإله العظيم الخفي، ورع هو إله الشمس الذي يرسل أشعته، وبتاح هو الإله الخالق للعالم والواضع صورته المرئية وهو يخلق بفكره ولسانه (بالنطق وبالكلمة)، وكانوا يصورونه في هيئة إنسان ملتحف بثوب محكم الالتفاف.

وفي تطور الفكر اللاهوتي الفرعوني، صار الإله بتاح هو أزوريس إله الخلود الذي قام بعد الموت وهو الذي يعطي الحياة.

وفي نشيد رائع يسمى نشيد ليدن يقولون للإله آمون:

ذاك الـــــذي بــــدأت صــــورته أول مـــــرة
آمــــون الـــــذي أنجـــــب نفســـــــه
في البـــــــدء دون أن يعـــــرف ســــــره
لم يوجـــــــــــد قبلـــــــــــه إلــــــــــه
ولم يكـــن إلـــه آخـــر معـــه ليحدثـــه علـــى شـــكله
ولم تكـــــن لــــــه أم لتصــــــنع اسمــــــه
ولم يكـــن لــــه أب وقــــال هــــذا هــــو أنــــا
القــــــوي الغــــــامض المــــــيلاد
والــــــذي خــــــلق جمالــــــه

الإلـــه الـــذي جـــاء للوجـــود مـــن تلقـــاء ذاتـــه
إنـــه خفـــي عـــن الآلهـــة ولا يعـــرف المـــرء مظهـــره
إنـــــــــه أبعـــــــــد مـــــــــن الســـــــــماء
إنـــــــــه أعمـــــــــق مـــــــــن الجحـــــــــيم
إن صـــورته لا تبســـــــط فـــي مطـــوي الكـــتب
لـــيس لـــدى المـــرء عنـــه أيـــة شـــهادة تبلـــغ الكمـــال
إنـــه بـــالغ الخفـــاء حتـــى أن مجـــده لا ينكشـــف
إنـــه أكـــبر مـــن أن يفحـــص وأعظـــم مـــن أن يعـــرف
إن المـــــــرء ليســـــــقط في الحـــــــال ميتـــــــاً
مـــــن الرعـــــب إذ تلفـــــظ باسمـــــه الخفـــــي
الـــــــذي لا يســـــــتطيع أحـــــــد معرفتـــــــه
إن جمالـــــــــك يخلـــــــــب القلـــــــــوب
وحبـــــــك يجعـــــــل الأذرع تهـــــــوي
وشـــكلك بـــالغ الكمـــال يســـلب الأيـــدي القـــوة
إن القـــلوب تنســـى كـــل شـــيء لأنهـــا تطلعت إليـــك

ويوجد نشيد آخر للإله بتاح يقولون فيه:

أعرف اسمه
إن اسمه هو الخلود
الخلود رب السنين هو اسمه
المبجل فوق قبو السماء
الذي يعيد الشمس إلى الحياة كل يوم

وفي إحدى نصوص التوابيت وجدوا هذا النشيد الرائع أيضاً للإله بتاح:

إنني أنا الخالق
المتربع في ذري السماء
وكل إله لا ينزل إلى جواري
أنا الروح الحي ذو الوجه البسيط
أنا الكلمة الطيبة
أنا المخلص[٤]
وأخلص كل شيء

[٤] لابد أن تلاحظ فكرة الخلاص كيف كانت مرتبطة بالإله في فكر الشعوب.

وتوجد أيضاً جملة غريبة جداً عن الإله بتاح لأنها تماثل الفكر الحقيقي المعلن في التوراة عن الخلق إذ يقولون عن الإله بتاح :

"حينئذ استراح بتاح بعد أن خلق كل شيء وكل كلمة مقدسة"

وفي الفصل السابع عشر من "*كتاب الموتى*" يأتي هذا النص الرائع على لسان الإله العظيم :

جـــــــــاءت الكلمــــــــــــة إلى الوجــــــــــــود
كـــان لـــي كـــل شـــيء حينمـــا كنـــت وحيـــداً
كنــــــــــت رع في كــــــــــل تجلياتــــــــــه الأولى
كنــت العظـيم الــذي أتــى إلــى الوجــود مــن ذاتــه
أنـــــــا مــــــن لا يقـــاومـــــه إلـــــــــــه

هذا من حيث الأفكار المصاغة في الأناشيد وإيمانهم المصاغ في كتاب الموتى ونصوص الأهرام وغيرها. ولكن يوجد ما هو أكثر قرباً للناس وهي الأساطير التي كانوا يعلمونها للشعب من خلال طقوس جماعية تحكي لهم هذه الأساطير، وبصورة تمثيلية أحياناً في المعابد وفي الأعياد وهم يقدمون القرابين للآلهة.

+ مثلاً أساطير الخلق

يقولون إن الإله "رع" الذي يرمز لـه بالشمس هو الإله الخالق على الدوام ولما أشرق أول مرة ورأى الأرض صحراء جرداء غمرها بأشعته فبعث فيها النشاط فخرجت من عيونه كل الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان. وأول من خلق من البشر كانوا سعداء وكاملين ولكن أبناءهم انحدروا شيئاً فشيئاً إلى طريق الضلال، فغضب عليهم الإله وأهلك منهم عدد كبير من جنس البشر وخسروا ما كانوا عليه من كمال وسعادة.

+ أسطورة أخرى للخلق والطوفان

كانت السماء متصلة بالأرض حين تمرد البشر على الآلهة الذي كانوا يعيشون بينهم. وازداد الفساد بالبشر حتى ثار غضب الإله "رع" وقرر أن ينزل بهم نقمة. وبعد طوفان من الدم عفا الله عمن حافظ على عهده من الناس غير أنه منذ ذلك الحين امتنع "رع" عن مخالطة الناس وفصل السماء عن الأرض وسكن فوق حيث السماء.

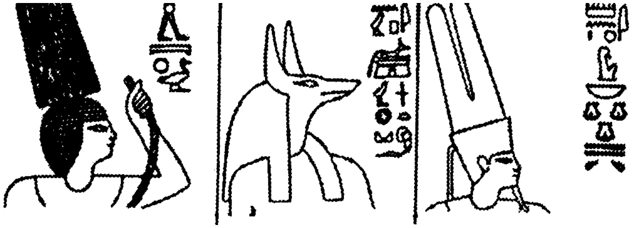

+ أسطورة لنتائج الخطية

وحينما كثر شر الناس واستهانوا بالإله "رع" ولم يفعلوا وصاياه، غضب وقرر أن يترك مقاليد الحكم لابنه "شو"[٥] وقال له: *"أنا تارك لك مقاليد الحكم فأكمل مشيئتي وتول أنت الأمر. وأنتِ يا ابنتي "نوت" احملي أباك فوق ظهرك ودعيه معلقاً فوق الأرض"*.

وحاولت "نوت" أن تعترض ولكنها أذعنت لرغبة الإله الأعظم فتحولت إلى بقرة وحملت أباها "رع" فوق ظهرها الكبير. وطلع الصباح على الناس، فإذ "رع" العظيم قد غادر مكانه ونظر الناس فوق رؤوسهم إذ بقرة إلهية هائلة، وفوق ظهرها الإله الغاضب على الأرض الذي تركها وترك الناس فسجد له الناس وأخذوا يتوسلون له أن يبقى فلم يرض، فأقسموا له أن لا يكون هناك من يُغضب الإله أو لا يعمل وصاياه فقتلوا أمام عينيه كل الذين أغضبوه ورفضوا مشيئته.

ولكن لم تستمر المذبحة طويلاً حتى صرخ الإله "رع": *"كفي مغفورة لكم خطاياكم"*. فتوقف أتباع "رع" عن قتل الأشرار. وأقسموا أمامه

[٥] شو: إله الهواء عند الفراعنة، نوت: إله السماء.

بأن يقتلوا فيما بعد كل من يستهين بالإله حتى لا يغضب مرة أخرى بل يقدموا كل من يخطئ ذبيحة وقرباناً له.

ولكن "رع" كان رحيماً بأبنائه البشر فلم يحتمل أن يضحي البشر ببعضهم البعض ويقدموا له ذبائح بشرية كي يرضى عنهم ويغفر ذنوبهم. فقرر أن يستبدل المذنبين بذبائح وقرابين من الثيران والطيور بدلاً من البشر. على أن يصلي الكاهن الذي يقدم القربان صلوات خاصة لتحل الحيوانات محل الخطاة. وبعد هذا اعتلى ظهر البقرة الإلهية "نوت" فارتفعت به وتقوست وامتد بطنها كالقبة، وصارت فيما بعد السماء الزرقاء التي تغطي الكون. وأخذ "رع" ينثر على صفحتها النجوم لتنير الليل.

هكذا لعبت الأساطير دوراً هاماً في تفسير الأمور الميتافيزيقية والأسئلة المتعلقة بالإله والكون. حتى وإن كانت توجد بعض الأمور نراها نحن الآن أنها ساذجة جداً ولكن هذا لأننا لا نعرف ونرى الحقيقة بجلالها، فننظر إلى هذه الأمور على أنها ساذجة. كما أنهم كانوا بمثابة الأطفال في الفكر الإلهي الذين لابد أن يصوروا لهم هذه الأمور غير المحسوسة على أنها محسوسة حتى يتعايشوا مع الإله على أنه حقيقة.

+ الحساب بعد الموت

وفي فكر الفراعنة كان كل إنسان يقف بين يدي الإله ليعطي حساباً ، وكان أوزوريس هو الذي يعطي الخلود لذلك كان يقف الشخص أمامه ويقول[6] :

أيا من يعجل سير جناح الزمن

يا من يسكن كل خفايا الحياة

يا من تحصي كل كلمة أنطق بها

انظر أنك تستحي مني وأنا ولدك

وقلبك مفعما بالحزن والخجل

لأني ارتكبت في العالم من الذنوب ما يفعم القلب حزناً

وقد تماديت في شروري واعتدائي

ألا تسالمني، ألا تسالمني

وحطم الحواجز القائمة بيني وبينك

ومر بأن تمحى كل ذنوبي وتسقط

منسية عن يمينك وشمالك

---

[6] من كتاب الموتى بالأهرامات.

أجل أمح كل شروري

وامح العار الذي يملأ قلبي

حتى نكون أنا وأنت من هذه اللحظة في سلام.

+ أخناتون وأعظم إشراق للفراعنة

في السنوات الأولى لأخناتون كان الإله يصور على شكل إنسان له رأس صقر، أو في صور أخرى. ولكن جاء إخناتون وأحدث انقلاباً في الفكر الديني، وسنرى أنهم لم يستوعبوه حتى أنهم قتلوا أخناتون ليعيدوا الفكر القديم كما كان. وما حدث لأخناتون هو حالة إشراق إلهي لا منازع، لأنه لا يمكن لفكر أحد في هذه الفترة أن ينادي بهذه الأمور دون إعلان. وفي مقبرة وزير إخناتون (رعمسيس) **يقول أخناتون:**

كلمات رع ألقيتها إليك

إن الإله علمني إياها وكشف لي عن خباياها

وهذه الكلمات عرفها قلبي وانشرح لها صدري

فيرد عليه الوزير ويقول له:

إنك الوحيد الذي اختاره أتون

لكي يلقي إليه بتعاليمه،

والخوف منك يملأ قلوب الناس

والجبال تستمع إليك كما يستمع الناس.

وقد نادى أخناتون بعبادة الإله الواحد دون غيره لأن الإله واحد فقط ولا يوجد آلهة أو أرباب آخرين وأنه لا يتصور في شيء أي لا يمكن أن يُرسم في صورة. أنه لا يتصور في شيء، وأنه غير محدود بأي حال. ونادى بأنه يُعبد بالحب والسلام. لذلك نزل أخناتون من عرشه وطاف المدن والقرى ينادي بذلك.

ولكن الإمبراطورية الفرعونية المترامية الأطراف، كانت لها أعداء فحينما سمعوا ذلك أغاروا على مصر وأملاكها. ولكنه لم يحاربهم. فثار عليه الجيش بجانب ثورة كهنة آمون لأنه أغلق كل معابد الآلهة الأخرى ومحي ذكرهم ورفع أتون الإله الذي لا يتصوره أحد. وهذا جعل الثورة ضده كبيرة جداً التي انتهت بقتله عام ١٣٦٢ق. م. حسب إحدى التقديرات التاريخية.

+ صلاة لأخناتون

إنك في قلبي

ليس هناك من يعرفك سوى ابنك

إن رع الذي أطلعته على أسرارك وقوتك

إنك أنجبت جلالك

كما تنجب نفسك كل يوم ودون توقف

لقد خلقته مثل أشعتك

لتجعل حياته مثل أتون

يا أتون الحي الوحيد

إنك أنت الأبدية

والسماء هي معبدك

الذي تشرق فيك كل يوم

لتلد ابنك

الذي خرج من جسدك

إنك أنت الأبدية وابنك مثلك.

ونلاحظ هنا أنه بالرغم من الإشراق القوي الذي دخل إلى عقل وقلب أخناتون ولكننا نجد أنه لا يزال متأثراً بمفردات الصياغة الفرعونية ولم يستطع أن يتخلص منها تماماً لأنها كانت هي الصياغة اللاهوتية في ذلك العصر. ولكن مع ذلك فإنه يظل احتياج الإنسان للعلاقة الروحية مع الله احتياجاً فطرياً ينجذب إليه ويشبع به كما سنرى من صلوات أخناتون.

+ صلاة لأخناتون

ما أجمل مطلعك في أفق السماء

أتون الحي مبدأ الحياة

فإذا أشرقت في الأفق الشرقي

ملأت الأرض كلها بجمالك

إنك جميل، عظيم براق

عال فوق كل الرؤوس

ومهما بعدت فأن أشعتك تغمر الأرض

مهما علوت فأن آثار قدميك هي النهار

وإذا ما غربت في أفق السماء الغربي

خيم على الأرض في ظلام الموت

ما أبهى الأرض حين تشرق في الأفق

يا خالق الجرثومة في المرآة

ويا صانع النطفة في الرجل

يا واهب الحياة للابن في جسم الله

أيها الإله الواحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه

يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك

حين كنت وحيداً

ألا ما أعظم تدابيرك

يا رب الأبدية

إنك في قلبي

ما من أحد يعرفك

إلا ابنك أخناتون

لقد جعلته حكيماً

بتدبيرك وقوتك

إن العالم في يدك

فإذا أشرقت دبت فيه الحياة

لأنك أنت نفسك الحياة

والناس يستمدون منك الحياة.

ويوجد بعض المفكرين الذين وجدوا صلوات أخناتون مشابهة لمزامير داود، فقالوا إن داود أخذ صلوات أخناتون وأعاد نظمها. ولكن عالم المصريات والاس بدج (Budge) اكتشف أن أناشيد أخناتون تطابق أناشيد الفيدا (ALFIDA) السوري فهل الفيدا أيضاً أخذ أناشيد أخناتون وأعاد صياغتها. هذا تحميل ملفق على الحقيقة. ولكن حينما تقدم مشاعر حب وعبادة لله سواء من أخناتون أو الفيدا أو داود النبي فحتماً سنجد أن هناك أشياء مشتركة في الأفكار والمشاعر، إذ أن قلب الإنسان حينما تشرق فيه المحبة الإلهية فإن محتوى الكلمات ستتشابه في أشياء كثيرة لأنها تصف ما هو حقيقي كما كان أخناتون يقول عن نفسه ***"أنا الذي يعيش الحقيقة"*** .

ولم يتسع لدينا المجال هنا عزيزي القارئ لأخبرك بآلهة البابليين، والآشوريين، والكلدانيين، والرومان، واليونان، والآلهة القبائلية المتعددة ولكن هذه فقط أمثلة لطريقة تفكير الشعوب في القضايا الحتمية والتي فرضت طريقة لتعاملات الله مع الشعوب. ويقول لنا التاريخ أنه منذ

تفرقت الشعوب (من بابل) إلى الألف الثالثة قبل الميلاد فإن الشعوب كانت في ارتحال دائم نتيجة لتحركات الإمبراطوريات الكبرى، ومع فرض نفوذها العسكري والسياسي كانت تفرض أيضاً عبادة الآلهة العظمى لها.

لذلك حينما طلب الله من موسى النبي أن يكتب سفر التكوين كان الهدف هو إعلان حقيقة الأحداث والأفكار عن الله، ليتخلص الإنسان من الشوائب التي تركتها الأساطير الخاصة بالآلهة المنتشرة في العالم كله، ولتبقى الحقيقة الإيمانية موجودة. فالإنسان لم يفقد الإيمان بوجود الإله، ولكنه نتيجة بعده عنه شوه هذا الإيمان. فالله كان موجوداً عند الشعوب كحقيقة ولكن صنعوه كموضوع. وأصبح الإنسان يصنع الإله من مادة ملموسة، حجر أو بحر أو شمس أو قمر لأنه لم يستطع أن يعرفه جيداً، وكلما ازداد الإنسان في الرقى والحضارة كلما كان الإله المكون في عقله أعظم وأرقى وغير مادي. فنجد آلهة الأمم المتحضرة لها صورة متحضرة، وآلهة الأمم الهمجية لها صورة همجية، والأمم التي لها فكر ومنطق آلهتها تعطي الحكمة وتسكن في الأعالي مثل آلهة اليونان.

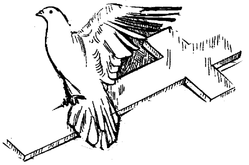

✍ من هو الإله الأعظم وسط كل آلهة الأرض؟!

وأمام هذه الصور المتعددة للآلهة كان لابد أن يتبادر إلى الأذهان سؤال هام وهو: من يكون الإله الأعظم وسط الآلهة الكثيرة في كل الأمم؟! فكما قلنا إنه في بابل فقط ٦٥٠٠ إله ومثلهم في دول البحر المتوسط، فمن هو الخالق الأول لكل شيء. لذلك فلابد أن يكون هناك إله أعظم من الكل، وصانع الكل وهو أصل الأشياء والحياة!! وقد كانت كل أمة تريد أن يكون أحد آلهتها هو الأعظم وسط الأمم، لذلك اتفقت الأمم بصورة غير مباشرة على طريقة للتفضيل ولمعرفة الإله الأعظم، وهذه الطريقة كانت نابعة من طريقة التفكير المادية والمنحصرة في الأمور الحياتية الملموسة.

◈ وكان معيار الإله العظيم هو الإله الذي يعطي شعبه:

١. **قوة وانتصاراً في الحروب على باقي الأمم**؛ لذلك كانت كل الحروب التي تدور بين الأمم هي حروب مقدسة، فتسجل الانتصارات في المعابد وتقدم القرابين بعد الانتصار للآلهة، وترفع الجيوش آلهتها في الحروب لأنه منها تأخذ قوة للانتصار.

٢ . **يعطي غنى ومجد ووفرة للمملكة؛** لذلك كانت الأمم تتفاخر بالغنى وتصنع المعابد للآلهة من أغلى الأشياء ، وتبني المدن بأسماء الآلهة لتظهر هذا الغنى .

٣ . **حكمة وبصيرة فلسفية للملوك والكهنة؛** فقد كان الكهنة هم حكماء الأمم لأنهم الأقرب من الآلهة ، بل وهم الذين ينقلون فكر الله للشعوب .

وعلى هذا فإن أي شعب يريد أن يثبت للعالم أن آلهته هي الأعظم عليه أن يثبت أنه قادر أن يعطي القوة والانتصار ، وأنه يعطي غنى ووفرة في الحصاد ، وأنه يعلمهم الحكمة والمعرفة. وكان هذا هو محور تطور فكر الإنسانية بعد التشتيت في بابل .

ونرجع مرة أخرى لتدبير الخلاص، فأمام هذه الصورة تكون معرفة الله الحقيقي مستحيلة على مستوى العالم والأمم ، إذ أن كل أمة متعصبة لآلهتها القومية بل وتحارب أمم أخرى لتُثبت لها بأن آلهتها هي الأعظم ، فلا يمكن لأي أمة أن تتنازل عن آلهتها القومية إطلاقاً . وهذا واضح لنا من قصة أخناتون الذي حاول أن يلغي أحد الآلهة الشعبية فثاروا ضده وقتلوه . وبالصورة السابقة لم يعد أمام الله إلا أن يتنازل إلى مستوى

وطريقة تفكير البشر وتصوراتهم عن إعلانات الله لوجوده من خلال الحروب، والغنى، والحكمة.

ولكن تبقي هناك مشكلة هامة في ذلك وهي **كيف يعلن الله عن ذاته وسط هؤلاء الآلهة ليخلص الإنسان من هذه الأفكار التي تقف حائلاً لمعرفته الحقيقية، وحتى يخلص بالفداء المزمع أن يكون؟؟؟!!!**

فلا يمكن أن يأخذ الله أحد الشعوب الموجودة ويعلن لهم ذاته، ثم يرفعهم وسط العالم ليستعلن لباقي الأمم **وذلك لسببين:**

+ **الأول:** أن هذه الأمة التي يأخذها الله قد عرف العالم كله آلهتها السابقة، فإذا ما ساعدها الله يكون قد رفع الآلهة الزائفة ويستعلن هو ليؤمن به العالم.

+ **الثاني:** وهو أن هذه الأمة لن تتنازل عن آلهتها القومية إذ تشعر معها بأهمية قومية وسط الأمم. فقد يطلقوا على الله وأعماله أحد أسماء آلهتهم القومية.

الحل الوحيد هو شعب خاص جديد يحمل التدبير

لذلك فقد أصبح تدبير الخلاص أمام حتمية هامة ليستعلن الله وسط العالم، وهو أن يختار الله شعباً جديداً من خلال شخص يعلن له الله ذاته ويعرفه جيداً، ثم يجرده من كل ارتباطاته بآلهة الأمم، ويجعل من نسله شعباً له ويكثرهم ويقويهم ويصنع معهم عشرة قوية ليعرفوه، ثم بعد هذا يعلن للعالم كله ذاته بواسطتهم. ويعرفه العالم أنه هو الإله خالق الكون وأنه لا يوجد سواه وأنه صاحب الوعد بالخلاص، فيؤمن العالم به من خلال أعماله مع شعبه، وقوته التي ستظهر وسط الشعوب من خلال حروبهم مع هذا الشعب وانتصاراتهم بقوة الله المستعلن بهم...

وبذلك يرجع العالم كله إلى الإيمان بالله وإعلان الطاعة الإنسانية التي تؤهله للخلاص الذي يصنعه الله بتجسده وفدائه، لذلك قال الله ليشوع في حروب شعبه مع الأمم:

"لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام" (يش ٤: ٢٤)

وكان الله يقول لشعبه إسرائيل أيضاً:

"لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم

واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر. فاعلم أن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل، والمجازي الذين يُبغضونه بوجوههم ليُهلكهم" (تث ٧: ٦-١٠)

وهكذا أيضاً شعبه كانوا يرونه عظيماً من خلال أعماله وقوته معهم وكانوا يقولون له:

"فإنه أي إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك؟" (تث ٣: ٢٤)

من كل ما سبق تكون الحروب التي دخلها شعب الله هي الصورة التي وضعها الإنسان في هذه الأزمنة ليستعلن بها الآلهة العظيمة، فلم يكن أمام الله ليعرفه العالم إلا أن ينزل إلى هذا المستوى، لذلك اختار شعباً يعلن عنه أمام العالم، ليعرف العالم أنه هو الله وليس سواه، فيترك العالم شره ويلتصق بالله وينتظر مجيئه ليخلصه. (راجع أيضاً تث١: ٢٨؛ ٩: ٤- ٦؛ ١٤: ١، ٢؛ ٢٩: ٢٤؛ ١صم ١٢: ٢٢).

شروط الشخص الذي منه شعب الله

ولكن مَنْ هو هذا الشخص الذي سيختاره الله ليكوِّن منه الشعب الذي يصنع به الخلاص للعالم كله؟ فقد أخذ الله يبحث في الأرض كلها إلى أن وجد إبراهيم البار! هذا الذي يصلح أن يأخذه من أرضه وبيته ليصنع معه عهداً خلاصياً للعالم كله فيقول عن هذا معلمنا القديس بولس الرسول:

"والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يُبرر الأمم، سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم" (غلا ٣: ٨)

فالله لم يختر شعباً بعينه ليخلصه ويترك العالم من دونه، بل شعباً يعلن له عن ذاته ويخلص العالم كله من خلاله إذ قال لشعبه:

"فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض" (خر ١٩: ٥)

فالله كانت عينيه على الأرض كلها وليس على شعب واحد فقط. فهو قد اختار شخصاً (إبراهيم) يحفظ الإيمان والطاعة والحب لله ليعلم أبناءه أيضاً، فيكونون لله شعباً وأبناءً وسط العالم، ليعلنوا عنه كخالق السماء والأرض وسط العالم كله لذلك يقول الله عن إبراهيم:

"لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب، ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به"
(تك ١٨: ١٩)

لذلك لابد أن يكون هذا الشخص الذي سيصنع الله من نسله شعبه قادراً أن يعلم أولاده ما فيه من صفات هامة للخلاص، يحفظها أبناؤه من بعده وهي:

الإيمان – الطاعة – الحب – التغرب عن آلهة الأمم

فالله وجد في إبراهيم الإيمان الكامل والطاعة الكاملة والحب والإماتة. هذا كله أكدته تجارب وأحداث في حياته، تمسك بالرب وبوصاياه، حتى إنه حينما وعده بابن انتظره إلى أن صار عنده مائة سنة. وبعدما أنجب ابنه وكبر قال له أذبحه من أجلي، وقدمه ذبيحة. فأخذه ليقدمه ذبيحة ولكن الرب أعطاه خروفاً عوض عنه. فقد اعتاد أن يطيع لهذا أختاره أباً لشعبه.

من الضمير العام إلى الشعب الخاص

وابتدأ تدبير الخلاص يأخذ شكلاً جديداً في إعداد البشرية لمعرفة الله، فبعدما كان التدبير يتعامل مع العالم كله بما يسمى "الضمير العام"، اتجه الله نحو شعب يعلن عن وجوده من خلالهم، وهذا نتيجة تطور فكر البشر في التعامل مع الله. تلك التي فرضت على البشرية صورة جديدة لتعاملات الله مع الإنسان.

نعم يا عزيزي... إلى هذا الحد تعامل الله مع حريتنا! إلى الحد الذي أصبح يتنازل إلى مستوى تفكيرنا ومعاملاتنا الضعيفة، إلى مستوى فرض فيه العالم طريقة استعلان الله عن ذاته. هكذا حينما أراد الله أن يخاطب أبيمالك في قصته مع إبراهيم قال له عن سارة:

"فإنها متزوجة ببعل" (تك٢٠: ٣)

والبعل هو صورة الإله الذي كانوا يعبدونه، فالله أراد أن يخبره أنها متزوجة برجل الله، ولكن أبيمالك لا يمكنه أن يفهم هذا إلا عن طريق معتقداته فقال له أنها متزوجة ببعل.

وهكذا نرى أن الله كان يريد العالم كله، وليس مجموعة فقط من البشر محصورين في شعب أو جنس أو أمة، ومما يؤكد هذا المعنى، أن

الله أرسل يونان النبي إلى أهل نينوى الأممية وأظهر لهم اهتمامه بخلاصهم أيضاً. إلا أن التدبير هنا يكون قد انتقل من عمومية التعامل مع الإنسانية إلى خصوصية التعامل مع شعب بعينه، يعلن به الله عن ذاته وإرادته وكيفية الخلاص للبشر. لذلك أرسل يونان النبي إلى أهل نينوى ولم يكلمهم مباشرة، إذ أصبح الله في هذه الفترة ينظر إلى شعبه أنه ممثل الإنسانية أمامه، فما يريد أن يخبر به العالم كله يتكلم به لشعبه، وكان المفروض أن شعبه يخبر به العالم كله ليقوده إلى الإيمان والدخول في شركة الخلاص والحياة الأبدية مع الله.

هذه المرحلة في الكتاب المقدس

وتغطي هذه المرحلة في الكتاب المقدس سفر التكوين من الأصحاح التاسع إلى نهاية السفر التي فيها نرى اختيار الله لشعبه من خلال إبراهيم ثم تحركاته ليتجرد من الأمم ثم انتقال الوعد الخلاصي من إبراهيم إلى إسحق ثم يعقوب ومنه للأسباط.

✍ صلاة:

يا لعظم حبك يا رب...

فلقد احتملت كثيراً...

من أجل ربوبيتك لنا،

ومن أجل أبوتك للإنسان...

الذي بجهله تركك وتاه،

وسط ظلمة القفار وهول الجبال...

فلما رأى شموخ الجبل وعظمته عَبَده،

ولما خاف من ظلمة البرية عَبَد المجهول.

ولما احترق بنار مادية وشعر برهبة منها

ظن أنها تحمل قوة في ذاتها،

فعبدها...

وهكذا دائماً نساق بجهل

في طريق خارج حبك...

ولكن الآن أخاطب حبك لي...

الذي صنعت كل هذا لأجله!!!

أن تدركني أنا أيضاً في طريق جهلي،

أن تفتش عني في تيهي

أن تحميني من عتمة ليلي

أن تبرق في سماء أراها بوضوح فأتبعك

أن تلمس قلبي فأسمعك،

أن تغطني برداء يستر عري خطيئتي

ويهبني الدفء بعد برودة الزمان...

ربي...

هل لي أن أعرفك؟! وتعرفني؟!

رغم جهلي وشري...

فيا رب...

يا من سلكت لأجل الإنسان

في هذه الدروب الضيقة والموحشة!!

يا من تنازلت إلى فكر الجهلاء لتعرفهم ذاتك،

أنا واقف خلف أستار العتمة منتظراً

نور معرفتك، لكي تصعدني إليك،

فأتجاسر بهذه المعرفة الشخصية إلى الدخول

لشركة سمائك إلى حبك وأقداسك...

آمين...

الفصـل الرابــع

إعلان اللـه عن ذاته من خلال شعبه

المرحلة الثالثة "من إبراهيم إلى أرض الموعد"

- التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة
- كيف يعلن اللـه عن ذاته؟
- كيف تم الخروج؟
- كيف سيعلن هذا الشعب عن وجود اللـه في الأرض؟
- تقديس الشعب وخصوصيته للرب علامة خلاصية
- الأسفار التي تعبر عن هذه المرحلة

❖المرحلة الثالثة

من إبراهيم إلى أرض الموعد

☆ التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة

رأينا في المرحلة السابقة كيف فشل الإنسان في تقديم إرادة عامة لقضية الخلاص يستخدمها الله ليُكمِّل بها خلاص الإنسان وفدائه، إذ تأكد فساد إرادته التي أصبحت بعد السقوط معرضة لسيطرة الشر إذا سمح الإنسان بذلك.

وقد كان تدبير الخلاص في المرحلتين السابقتين يدور حول العمل العام لخلاص الإنسان، ولكن لما سار الإنسان بعيداً عن الله، وافترض صورة للألوهية في الطبيعة ووضع آلهة من مخيلته، وأصبح يعظم ويرفع هذه الآلهة التي نسب لها القوة في الحروب، والغنى الذي للشعب، والحكمة التي للحكماء. فقد أصبحت محبة الله للإنسان محصورة بهذه الصورة المادية لإعلانه عن ذاته، ولما كانت هذه الطريقة ضعيفة في علاقة الإنسان بالله، فقد كان لابد أن يتنازل الله إلى هذا المستوى، ثم يرتفع بالمفاهيم والإيمان إلى مستوى الروحيات، وكان لابد أن ينزل الله إلى ميدان الحروب بشعب جديد لم يسبق له العبادة لأي من آلهة الأمم،

حتى لا ينسب أي انتصار أو قوة لهذا الإله، ولابد أن يكون هذا الشعب مشهوراً أيضاً وسط الشعوب بعبادته للإله الواحد وليس سواه. ثم يدخل هذا الشعب في حرب مع الآلهة العظيمة، وعندما ينتصر بقوة الله، يبدأ العالم كله يرهف الإسماع له فيعلمهم ويعلن لهم عن وجوده والخلاص العتيد أن يتم بابنه المتجسد.

ورأينا في المرحلة السابقة أن الله اختار إبراهيم ليكوِّن به شعبه وسط الشعوب، وهذا لأنه وجد فيه إمكانيات الإنسانية التي تصلح للخلاص، وأنه أعلن إرادة شخصية تجعله رمزاً للإنسانية التي تريد الحياة مع الله، لذلك أعلن له ذاته وأخرجه من شعبه وأعطاه وعد الخلاص في صورة بركة يتناولها الأبناء، وسار به وسط شعوب وقبائل، وكانت كل قبيلة أو شعب يسكن إبراهيم عندهم كان الله يعطيه غنى وقوة أمامهم مما جعلتهم يقدرونه جداً.

وتوارث إسحق البركة والوعد، وتوارث يعقوب البركة والوعد، وأصبح ليعقوب اثني عشر ابناً هم أسباط شعب الله.

وابتدأ الله يعد الخطة لكي يعلن عن شعبه الذي سيعلن ذاته من خلالهم **وقد كانت لابد أن تحقق الآتي:**

١- أن يعرف العالم كله هذا الشعب الجديد، وأنه يعبد إلهاً غير الآلهة الأخرى التي في كل الأرض.

٢- أن يشتهر هذا الشعب بأنه بلا قوة ذاتية حتى حينما يعمل الله بهم لا يظن أحداً بأنه غلب بقوة رجاله.

٣- أن يحارب هذا الشعب أعظم الآلهة في صورة أعظم الشعوب، حتى حينما ينتصر عليه يكون هذا إعلاناً بأنه أعظم من الآلهة التي يؤمن بها بقية الشعوب.

٤- أن يعلن الله عن ذاته في النهاية لكل العالم، ويكون له مكاناً مستقراً وسط العالم لمن يريد أن يعرفه، يأتي إلى حيث هذا الشعب فيسمع منه ما يقوله الله عن الخلاص والمسيا المنتظر والتجسد والفداء والحياة الأبدية. فيؤمن العالم ويظل في إيمانه إلى أن يأتي المسيح فيدخل الجميع في شركة الخلاص...

☆كيف يعلن الله عن ذاته؟

القصة في غاية الروعة والدقة من حيث التدبير، فلقد استخدم الله شر أخوة يوسف ابن يعقوب ليبيعوه إلى قافلة ذاهبة إلى مصر، لأن مصر كانت أعظم الأمم، وبذلك تكون آلهتها أعظم الآلهة. كما كان الفكر اللاهوتي في مصر متقدماً جداً - كما رأينا- فيكون الإعلان له أكثر استجابة وتفهماً من أي شعب آخر.

ويأتي يوسف إلى مصر وتتوالى القصة المشهورة التي فيها يحلم فرعون بحلم لا يفسره أحد سوى يوسف، لذلك يرفع فرعون يوسف إلى مركز عال ويجعله يتحكم في غذاء مصر، وتأتي مجاعة على العالم كله تجعل العالم والشعوب كلها يأتون إلى مصر ليأخذوا القمح، وبذلك يعرفوا يوسف الذي لقبوه بـ **"سيد الأرض"**. ويأتي أخوة يوسف أيضاً، وبذلك يعرف العالم كله إن يوسف وأخوته ليسوا مصريين وأنهم يعبدون إلهاً خاصاً بهم.

وبهذه تحققت فكرة معرفة العالم كله بهذا الشعب الجديد...

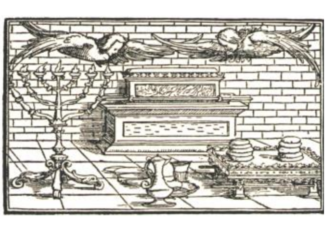

ولأن دخول يوسف وإخوته كان في وقت الهكسوس فقد اعتبرهم شعب مصر من سمات فترة الاحتلال؛ لذلك تتغير الأمور، ويأتي فرعون جديد يضطهد العبرانيين، ويتوالى الفراعنة الذين يستعبدون العبرانيين أربعمائة عام، حتى يعرف العالم كله أن هذا الشعب الساكن في مصر شعب ضعيف مذلول ومستعبد .

ثم يظهر الله لموسى النبي ويعلن له عن ذاته وعن الخلاص من العبودية، ويحمل موسى اسم الله ويذهب إلى فرعون مطالباً إياه أن يترك الشعب لأنهم يعبدون إلهاً يأمره بذلك. وهنا يبدأ التحدي بين إله إسرائيل الذي يمثله موسى النبي وأقوى آلهة الأمم الذي يمثله فرعون، لذلك استهزأ فرعون بموسى وإله شعبه. فلقد كان الإصرار على عبودية الشعب من فرعون لموسى هو إعلان على قوة آلهة المصريين، وضعف إله إسرائيل، ففي الوقت الذي يخرج فيه الشعب بقوة إلهه يكون هذا إعلاناً على هزيمة وضعف آلهة المصريين.

وسارت القصة بوقائع الحرب الدائرة ليست بين شعب وشعب، أو بين الجيوش، ولكن بين إله إسرائيل وآلهة المصريين في عشر مواقع. كان في كل مرة يعلن فيها الله عن ضعف وذل آلهة المصريين أمام الشعب، بل ويعلن أيضاً عن سلطانه على كل ملامح الألوهية التي يعبدها المصريون

علهم يؤمنون ويصححون أفكارهم. فقد أعلن سلطانه على الشمس، والنيل، وكل مظاهر الطبيعة الأخرى. وأخيراً أعلن سلطانه على الحياة حينما صنع ضربة الأبكار، حتى أن سحرة فرعون وهم الذين كانوا يملكون القوة الجبارة للآلهة المصرية أمام الشعب، قالوا لفرعون:

"هذا إصبع الله" (خر ٨: ١٩)

وقد كان النداء الذي يسوقه موسى النبي لفرعون هو:

"أطلق شعبي ليعبدوني" (خر ٨: ١)

وكان الهدف من هذا كله معلناً وواضحاً كقول موسى النبي لفرعون:

"لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلهنا"
(خر ٨: ١٠)

وبعد ضربة الأبكار خضع فرعون لقوة إله إسرائيل لأنه علم أن هذا الإله له سلطان على الموت والحياة، فوافق على خروج الشعب، ولكنه حينما أدرك أن العالم كله سيعرف هزيمة آلهة المصريين أمام إله إسرائيل أحضر جيشه وخرج وراءهم ليمنعهم حتى لا تنهار عظمة الفراعنة أمام العالم كله، فكسرهم الرب وشق البحر الأحمر، وأخرج شعبه وسط تسبيح وتهليل شعب الله ورعب وانكسار أقوى شعب في العالم في

ذلك الحين. ونسمع في الأصحاح الخامس عشر من سفر الخروج النشيد الذي سبح به موسى النبي وكل الشعب وهم خارجون:

"الرب قوتي ونشيدي، وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده، إله أبي فأرفعه. الرب رجل الحرب. الرب اسمه ... مَنْ مثلك بين الآلهة يارب" (خر ١٥: ٢، ١١)

وقد كان هذا ليعرف العالم كله أن إله إسرائيل هو أعظم الآلهة، فيؤمنوا به ويعرفوه. هذا ما قاله الله لموسى النبي وهم خارجون:

"وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم، فأتمجد بفرعون وكل جيشه، بمركباته وفرسانه (خر ١٤: ١٧)

كانت هذه النظرة العامة للموضوع، ولكن كانت في تفاصيل العلاقة بين الله وشعبه بعض النقاط الهامة للتدبير فيها الرد على أسئلة كثيرة مثل **هل كان الله سيأخذ هذا الشعب ليحارب به كل الشعوب وينتصر؟**

الله كان يريد أن يحدث شيء كبير جداً يلتفت لها العالم كله فكان لابد أن يكون هناك شعب جاهز هو الأكبر والأعظم حسب التدبيرات البشرية وفي ذلك الوقت كانت مصر.

فقد كان الفراعنة هم أعظم الشعوب وأعظم قوة في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد، وكانت آلهتها هي الآلهة العظمى. وكانت مصر أول إمبراطورية عالمية في الأرض، فقد بدأ فرعون مصر ينشر وجوده في أغلبية المناطق الحضارية. وفي هذا الوقت صارت الآلهة المصرية تُعبد في أكثر مناطق العالم.

والآلهة المصرية نتيجة الحضارة والفكر صارت لها مكانة حتى في العصور التي قبل مجيء المسيح بقليل فحينما جاء البطالمة مصر عام ٣٣٠ ق.م عبدوا آلهة مصر، حتى أن الإسكندر الأكبر حينما جاء إلى مصر دخل معبد آمون بالواحات وقال له: "أريد أن أكون ابنك، أريد أن أنتمي لك". وحينما مات الإسكندر الأكبر بحمى وهو في بابل كتب وصية أن يدفن في مصر.

وهذا يعني أن آلهة مصر كانت مقدرة في العالم كله. والأمر الهام أيضاً أن قوة مصر كانت تفرض على العالم ويخشى الكل قوة مصر وآلهتها أيضاً إذ يعتبرون الأمة القوية تحميها آلهة قوية أيضاً.

فلكي يعلن الله ذاته كان لابد أن يأتي بالشعب الذي صنعه إلى مصر، ولكن كان لابد أيضاً أن يكون هذا الشعب ضعيفاً أي لا يكون لديهم جنود أو أسلحة حتى تكون القوة كاملة للإله الذي يعبدوه

ويحميهم ولا يكون لأي عنصر أخر عمل في قوة هذا الشعب فلا يكون بقوة ذاتية بشرية انتصر هذا الشعب فتنسب قوة الانتصار لإله هذا الشعب فقط. وقد كان هذا فعلاً.

بدأ العالم كله يتجه بأنظاره لشعب مصر لأنه أعظم قوة، ولأن الفكر اللاهوتي المصري أيضاً كان قد بدأ ينتشر. فقد كانت مصر قد بدأت تعطي صورة الإله الواحد قوة كبيرة رع الإله الكبير، ولكن كان عندهم تشويه في الفكر لأن فكرهم لم يكن نابع من إعلان إلهي ولكن من حكمة بشرية ومن إشراق روحي في بعض الأحيان، فقد كان لهم اشتياقات روحية. وهذا ما جعل الله أيضاً يحضر شعبه إلى مصر، لأنه كان يريد أن يعلم المصريين إن هو الإله فهو كان يريد العالم كله يدرك إنه الإله الأعظم.

كيف يفعل الله هذا؟ يتدخل في التاريخ والزمن فتحدث مجاعة، فالشعب إبراهيم واسحق ويعقوب مازال متغرب في برية يحيوا مثل أي قبيلة فيستخدم الله شر أخوات يوسف فيبيعوه إلى قبيلة إسماعيليين، وفي مصر يبيعوه إلى فوطيفار وتحدث القصص الصغيرة التي في حياة يوسف بأنه يدخل السجن، ويحلم من في السجن بأحلام وهو يفسرها، ثم يحلم فرعون حلم غريب جداً الذي هو فكرة السبع سنين المجاعة

والسبع السنين التي بها خير، ويقول له الساقي أنه يعرف من الذي يستطيع أن يفسر له هذا الحلم.

فيحضروا يوسف من السجن، ويستطيع بروح ربنا أن يفسر الحلم ويقول له أن العالم سيمر بسبعة سنين مجاعة. فيقول له فرعون إذن سأجعلك أنت المسئول عن تجميع الغذاء قبل المجاعة. ثم تبدأ المجاعة فعلاً. وكان يوسف في مرحلة الدولة الوسطى وهناك رأيين، رأى أنهم دخلوا وقت الهكسوس وهذا رأى ضعيف.

ولكن الرأي الأخر وهو الأهم، أن حينما جاء يوسف وأخوته كان ذلك أثناء حكم الأسرة الثالثة عشر، وذلك لأن فرعون مصر سيعطيه اسم صفنات فعنيح (خبز الحياة). واكتشفوا أن الأسرة الثالثة عشر شقوا ترعة تروي أراضي صحراوية حتى يزيدوا القمح وأطلقوا عليها فعنيح فربطوا أنهم جاءوا في هذه الفترة.

بالإضافة إلى أن أسماء الأسرة الثالثة عشر أغلبيتها تأخذ هذه الصورة، فمثلاً أحد الفراعنة يدعى "نفر- حتب- رع" أي القوة هي روح رع، و"نفر- رع" أي الجمال هو روح رع. فهذه هي طريقتهم في المسميات فأطلقوا على يوسف "صفنات فعنيح".

والدولة الوسطى كانت أكبر دولة مستقرة وأكبر دولة أقاموا أراضي زراعية وجمعوا خير القمح، لذلك قالوا إن يوسف الصديق كان في هذه الفترة.

وفي أخر الدولة الوسطى ضعُفت ودخل الهكسوس مصر. وهذا يفسر لنا فكرة هامة ما الذي جعل أربعمائة سنة لم يحدث أزمة بين الشعب الذي دخل وهو أخوة يوسف وعائلاتهم وبين الفراعنة؟ لأن الهكسوس وقتها كان شعب من منطقة آسيا وغالباً من منطقة المديانيين واستطاعوا أن يحتلوا مصر، أي أن العبرانيين كانوا أقرباء لهم أو جيرانهم على الأقل فتركوهم يعيشوا في أرض جاسان التي هي صان حجر حالياً، فالشعبين أي الهكسوس والعبرانيين أجانب على الشعب المصري.

ثم جاء أحمس وطرد الهكسوس عام ١٥٨٠ق.م، وبدأ يحدث نوع من أنواع الشعور بأن شعب العبرانيين دخلاء لأنهم كانوا أصدقاء الهكسوس فصاروا مكروهين من الشعب ويخاف منهم الحكام المصريين، وعندها بدأ يحدث الاضطهاد الذي عنده سيأتي موسى النبي.

فقد خاف المصريون من أن بني إسرائيل يفعلوا مثل الهكسوس ويحتلوا مصر لأن الهكسوس كانوا قد دخلوا مصر ليس عن طريق الحرب ولكن عن طريق الهجرة الجماعية والانتشار ثم صاروا أقوياء

واستولوا على السلطة واحتلوا البلاد، فصار اضطهاد كبير للعبرانيين حتى أن فرعون أصدر قرار أن أي قابلة تقوم بعملية ولادة للعبرانيات وتنجب ذكراً فلابد أن تقتله، فقد كان المصريون يستخدمونهم في رعي الغنم وصناعة الطوب. أما قتل الذكور هذا حتى لا يكونوا جيشاً ويحتلوا مصر مثلما فعل الهكسوس.

وفي ذلك الوقت حدثت قصة القابلة التي كانت تخاف الله وتركت بعض الأطفال الذي من بينهم موسى النبي الذي كبر في بيت الفراعنة. وكلمة الفراعنة كانت تطلق على بيت فرعون، والعائلة المالكة فقط، أما باقي الشعب يطلق عليهم المصريون. والكتاب المقدس يقول عن موسي النبي:

"فتهذب موسى بكل حكمة المصريين"

(أع ٧: ٢٢)

فكان موسى النبي شخص غير عادي لذلك اختاره الله. **ويقول القديس باسيليوس:** "لقد تعلم موسى النبي الفلك والعلوم والحكمة من المصريين وهذا مهد الطريق لكي يرى الله".

وبعد أن كبر حدث إنه خرج فوجد مصري يتعارك مع عبراني ، فقتل المصري، وخاف فهرب وذهب إلى أرض مديان التي تقع على الحدود بين سيناء والأردن . وكان هناك منطقتين في سيناء ، منطقة حضارية بنى فيها الفراعنة حصون عسكرية، ومنطقة أخرى صحراوية بها بعض القبائل لهم أصول غير مصرية مثل مديان .

ثم جاءت الفترة الحاسمة في حياة موسى النبي فيقول الكتاب المقدس :

"إني قد رأيت مذلة شعبي... وسمعت صراخهم... فنزلت لأنقذهم" (خر ٣: ٧، ٨)

فهذا هو الوقت الذي يعلن فيه الرب ذاته وسط العالم، فالعالم كله قد عرف أن هناك شعباً مستعبداً وضعيفاً جداً عند المصريين، فقد بنى هذا الشعب مدن فيثوم ورعمسيس وهي تقع في محافظة الشرقية .

وبدأ الله يتعامل مع موسى النبي ، ففي جبل سيناء وبينما هو سائر نظر شجرة العليقة مشتعلة ولم تحترق ، فدار الحوار بينه وبين الرب ، فقال الرب له :

"اخلع حذائك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب"

(خر ٣: ٥، ٦)

وقال له الرب إنه اختاره لكي يذهب إلى فرعون ويطلب منه أن يطلق شعبه، فلم يدرك موسى النبي كيف يتحقق هذا في الوقت الذي كان هو هارباً في البرية مدة أربعين سنة، وكان موسى النبي عمره ثمانون عاماً.

فقال له موسى النبي أني لست رجل كلام، فقال له أحضر هارون يكون لسانك. وبدأ التدبير يسير في اتجاه تكوين شعب الله ليعلن للعالم عن ذاته، كما قال الرب:

"فيعرف المصريون أني أنا الرب"

(خر٧: ٥)

ونفهم من ذلك أن التدبير لم يكن فقط كي يخرج الشعب من مصر بل كان أيضاً حتى يعرف المصريين إنه هو الرب وأن فكرهم مشوش، وأن القوة التي يعبدوها كإله هو من يخبرهم عنها موسى النبي.

ومن هنا كان الصراع بين موسى وفرعون عن الإله الأقوى، فكان الفرعون يتكلم مع موسى بتحدي من هو الإله الذي تأتي وتكلمني عنه فإن إلهتنا هي الأعظم. وكان التدبير الإلهي هو:

"ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر"
(خر٧: ٣)

فقد كان يريد الرب أن يعلن عن قوة الإله العظيم الحقيقي، ويظهر ضعف كل رموز الآلهة التي كان يعبدها المصريون كقوة خارجة من قوة الإله العظيم حسب إيمانهم الذي هو رع، حتى يدرك المصريين وكل الشعوب من هو الإله الأعظم. وكما قلنا سابقاً كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يستعلن بها الرب أنه يقف أمام قوة هذه الشعوب التي تؤمن أن قوتها وراء منها آلهة يعبدونها.

وفي البداية قال فرعون لهم أنتم لا تريدوا أن تعملوا، أنتم كسالى، وأمر أن تثقل اليد عليهم أكثر، فتذمر الشعب على موسى. فأمر الرب موسى أن يذهب لفرعون ويقول له:

"لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلهنا"
(خر ٨: ١٠)

✍ الضربات العشر

الضربة الأولى "تحول النيل إلى دم":

والدم عند الفراعنة يعني الموت الذي هو حسب عقيدتهم نجاسة. فكانت فكرة أن النيل يتحول إلى دم تعني أن إله النيل ضعيف لا يستطيع حماية نفسه. فالنيل كان مقدس في فكرهم بل يحمل قوة إلهية، حتى أن الفراعنة كان عندهم أكبر إلهين هما السماء والنيل. أن الآلهة العظمى التي خرجت من رع "نوت" السماء، والنيل "حابي".

وكان النيل مقدس لدرجة أن مياهه تقدس الشعب، وكان الفرعون ينزل كل يوم في النيل حتى يتطهر. وكانوا يحتفلون بالنيل احتفالاً عظيماً كل عام. فانزعج الفرعون وطلب من موسى أن يرفع الضربة، وفعلاً رفع الرب تلك الضربة. ولكن عاد فرعون وقسى قلبه فكانت:

الضربة الثانية "الضفادع":

والضفادع في فكرهم ترمز إلى الخصوبة. وكان هناك الإله "حقت" الذي رمزه ضفدعة، وزوجها "خنوم" علامة الخصوبة. وكان حينما تنتفخ الضفدعة وتخرج صوتها يقولون إن هذا وحياً من أوزوريس. وكانوا يعتبروا الضفدعة كتميمة تساعد السيدات وقت الولادة.

فحينما انتشرت الضفادع في البيوت كانوا لا يستطيعون أن يقتلوها لأنها مقدسة، ولكنها ملأت بيوتهم فشعروا إن هناك قوة أعظم من إدراكهم ساقت هذه الضفادع رغماً عنها، وهذا يعني إنها ضعيفة والقوة الإلهية التي ساقتها أعظم منها. ومع هذا كان قلب فرعون قاسي، فكانت:

الضربة الثالثة "البعوض":

وكان المصريون يعبدوا الإله "ام- حتب" إله الطب، وكانوا يصنعوا له طقوساً خاصة حتى يتفادوا الأمراض وخاصة من البعوض، فالفراعنة كانوا يكرهوا البعوض جداً فكانت هذه الضربة موجهة إلى إله الطب.

الضربة الرابعة "الذباب":

وكانوا يعتقدوا أن الذباب ينقل الأمراض والجراثيم. وكانوا يصنعوا تميمة على شكل ذبابة حتى يتقوا شرها. وفي كل ضربة كان يحدث الحوار بين فرعون وموسى النبي لرفع الضربة. ففرعون لم يكن لديه أي شك في قوة آلهتهم حتى يستسلم بسهولة، لأن معنى ذلك أنهم سيفقدون أمام العالم أجمع هيبة آلهتهم ويعترفون بأن إله موسى هو الأعظم. فكانت:

الضربة الخامسة "موت المواشي":

وكانت موجهة إلى عقيدة خاصة جداً فيها العجل أبيس الذي كانوا يظنون أن العجل به روح أوزوريس، كما كانوا يعتقدون أن البقرة حتحور مقدسة. فضربة المواشي تعني أن هذه الرموز المقدسة بلا قوة. ثم كانت:

الضربة السادسة "الدمامل":

وكان لديهم طقوس خاصة لتلافي هذه الميكروبات أنهم يقدموا بعض القرابين ويذروها في الهواء حينما تصاب مصر بأمراض وأوبئة. فلم تفلح هذه الطقوس. وكان وقتها قد بدأ الشعب في التذمر، وصارت مصر بأكملها تتابع الصراع اليومي اللاهوتي بين الإله الأعظم والحقيقي وبين الفراعنة بتاريخهم وحضارتهم ولاهوتهم الرمزي والأفكار التي طالما علموا وآمنوا بها. وكانت:

الضربة السابعة "البرد":

وموجهة إلى الإله "نوت" و"رشبو" إله العواصف والرياح. ويقول في سفر الخروج:

"لأني هذه المرة أرسل جميع ضرباتي إلى قلبك وعلى عبيدك وشعبك... ولكن لأجل هذا أقمتك، لكي أريك قوتي، ولكي يُخبر باسمي في كل الأرض" (خر ٩: ١٤-١٦)

وهذا حتى نفهم أن هذه الحرب لم تكن مجرد أمور شخصية ولا من أجل أن الشعب يخرج من العبودية فقط، ولكن لإظهار اسم الرب العظيم. وسترون في الأحداث التي تلت الخروج كيف أن العالم أجمع سمع هذه الأحداث، وإن الأمم بدأت تؤمن بأن إله إسرائيل هو الأعظم. وكانت:

الضربة الثامنة "الجراد":

الذي كان موجه للإله إيزيس، لأنهم كانوا يعتبروا أن الإله إيزيس حامية مصر من الجراد. ثم كانت:

الضربة التاسعة "الظلام":

والظلام يعني الشمس الذي هو الإله رع، الإله العظيم يحتجب رغماً عنه فحتى أخناتون نادى بأنه لا يوجد إله أخر غير رع. وقد كان المصريون يؤمنون بأن رع هو الإله الذي يرسل قوته بأشعة الشمس، وكانوا يضعونه فوق كل رموز الآلهة المصرية. وكان الظلام في كل مصر فيما عدا الأماكن التي بها شعب العبرانيين.

وحينما صلى موسى ورفعت الضربة وجاء النور والشمس تراجع فرعون ورفض خروجهم. فكانت الضربة العاشرة والأخيرة وهي موجهة إلى الإله العظيم الذي بيده الموت والحياة وهي ضربة الأبكار.

الضربة العاشرة "الأبكار":

فقد كانت موجهة لحياة المصريين، حتى يدركوا هم والعالم كله إن إله موسى والعبرانيين يحمل قوة على البشرية كلها. وإن إله هذا الشعب هو إله الحياة فهو الإله ضابط الكل. لذلك كان كل بيت من بيوت المصريين به صراخ فقد مات كل بكر.

وهذه القصة مرتبطة بخروف الفصح، فقال لهم قدموا ذبيحة وتأخذوا من دمها على العتبة العليا والقائمتين أي شكل صليب، وسيمر الملاك ينظر الدم فيعبر.

وكانت هذه الرموز لكي يغرس الرب داخل أفكارهم وأمامهم التدبير الخاص بذبيحة الصليب، فخروف الفصح هو الذي أنقذهم من الموت وأعطاهم الحياة، فدم الذبيحة هو الذي نجاهم، فيدركوا أن هناك دم ذبيحة تخلصهم. فقدموا خروف الفصح ووضعوا الدم وفي الفجر عبر

الملاك المهلك، وكل من وجد الدم عبر، ومن ليس عليه دم الخروف ماتت الأبكار.

وعندها سلم فرعون أن إله موسى هو العظيم، وأمر بأن يخرجوا سريعاً. ولكن ذلك بعد أن أدرك المصريين جميعهم أيضاً أن إله العبرانيين هو الإله الأعظم. والعالم كله سيسمع فيما بعد أن العبرانيين لديهم إله هزم المصريين وجعلهم وبدون حرب وجيوش وبقوة الإله فقط يخرجوا من مصر.

ولأجل هذه الملحمة الإلهية التي أعلن فيها الرب ذاته أمام المصريين نجد أن هناك مجموعة من المصريين قد خرجوا مع شعب العبرانيين، فقد خرج ٦٠٠,٠٠٠ رجل عبراني فإذا أضفنا النساء والأطفال يكون من خرج حوالي اثنين مليون من شعب الرب، وكان معهم لفيف وهم الذين خرجوا من المصريين المتابعين للأحداث وآمنوا بالرب.

وحينما خرج الشعب لم يكن في أذهانهم إلى أين سيذهبون، ولكن كان هذا الصراع هو بداية تكوين شعب الرب.

﴿ من هو فرعون الخروج؟

هناك آراء كثيرة لتحديد من هو فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج أحداها يقول إن الخروج حدث في حدود عام ١٥٠٠ ق.م، فيكون الفرعون هو "امنحتب". وتكون حتشبسوت هي الأميرة التي أخذت موسى النبي. ولكن هذه فكرة ضعيفة وليس لها سند كبير تاريخي.

وهناك رأى ضعيف أخر يقول إن فرعون الخروج هو "توت عنخ آمون" ويؤيد هذا الرأي سيجموند فرويد وبرستيد وهول وأرمان ويقولون إن "توت عنخ آمون" تعلم التوحيد من موسى النبي. وهذا رأى ضعيف جداً طُرح فقط لجعل اليهود هم من علموا عبادة الإله الواحد للمصريين. وحسب الاكتشافات للأناشيد والصلوات التي ترجع إلى ما قبل عام ٥٤٠٠ق.م نجد أن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بالإله الواحد قبل توت عنخ آمون بل وقبل أخناتون أيضاً.

وهناك آراء أخرى لم تلقى بقبول الكثير من العلماء وهو أن فرعون الخروج هو تحتمس الثاني، **فيقول "موريس بوكاي"** (١٩٦٠م): "ج. دي ميسلي الذي يدعي أنه توصل إلى تحديد زمن الخروج بل حدد أيضاً اليوم، وهو ٩ أبريل ١٤٩٥ق.م. وهذا من خلال حساب التقويمات. وبنى على ذلك أن تحتمس الثاني هو فرعون الخروج، وهذه الاستنتاجات

لا تأخذ في الاعتبار الأمور الأخرى من رواية الكتاب المقدس، وخاصة الإشارة إلى مدينة رمسيس، تلك التي تبطل كل فرض عن تحديد تاريخ للخروج قبل أن يكون أحد الرعامسة قد ملك مصر".

وهناك رأي ضعيف أخر هو أن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني، وصاحب هذا الرأي هو الأب ديفو في كتابه "تاريخ إسرائيل" معتمداً على أن الخروج لم يحدث إلا بعد بناء مدينتي رمسيس وفيثوم، وقال إن عام الخروج هو ١٣٠١ق.م، وافترض الأب ديفو أن رمسيس الثاني هو الذي اضطهد العبرانيين، وفي النصف الأول أو منتصف حكمه خرج العبرانيون من أرض مصر.

وهناك رأى أخر له أكثر من سند فقد قال **"كنت أ.كتشن"**: "أن فرعون التسخير هو سيتي الأول، وفرعون الخروج هو رمسيس الثاني، على اعتبار أن سيتي الأول هو الذي بدأ بناء مدينتي رعمسيس وفيثوم، وتم الانتهاء منهما في عصر ابنه رمسيس الثاني وهذا ما دعي تسمية أحد المدينتين باسمه، وجاء في لوحة ترجع إلى مرنبتاح ابن رمسيس الثاني "وإسرائيل خربت ولم يعد لها بذر" أي أنها خرجت من أرض مصر ولم يعد لها وجود"، وجاء في النقوش التي تم اكتشافها على جدران بعض المعابد التي أقامها رمسيس الثاني تسخيره للأسرى.

ولكن من أشهر الآراء في تحديد زمن الخروج رأيان، أحدهما أن فرعون الاضطهاد وهو "تحتمس الثالث" عدو الساميين وفرعون الخروج خليفته "أمينوفيس"، والرأي الأخر يقول إن فرعون الاضطهاد هو "رعمسيس الثاني"، وفرعون الخروج هو خلفه "مرنبتاح". وقد ساق كل أصحاب رأي الأدلة التي تثبت صحة رأيهم، وهاك عرض سريع لهذين الرأيين:

الرأي الأول: فرعون الاضطهاد هو "تحتمس الثالث" وفرعون الخروج هو "أمينوفيس" (أمنحوتب الثاني):

تحتمس الثالث هو من ملوك الأسرة الثامنة عشر، ويُعرف في التاريخ بأنه عدو الساميين، فهو الذي أصدر قراراً بقتل أطفال بني إسرائيل من الذكور، ويحدد المؤرخون مُلكه بالفترة من ١٤٩٠- ١٤٣٦ق.م، وقد خلفه أمينوفيس خلال الفترة من ١٤٣٦- ١٤١٣ق.م. وصاحب هذا الرأي الأول هو "دانييل رويس" في كتابه "شعب التوراة"، اعتمد دانييل في فرضه هذا على أساس أن تحتمس الثالث كان شديد القومية. إذا هو الذي اضطهد العبرانيين لأنهم من الساميين مثل الهكسوس الذين احتلوا مصر نحو مائة وخمسين عاماً. وقال بهذا تكون الملكة حتشبسوت هي التي التقطت موسى وربته في القصر. ويقول **"دانييل رويس"**: "أن

التوراة قد أشارت إلى فرعونيين واحد اضطهد إسرائيل والأخر هو فرعون الخروج، الأول إذا هو تحتمس الثالث وتحت حكم ابنه أمنحوتب الثاني "أمينوفيس" قام موسى النبي بإخراج إسرائيل بين عامي ١٤٥٠و ١٤٢٠ق.م تقريباً". وأيد هذا الرأي أيضاً عالم الآثار "لبيب حبشي" كما غلبت الكثير من كتب التفاسير هذا التاريخ.

ومن الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب هذا الرأي:

أ- إن هذا الرأي هو الأقرب لما جاء في سفر الملوك "وكان في السنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر في السنة الرابعة للملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني. أنه بُني بيت الرب" (١مل ٦ : ١)، وحيث أن سليمان ملك ٩٧٠ق.م إذا السنة الرابعة من ملكه هي ٩٦٧ أو ٩٦٦ق.م وبإضافة ٤٨٠ من وقت الخروج للسنة الرابعة لملك سليمان (٩٦٧+ ٤٨٠= ١٤٤٧ق.م تقريباً) وقال البعض أن هذا التاريخ قد يمثل نهاية حكم تحتمس الثالث وبداية حكم أمينوفيس.

ب- عندما ارتقى تحتمس الثالث العرش كان أميراً صغيراً فشاركته الحكم حتشبسوت ابنة تحتمس الأول (١٥٢٥- ١٤٩٥ق.م) فقالوا إنها هي التي ربت موسى النبي كما يقول **"جون جارستانج"** وأيد

"**م.ف. بونجر**" هذا الرأي... "إنه قد كُشف في مقابر أريحا الملكية ما يشير إلى أن موسى قد انتشلته من الماء الأميرة المصرية "حتشبسوت" عام ١٥٢٧ق.م على وجه التحقيق. وإنه تربى في بلاطها بين حاشيتها، ثم فر من مصر حيث جلس على العرش المصري تحتمس الثالث".

ج- وُجد في تل العمارنة رسائل مرسلة من بعض الحكام المصريين الذين في أرض كنعان يشتكون فيها من استيلاء العبيرو (العبرانيين) على حصون الملك ويرجع تاريخها إلى عصر أخناتون "أمنحتب الرابع" (١٣٨٣- ١٣٦٦ق.م) وهذا يقابل تقريباً عصر يشوع بن نون واستيلائه على أرض كنعان.

ذكر "**مانيتو**" (القرن الثالث ق.م): "أن الملك أمينوفيس الثاني قد طرد الإسرائيليين إرضاء للآلهة إذ أراد تطهير البلاد من البُرص وجميع النجسين". وجاء في **دائرة المعارف الكتابية**: "هذه المعلومات التاريخية تبرر القول بأن الخروج حدث في زمن الأسرة الثامنة عشرة، وهو شيء محتمل في ذاته، حيث أن حكام هذه الأسرة المقتدرين قد ساروا على خطة جديدة في تعاملهم مع هذه المنطقة. وبذلك يكون الذي فرض السخرة على إسرائيل هو تحتمس الثالث (حسب رأي ماير) من سنة

١٥٠١- ١٤٤٧ق.م. وأن الخروج قد حدث في عهد خلفه أمينوفيس الثاني ويتفق مع هذا ما سجله مانيتون المؤرخ من أن "البُرص" (ويقصد بهم الإسرائيليين) قد طردهم الملك أمينوفيس".

الرأي الثاني: فرعون الاضطهاد "رمسيس الثاني" وفرعون الخروج هو "مرنبتاح"

ورمسيس الثاني هو ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشر، فرمسيس الأول هو مؤسس هذه الأسرة، وقد تولى بعده سيتي الأول (١٣١٩- ١٣٠١ق.م) واسم سيتي مرتبط باسم الإله ست، ثم حكم ابنه رمسيس الثاني الذي أرخ له البعض بالفترة من (١٣٠١- ١٢٣٤ق.م)، وأرخ له آخرون بالفترة (١٢٩٠- ١٢٢٤ق.م). وكان محارباً عظيماً وفي عهده حدثت معركة قادش ١٢٨٦ق.م على النهر العاصي بين الحثيين والمصريين، وإن لم يتحدد من هو المنتصر، إلا أن رمسيس الثاني كان يميل لتصوير نفسه بالمنتصر، وما يمكن أن يقال إن هذه المعركة قد حسمت الصراع بين الحثيين والمصريين، وانتهت بعقد صلح بينهما وتزوج رمسيس الثاني من ابنة الملك الحثي "حاتوسيل" وتم الخروج في عصر مرنبتاح ابن رمسيس الثاني.

ومن الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب هذا الرأي

أ- كان رمسيس الثاني مهوساً بحب البناء والعمران، حتى أنه أزال أسماء الفراعنة السابقين عن الأبنية التي بنوها ونقش اسمه عليها، وكان له مشاريعه الجبارة التي استغل فيها الأجراء وأيضاً بني إسرائيل، فبنوا له مدينتي رعمسيس وفيثوم، وقد تم اكتشاف نقوش لرمسيس الثاني جاء فيها "أنا بنيت فيثوم". كما تم اكتشاف لبنات عليها اسم رمسيس الثاني بعضها مخلوط بالتبن وبعضها بدون تبن، وهذا يعكس ما جاء في (خر ٥ : ١٠- ١٢). كما أنشأ رمسيس الثاني معبد أبو سمبل الذي حفره في الجبل (والمطل حالياً على بحيرة السد العالي بعد نقله من مكانه الأصلي) وفي مدخله وضع أربعة تماثيل له يصل ارتفاع كل منها نحو ٢٠ متراً كما شيد معبد طيبة في الأقصر.

ب- جاء في برديات ترجع إلى عصر رمسيس الثاني قصص عن العبيرو (العبرانيين) الذين يجرون الحجارة الضخمة لبوابة معبد الملك رمسيس الثاني. وقصص أيضاً عمن يصنعون الطوب بدون تبن.

ج- تم تسجيل انتصار مرنبتاح على إسرائيل على شكل قصيدة نقشت على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود، وقد اكتشفها "فلندر بتري" في المعبد الجنائزي بطيبة، ودُعيت هذه اللوحة بلوحة إسرائيل وجاء فيها "وإسرائيل قد خربت وانقطعت بذرتها"، وتعتبر هذه أول إشارة صريحة لإسرائيل، ولا تأتي إشارة أخرى لإسرائيل إلا بعد أربعة قرون من هذا التاريخ، وقد تُرجمت العبارة السابقة على عدة أوجه:

فقد ترجمها **"جرفث"** إلى "وقوم إسرائيل قد صاروا قفراً ومحاصيلهم قد ذهبت". وترجمها **"بتري"** إلى "وقوم إسرائيل قد أتلفوا وليس لديهم غلة". وترجمها **"نافيل"** إلى "وإسرائيل قد مُحي وبذرته لا وجود لها".

ويقول **سليم حسن**: "إذا قبلنا ترجمة "نافيل" ورأيه في كلمة "بذرة" فإنه يصبح من الطبيعي إذا أن يقول: "أن النقش يشير هنا إلى خروج بني إسرائيل ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم، ومن ثم أصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر. والواقع أن ما جاء في متن هذه اللوحة على ما يُظن يعد سجلاً معاصراً لخروج بني إسرائيل مع حوادث أخرى، كما يدل دلالة واضحة على إنه قد وقع في السنة الخامسة من عهد "مرنبتاح" كما يعتقد "نافيل""".

وقال **"نافيل"**: "إن النقش يشير هنا إلى خروج بني إسرائيل، وكذلك يعني أنه طرد من أرض مصر جنس أجنبي من البدو يدعى إسرائيل ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم، ومن ثم يصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر". فقد سجل الفنان المصري خروج بني إسرائيل من مصر كأنه طرد وليس خروج منتصر، وربما يتفق هذا مع ما جاء في سفر الخروج "ثم قال الرب لموسى ضربة واحدة أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر وبعد ذلك يطلقكم من ههنا. وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من ههنا بالتمام" (خر١: ١).

وجاء في **دائرة المعارف الكتابية**: "مازال الاعتقاد السائد هو أن رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد، وقد كان هذا الملك شديد الولع بتشييد المباني بصورة خارقة. وقد حدد "إدوارد ماير" تاريخ ملكه الطويل من (١٣١٠- ١٢٤٤ق.م) وبهذا يكون ابنه مرنبتاح هو فرعون الخروج. ولكن إن افترضنا هذا، فإن التسلسل التاريخي للكتاب المقدس لا يواجه صعوبات خطيرة فحسب، بل يلزم تجزئة سفر القضاة إلى أجزاء صغيرة جداً وهناك أيضاً معلومات تاريخية محددة تؤيد تاريخاً مبكرة لخروج إسرائيل. فإن الملك مرنبتاح يفخر في أحد النقوش بأنه

في إحدى حملاته على سوريا حطم رجال إسرائيل (وهنا يذكر اسم إسرائيل لأول مرة في أحد الآثار المصرية".

الاكتشافات الأثرية التي تؤكد الضربات وأحداث الخروج

- في العريش اكتشفوا في القرن الخامس عشر كتابة تعود للقرن الثالث ق.م تقول: "إن الإله "شو" إله الهواء، والإله "جب" إله الأرض هُزموا أمام إله إسرائيل.
- لوحة أخذت من أحد المقابر موجودة في كاليفورنيا في جامعة "أوكلاهوما" يرجع تاريخها للقرن الخامس عشر ق.م، اللوحة عبارة عن عجلة حربية تُطارد موسي النبي، وتغرق في المياه.
- لوحة مشهورة لـ "مرنبتاح" وذُكر فيها اسم "إسرائيل". مرنبتاح هو ابن رمسيس الثاني- الذي كان يتحاور مع موسي النبي- والذي صار ملكاً لمصر بعد والده رمسيس الثاني.

وهذه اللوحة موجودة في المتحف المصري، ويُذكر فيها استغاثة من أحد الأمراء لشعب من شعوب المنطقة الشمالية لأرض سيناء يقول

فيها : "أن الشعب الخارج من مصر سيهاجمنا"، فرد مرنبتاح : "أن بذرة شعب إسرائيل ستموت لأنهم تاهوا في البرية". فهذا يُوثق ليس فقط الخروج ولكن أيضاً التيه في البرية.

- لوحة أخري موجودة في تل العمارنة، توضح أن شعب بني إسرائيل كان يعيش في مصر، وبسبب زيادة الشعب، أمر الملك أن كل قابلة تُولد أحد النساء العبرانيات وكان المولود ذكر تقتله.
- لوحة تل العمارنة وبها استغاثة من كبار رجال الدولة للملك أخناتون من قوة شعب بني إسرائيل بأنهم يتزايدوا وتخوفهم من احتلالهم مدينة الشرقية مثلما فعل الهكسوس.
- ونأتي لأهم الأدلة للتوثيق التاريخي لمرحلة الضربات العشر وهي : **بردية "إبيور"** التي اكتشفت في القرن الثامن عشر وتعود للقرن الخامس عشر ق.م. وهذه البردية اشتراها عام ١٨٢٨م المتحف الوطني بـ "ليدن" في هولندا.

وقد ترجم هذه البردية عالم كبير يدعي " إيمانويل فلكوفسكي". وهي عبارة عن مرثية لشخص يصف حال الشعب وقت الضربات العشر، تحتوي على سبعة عشر صفحة، حينما نقارن بين ما ورد في

هذه البردية وبين ما ورد في الكتاب المقدس عن الضربات العشر نجدها متطابقة تماماً، فيها يقول إن الشعب المصري كله كره الحياة وكان منتظر الموت، مثلاً: في ضربة الأبكار ورد فيها: حقاً هؤلاء الذين كانوا يركضون في غرف التحنيط طرحوا أكواماً.

وتُعد هذه الوثيقة مهمة جداً لأنها تُسجل ما حدث على لسان المصريين. ورد فيها حينما غطت الظلمة الأرض: " لم توجد فاكهة ولا أعشاب والأرض تتوقف عن الضجيج، والجلبة لا تحدث بعد".

فلا يمكن لأحد بعد هذه البردية يشكك في أحداث الكتاب المقدس في العهد القديم، ولكن بالطبع لن نجد آثاراً كثيرة لهذه الفترة لأن القدماء المصريين لم يسجلوا فترات الضعف أو الهزيمة ولكنهم كانوا يسجلوا الانتصارات والأعمال الهامة ذات الفخر والمجد.

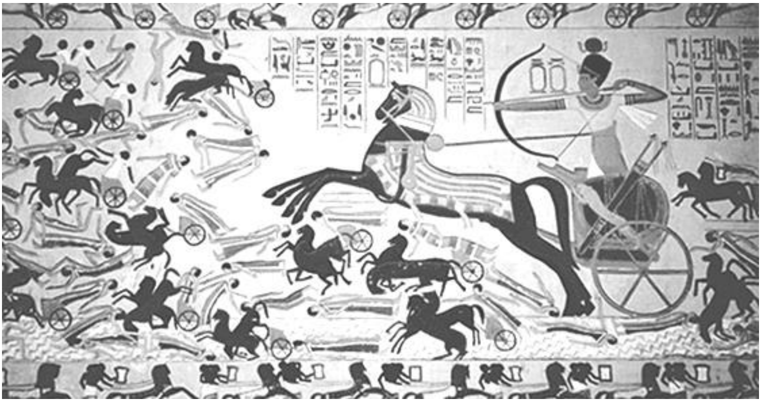

☆كيف تم الخروج

وخرج الشعب ليس من البحر الأحمر نفسه، ولكنهم خرجوا من البحيرات المرة عند خليج السويس. وفي أثناء حفرهم لقناة السويس الجديدة في منطقة البحيرات المرة حسب ما ذكرت **قناة روسية إخبارية تدعى "سبوتنك"** وأخذت منها وكالات أنباء كثيرة ونشرته في الثالث من أكتوبر ٢٠١٧م قالوا: "أن جامعة القاهرة أرسلت بعثة أثناء حفر قناة السويس الجديدة وعثروا بالقرب من سواحل البحر الأحمر عند خليج السويس بقايا أربعمائة هيكل بشري يعود للقرن الرابع عشر ق.م".

واكتشفوا أيضاً في القسم الأسفل من خليج السويس على بعد مائة وخمسون كيلو من شاطئ مدينة رأس غارب أن هياكل هذا الجيش معهم أسلحة ومعدات، واكتشفوا خمسة آلاف هيكل أخر على مساحة أوسع من المكان. وهذا يعني أن هذا هو الجيش الغارق من المصريين الذين أرسلهم الفرعون وراء موسى النبي.

وبالطبع قد حدث تغيرات طبيعية فهذه كانت امتداداً للبحيرات المرة، وهذا يؤكد قصة الكتاب المقدس.

وكان من المفترض أن الشعب يخرج شمالاً ناحية البحر المتوسط ويمشي بمحاذاة البحر ليصل إلى أرض كنعان التي كان الرب يريد وضعهم فيها. ويطلقوا على هذا الطريق "الطريق الملكي" فكانوا على طول الطريق واضعين حاميات وجيوش مصرية حتى تحمي البوابة الشرقية، ويقال إن تحصينات المصريين من عصر أمنحتب الأول ١٩٩١ق.م و١٩٦١ق.م فكانت المنطقة بأكملها محصنة بجيوش. وهذا هو الطريق الذي جاء منه إبراهيم وإسحق ويعقوب. **ولكنهم لم يمشوا في ذلك الطريق. لماذا؟**

يقول الله في سفر الخروج:

"وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة، لأن الله قال: لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف" (خر ١٣: ١٧، ١٨)

هذا الطريق كان يستغرق سيراً على الأقدام أسبوعين، إلا أنهم كان سيواجهون شعوباً قوية مثل الفلسطينيين ولن يقدروا عليهم فيخافوا ويرجعوا.

كما كان أيضاً هذا الشعب كثير التذمر على الله فكان يحتاج فترة إعداد روحي وإيماني حتى يثقوا تماماً إن إلههم العظيم قادر على كل شيء وهذا لن يحدث في أسبوعين، ولكنهم كانوا محتاجون إلى اختبارات حتى يتخلص الشعب من عاداته وتاريخه القديم وما تعلمه في مصر ويجدد ذهنه بإيمان جديد في الرب نفسه. فجعلهم الله يتوهوا في البرية أربعين سنة.

وعبروا من بحر سوف الذي هو امتداد البحر الأحمر من منطقة البحيرات المرة. ولقد أخذوا هذا الطريق من أول ما خرجوا من أرض مصر.

كان تدبير الله في هذه الفترة أن يعلم الشعب أن يثق في الرب مهما كانت الظروف، فيقول في سفر التثنية:

"رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق" (تث ١: ٣١)

ويقول مرة أخرى في سفر هوشع:

"لما كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دعوت ابني... وأنا درجت أفرايم ممسكاً إياهم بأذرعهم... كنت أجذبهم بحبال البشر، بربط المحبة" (هو١١: ١، ٣، ٤)

✍ خريطة الخروج

خرجوا من قصر فرعون الذي كان في منطقة تدعى تانيس لأن الإمبراطورية في ذلك الوقت كانت ضخمة جداً فأقام رمسيس الثاني قصراً له في هذه المنطقة التي تدعى اليوم قنطير التي هي شمال مدينة فاقوس –الشرقية.

ووجدوا هناك قصراً ضخماً لرمسيس الثاني، وعثروا على حجر جيري منقوش عليه اسم الملك ولقبه. وغالباً هذا القصر هو الذي دار فيه الحوار بين موسى النبي ورمسيس الثاني بعد كل ضربة من الضربات العشر. ويقول الكتاب المقدس أنهم خرجوا من **رعمسيس** (المدينة التي بها القصر) وذهبوا إلى بلد أخرى تسمى **سكوت** وهي كلمة عبرانية تعني مظلات وهي الآن في تل المسخوطة بجانب بحيرة التمساح.

ومن سكوت ارتحلوا إلى **إيثام** قريبة من الإسماعيلية يقول في سفر الخروج:

"وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية"

(خر ١٣: ٢٠)

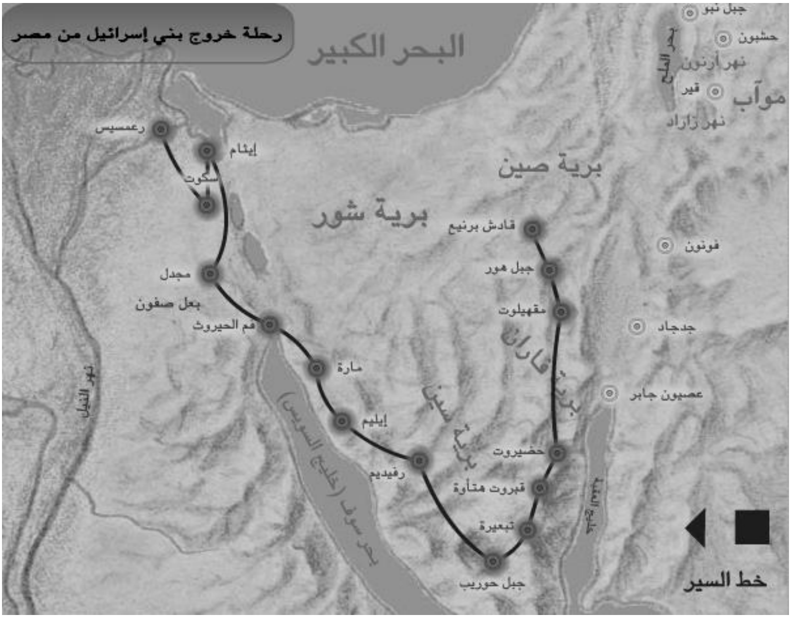

ثم ارتحلوا إلى **فم الحيروث** قريبة من خليج السويس. ويذكر سفر الخروج:

"فيقول فرعون عن بني إسرائيل: هم مرتبكون في الأرض. قد استغلق عليهم القفر" (خر ١٤: ٣)

فقد اعتقد فرعون أنهم لن يستطيعوا عبور البحر فيكونوا عالقين في الصحراء فينقض عليهم ويبيدهم، وبذلك تصير آلهة المصريين هي الأقوى

ولن يرى العالم ضعف آلهة المصريين. ولكن كان هذا أيضاً تدبير إلهي فيقول سفر الخروج:

"وأشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم، فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه، ويعرف المصريون أني أنا الرب. ففعلوا هكذا"
(خر ١٤: ٤)

ثم ذهبوا في المستنقعات التي بين مجدل وبعل صفون، وهي في الأغلب المنطقة الجنوبية من قناة السويس. وحين رأى الشعب جيش المصريين وخروج فرعون وراءهم صرخوا وشعروا أنهم هالكين، فقال موسى النبي للشعب:

"الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون"
(خر ١٤: ١٤)

وقد كان عمود نار يسير أمامهم في كل المدن التي ساروا فيها، فصار عمود النار وراءهم. وقال الرب لموسى النبي خذ العصا التي في يدك اضرب المياه ستنشق. وأرسل الله ريح شرقية طول الليل. واقترب جيش فرعون منهم، ولكن عبر الشعب من البحر وسار خلفهم جيش فرعون فأغلق الرب عليهم المياه فغرقوا جميعاً في البحر. وهذه المنطقة

تسمى إلى الآن عيون موسى وهي على بعد مسافة ٥٨كم من فم الحيروث. وسبح موسى النشيد الرائع:

"الرب قوتي ونشيدي، وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده، إله أبي فأرفعه" (خر ١٥: ٢)

وهو نفس النشيد الذي نسبح به كل يوم في كنيستنا القبطية ونسميه الهوس الأول. كما سمع ماريوحنا في سفر الرؤيا هذه التسبحة لأنها تسبحة المنتصرين. وهذا حتى ندرك أن تدبيرات إلهنا للإنسانية كلها وحدة واحدة. هؤلاء الذين خرجوا من عبودية فرعون بقوة الإله هم الذين سيخرجون أيضاً من عبودية إبليس بقوة المسيح. وهم أيضاً الذين سيعبرون من الأرض إلى السماء بقوة الخلاص بالكنيسة. لذلك كل هذه الرموز لابد أن نراها تشير إلى وحدة واحدة لأن المدبر واحد والفاعل واحد هو الرب الإله.

فالقصة لم تكن مجرد شعب يتعارك مع شعب أخر. ولا كان الله يحاول أن يأخذ شعب معين ويسكنه في مكان أخر. ولكن القضية هي الإنسانية التي ستنتصر على الفساد، وستعبر من حالة العبودية التي سقط فيها الإنسان الأول فينتصر ويصير إنساناً جديداً في السماء. لذلك ماريوحنا سمع تسبحة موسى النبي في السماء، حتى ندرك أن

معاملات الله واحدة ولا يوجد انفصال بين العهد الجديد والقديم. فلقد كان العهد القديم هو الصورة التي يعلن الله ذاته من خلال رموز تتحقق في العهد الجديد ونحياها في الأبدية.

◈ الرب الإله لم يختار شعبا وترك باقي الشعوب

ومنذ أن خرج الشعب وقد صار هناك تدبير أخر، فالرب لم يختار شعب كي يحيا معه ويترك باقي العالم ولكن كان الهدف هو إعلان ذاته من خلال هذا الشعب، وأن يدرك العالم أن هذا الشعب يعبد أعظم الآلهة فيتخلى البشر عن رؤيتهم المحدودة للآلهة التي يعبدونها ويعودوا إلى معرفة الإله الحقيقي ويسمعوا النبوات التي يرسلها الله عن الخلاص بالمسيح.

إذن فلابد أن يكون هذا الشعب لديه أدوات ومعاملات مع الله تجعله يستطيع أن يعلن عن الإله العظيم بكل قوة، وكل الصور التي يمكن أن تدركها البشرية حتى تستطيع أن ترى وتتنسم رائحة الخلاص الذي سيتم بالمسيح في العهد الجديد. فقد كان العهد القديم هو ظل الجديد بكل إمكانياته الخلاصية.

وكان لابد لهذا الشعب أن يحمل صفتين هامتين، وهما الإيمان الذي يجعلهم يطيعونه، والمحبة الكاملة التي تجعلهم يقدموا كل شيء لأجله. لذلك لابد أن هذا الشعب يُختبر إيمانياً ويتعامل مع الله على مستوى اختبار الطاعة والحب حتى يعمل بهم الرب. ولكن للأسف هذا الشعب فشل، وكان في كل مرة يدخله الرب في اختبار ليرى إيمانه يفشل.

وسنرى معاملات الله وهو يعلمهم ويدربهم على كيفية وجود علاقة حقيقية مباشرة تقوم على الإيمان به بعلاقة شخصية حقيقية. فقد كانت صورة كل الآلهة التي يؤمن بها البشر تقوم على فكرة من خلال فلاسفة أو مفكرين أو أساطير ويؤمن بها شعوبهم ولكنهم لم يختبروا الإله شخصياً. فاليونانيين مثلاً يقولوا إن الإله فوق جبال الأولمب وينسجوا قصصاً وأساطير على آلهة بعيدة هناك. والفراعنة وهم يتكلمون عن الإله يتكلموا عن روح الإله العظيم ولكي يشعروا أنه يحيا معهم كانوا يصنعون تماثيلاً وتوابيت لتكون لهم حياة معاشة معهم، فقد كانوا يريدون أن يشعروا بأن الإله قريب منهم وفي حياتهم اليومية.

وهذا لأن الرب الإله حين خلقنا كانت إنسانيتنا تحتاج إلى علاقة مباشرة مع الله، وكان الفردوس هو صورة هذه العلاقة ولكن بالخطية حرمت البشرية من العلاقة المباشرة مع الرب الإله، فنزل الرب وسط

شعبه وصارت معاملاته معهم شخصية مثل الأكل والشرب بل أيضاً عن طريق الوصية والعهد ، كان أربعين سنة في البرية يرعاهم ويحاول أن يشعرهم بأنهم شعبه، إنه غير متباعد عنهم بل هو قريب من كل أحد . ولأن الخطية أحدثت انفصال كياني فكان الله مضطراً أن تكون التعاملات بينه وبين شعبه من خلال الرموز .

◈ طريق الخروج بعد عبور البحر الأحمر

وبعد أن عبروا بحر سوف ساروا مسيرة ثلاثة أيام حوالي ٥٨ كيلو إلى أن وصلوا إلى منطقة عيون موسى وهي شرق السويس قريبة من رأس سدر وهي شرق منطقة المستنقعات المالحة ومدخل خليج السويس. ثم وصلوا إلى **مارة** لأن مياهها كانت مرة، يقول في سفر الخروج :

"فجاءوا إلى مارة. ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر. لذلك دعي اسمها مارة. فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب" (خر ١٥: ٢٣، ٢٤)

"فتذمر الشعب" سنسمع هذه الجملة كثيراً .

"فصرخ إلى الرب. فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذباً. هناك وضع له فريضة وحكماً، وهناك امتحنه. فقال: "إن

كنت تسمع لصوت الرب إلهك، وتصنع الحق في عينيه، وتصغي إلى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه، فمرضاً ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك. فإني أنا الرب شافيك"

(خر ١٥: ٢٥-٢٦)

وكانت الخشبة ترمز إلى الصليب الذي يحمل قوة الحياة ويغير صورة الخطية إلى البر، وكان هذا ليكون الرمز في أذهان الشعب وفي أذهاننا نحن أيضاً إلى أن يأتي المسيح ونعرف تحقيق هذه الرموز ولماذا كانت تحمل هذه القوة.

و"أمتحنه" هنا أي كان لابد أن هذا الشعب يعلن إيمانه. فقد كان لابد للرب أن ينزل إلى مستوى ذهنهم كي يدركوا إنه بالإيمان وبحفظ وصايا الله يمكن أن يأخذوا البركة والقوة.

واستخدم الرب رمز الماء الذي سيصير فيما بعد المعمودية في العهد الجديد . والشجرة التي هي الصليب، فيريد أن يقول إن المياه المرة أي الحياة المرة بفعل الخطية والحياة الفاسدة تتطهر وتتنقى بخشبة الصليب، فحينما توضع خشبة الصليب في المياه المرة تتغير طبيعتها وتصير حلوة.

ثم ارتحلوا إلى **إيليم** ويقول:

"وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة. فنزلوا هناك عند الماء" (خر ١٥: ٢٧)

وكانت هذه هي رموز العهد الجديد فالاثني عشر عين ماء والسبعون نخلة أي الاثنتي عشر تلميذاً والسبعون رسولاً ليخبرنا فيما بعد أن هذا هو طريق الحياة بالكرازة بالإنجيل.

و"إيليم" كلمة مأخوذة من أشجار البطمة التي كانت بها، وهي تبعد مسافة ٦٣ ميل من السويس.

ثم ارتحلوا إلى **برية سين** وهي منطقة في بداية سيناء. وأطلقوا عليها سين غالباً من أجل إله القمر لأن القبائل التي كانت هناك كانت تعبد القمر. ويقال إنها سميت بذلك لأن المنطقة جيرية والقمر حينما كان ينعكس عليها فيجعلها بيضاء. وهناك كان الامتحان الثاني يقول:

"ثم ارتحلوا من ايليم وأتى كل جماعة بني إسرائيل إلى برية سين التي بين ايليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من ارض مصر. فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهرون في البرية. وقال لهما: "بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد

الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع". فقال الرب لموسى: "ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء. فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها. لكي امتحنهم، أيسلكون في ناموسي أم لا. ويكون في اليوم السادس أنهم يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلتقطونه يوماً فيوما"...وقال موسى: "ذلك بأن الرب يعطيكم في المساء لحماً لتأكلوا، وفي الصباح خبزاً لتشبعوا، لاستماع الرب تذمركم الذي تتذمرون عليه. وأما نحن فماذا؟ ليس علينا تذمركم بل على الرب" (خر ١٦: ١-٨)

وهنا يأتي الرمز الثاني المهم وهو الخبز النازل من السماء وهو المن، وكان طعمه مثل الرقاق بالعسل ويشبه الثلج. والرب يسوع قال عن نفسه "أنا المن النازل من السماء" وقال: "أنا ماء الحياة".

وحين تذمروا على الرب نسوا العبودية وتذكروا أنهم كانوا يأكلون ويشربون في مصر. حتى نفهم الفرق بين الإنسان المادي الجسداني والإنسان الروحاني. فالإنسان المادي عينه دائماً تنظر إلى الأرضيات

بينما الإنسان الروحاني عينه على السماء حتى وإن كان سيحتمل صليباً لكن يكون سعيداً بالرب وسعيداً بأنه موجود معه.

فالشعب لم يستطع أن ينتقل من حالة العبودية لإبليس إلى حالة الحرية التي كان الرب يريدهم أن يحيوها، لذلك تعامل معهم الرب بصورتهم المادية. وكان من المفترض أن كل هذا يربي داخلهم ثقة وإيمان وقوة حتى يعلنوا للعالم إن الإله العظيم هو الإله الذي يعطينا في حالة القفر ماء، وفي حالة الجوع شبع، ويحمينا أيضاً بالنهار وبالليل. وبالرغم من كل هذا إلا أن الشعب لم يؤمن.

ثم ارتحلوا من برية سين إلى **رفيديم** وهي كلمة عبرية تعني راحات. وهي غالباً في جبل موسى الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء بين خليج السويس والعقبة. وفي هذه المنطقة يوجد آثار مسيحية، يوجد أديرة وكنائس، ويقول في سفر الخروج:

"ونزلوا في رفيديم. ولم يكن ماء ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا: "أعطونا ماء لنشرب". فقال لهم موسى: "لماذا تخاصمونني؟ لماذا تجربون الرب؟" وعطش هناك الشعب إلى الماء. وتذمر الشعب على موسى وقالوا: "لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟" فصرخ موسى إلى الرب

قائلاً: "ماذا افعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجمونني". فقال الرب لموسى: "مر قدام الشعب، وخذ معك من شيوخ إسرائيل. وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب. ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب، فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب". ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل. ودعا اسم الموضع "مسة ومريبة" من أجل مخاصمة بني إسرائيل، ومن اجل تجربتهم للرب قائلين: "أفي وسطنا الرب أم لا؟" (خر ١٧: ١-٧)

وكلمة المخاصمة هنا تعني عراك وليس كلام عادي. فقد عادوا يتذمرون على الرب بالرغم من كل ما صنعه معهم منذ خروجهم من مصر وتحويل الماء المر إلى عذب والمن والسلوى، ولكنهم لم يكن لديهم الإيمان بل بدأوا يشكون في وجوده معهم وإنهم متروكين في البرية بمفردهم.

وأثناء وجودهم في رفيديم خرج عليهم شعب عماليق. وعماليق غالباً هم شعب جنوب سوريا وهم من أحفاد عيسو. وأطلق عليهم هذا الاسم لأنهم كانوا شعب قوي ولهم بنية قوية. وفي الأغلب ارتحلوا إلى سيناء في فترة من الفترات.

وخاف عماليق أن شعب بني إسرائيل يأخذوا أماكنهم فذهبوا لمحاربتهم. فيقول سفر الخروج:

"وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم. فقال موسى ليشوع: "انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق. وغداً أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي". ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق. وأما موسى وهرون وحور فصعدوا على رأس التلة. وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين، أخذا حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هرون وحور يديه، الواحد من هنا والأخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف" (خر١٧: ٨-١٣)

وكان شعب بني إسرائيل لا يعرفون الحرب فقد تربوا في مصر على أعمال البناء والأشغال اليدوية ورعاية الأغنام. فقال موسى النبي أن الانتصار لن يكون بقوة الشعب، وقد أدرك أن قوة الرب هي التي ستعطي الانتصار. فوقف موسى وصلى وهو رافع يديه مثل الصليب، وحينما كانت يداه تتعب وتنزل أن الشعب ينهزم، وحينما يرفع يديه مرة أخرى إلى السماء على مثال الصليب الشعب ينتصر، حتى يترسخ

لدى الشعب فكرة ورمز الصليب هو قوة الخلاص. فكانت الرموز كلها تعبر عن هذا، الخشبة ووقفة موسى النبي في الصلاة والمن النازل من السماء علامة الخلاص والتجسد. وانتصر شعب الرب بقوة الصلاة وبدأت الشعوب تدرك أن لهذا الشعب قوة خاصة مرتبطة بالسماء.

والأحداث التي تمت في رحلة الخروج يذكرها لنا سفر العدد، وما حدث في الطريق من أمور في غاية الصعوبة، فبينما كان الرب أمامهم أربعين سنة يظهر لهم يومياً بعمود نار ليلاً وسحابة في النهار، وكان يطعمهم المن كل يوم لكي يحيوا. وكانت ملابسهم لا تبلى ولا أحذية أرجلهم تتخرق وقال الرب لهم:

"وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ"

(خر ١٩: ٤)

وكان يجب أن يقدم الشعب أمام كل هذا إيماناً وتوقيراً لوجود ربنا في وسطهم، وأن يبادله حب بحب، ويبادله إرادة شخصية في الحياة معه، ويخبروا العالم بما صنعه القدير معهم. ولكن للأسف هذا لم يحدث فكم السقطات والخفقات التي صنعها الشعب كثيرة. والشيء الأغرب أنها نفس سقطاتنا نحن أيضاً في طريقنا مع الله فستجدون أنها نفس

الطريقة التي نتعامل بها مع الله حين نضعف بالرغم من عمله العظيم فهو نزل وتجسد وصلب ولكننا أحياناً نعامله بقساوة أيضاً وضعف إيمان.

وقد ارتحل الشعب من رفيديم إلى **جبل موسى** وهي في حدود ٦٣ كيلومتر، عبروا وادي الطرفة ثم وادي الشيخ إلى أن وصلوا إلى سهل الراحة، بعد حدود ثلاثة أشهر إلى أن وصلوا إلى سهل مسطح حدود أربعة ميل به مراعي وماء والشعب مكث فترة في هذا المكان إلى أن صعد موسى النبي إلى الجبل وأخذ العهد والشريعة.

وهناك جبلين في هذه المنطقة، جبل موسى وجبل سانت كاترين. وهما من أعلى جبال سيناء.

وجبل موسى صعوده يستغرق حوالي ثلاث ساعات، ويبلغ ارتفاعه ٢٢٨٥ متر فوق سطح الأرض وهو نفس الجبل الذي رأى فيه موسى النبي العليقة المشتعلة حتى ندرك أن الكلمة التي أرسلت لموسى النبي كلمة العهد هو ربنا يسوع المسيح، فالكلمة اللوغوس، هو نار العليقة رمز التجسد. وعلى نفس الأرض ونفس الجبل قال له أعطيك العهد حتى يقول إنه كما أعلن التجسد من العليقة أعلن له عن ذاته في العهد والوصايا المكتوبة على لوحي العهد، فكلمة الله التي كتبها على لوحي العهد وكُتبت بأصبع الله هي إحدى رموز اللوغوس في العهد القديم

حتى ندرك أن هذا عمل إلهي وندرك أن هذا هو كلمة الله الذي سيأتي متجسداً.

وفيما بعد سيكون في تابوت العهد الذي هو رمز حضور الله وسط الشعب في قدس الأقداس، ففي داخله كلمة الله لوحي العهد، وقسط المن الذي هو المن النازل من السماء، وأيضاً به عصا هارون التي أزهرت من غير غرس مثل التجسد الذي تم بدون زرع بشر. وهذه كلها رموز وجود كلمة الله فيما بعد متجسداً.

وكأنه يريد أن يقول كل رموز التجسد أمام الشعب ستوضع في قدس الأقداس الذي هو الوجود الإلهي وسط الشعب وهو قدس الأقداس والذي به يكون حضوره مع شعبه.

وفوق هذا الجبل يوجد حالياً كنائس وأديرة، وهناك صخرة منبسطة عليها دير صغير وعين ماء. وجبل موسى له قمتين أحدهما في الجنوب الشرقي عليها كنيسة والأخرى بها دير.

وهناك أيضاَ جبل سانت كاترين وارتفاعه ٢٦٣٩متراً وصعوده يستغرق خمس ساعات. وفوق هذا الجبل يوجد كنيسة باسم هارون وثلاثة أديرة في هذه المنطقة. ويقول:

"ونزل الرب على جبل سيناء، إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل. فصعد موسى" (خر١٩: ٢٠)

أي سيتقابل الله مع موسى النبي في أول لقاء واضح ومعلن بينه وبين الشعب وكأنها صورة من صور التجسد .

"فقال الرب لموسى: "انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا، فيسقط منهم كثيرون. وليتقدس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب". فقال موسى للرب: "لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء، لأنك أنت حذرتنا قائلاً: "أقم حدوداً للجبل وقدسه". فقال له الرب: "اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهارون معك. وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم. فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم. ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية"
(خر ١٩: ٢١- ٢٠: ٢)

ولا تظن أن معنى هذا أن الحجاب قد أزيح ، ولا تظن أنه قد تم الصلح في هذا العهد ، فالله نزل فوق الجبل ولكن هذا عهد مؤقت إلى أن يتم العهد الذي به يتم الصلح الذي هو عهد الصليب .

وقال: *"لئلا يبطش بهم"*، أي أنه يوجد عقاب وهذا لأن الشعب حديث الإيمان ولم يكن يدرك بعد قوة كلام الله. لذلك هذه الطريقة في العهد القديم لأنهم لم يكن لديهم تاريخ في العلاقة مع الله فكان لابد أن يكون التحذير بهذه الصورة.

وقال أيضاً: *"أنا الرب إلهك"*، حتى يدرك الشعب أن المتكلم هو هو الذي أصعدهم من أرض مصر، ليكون ذلك هو الإعلان أنهم يحملوا إلى العالم الرب الإله، وهو كما كان معهم في خروجهم من أرض مصر سيستمر معهم بالعهد والوصايا.

وبدأ يقول لموسى النبي الوصايا العشر الذي هو الميثاق والعهد. وستجدون في هذا العهد الناموس الأدبي، أي أن الله لم يقل شيئاً غريباً. ولكنه يوثق كلمات وعهد فهو قانون تخطته الإنسانية في حالات فسادها ورفضت تعيش به. فالله يريد أن يقول إن هذه الكلمات هي قانون يحاسب عليه الإنسان.

وكانت خمس وصايا على كل لوح، الوصايا الأولى مرتبطة بالعلاقة مع الله، ووصايا أخرى مرتبطة بعلاقتنا مع بعض. والوصايا الأربعة الأولى خاصة بربنا والوصية الخامسة الموضوعة على اللوح الأول مرتبطة بإكرام الوالدين.

فهو يريد أن يقول إن كسر العلاقة مع الوالدين هي كسر أيضاً العلاقة مع الله حتى ندرك قيمة الملكوت الأسري وأن الله لا يريد أن تكون العلاقة فردية. فيقول:

"لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور، افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي"

(خر ٢٠: ٤-٥)

ولفظ إله غيور هي صورة من صور تعبيرات كثيرة في الكتاب المقدس لما يسمى الأنثروبومورفيزم وهي طريقة تشبيه صفات الله بصفات بشرية حتى ندركها، فالله ليس عنده غيرة ولكنه يريد أن يقول إنه لا ينفع أن تأخذ مع الله آلهة أخرى، لأن العالم كان قد غرق في الاعتقاد بتعدد الآلهة.

ويقول أيضاً *"لا تصنع لك تمثالاً"*، أي أنك لا يمكن أن تضع الله في تصور، وهذا لكي ينقي الفكر اللاهوتي عند البشر من شوائب الأمم. ويقول *"افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي"*، ومبغضي هم الذين لا يريدون أن يحيوا معه.

ولكن لماذا قال الجيل الثالث والرابع؟ هذا لأن الحياة مع الله منذ الخلقة هي الجيل الأول من آدم إلى موسى، أن العلاقة مع الله من آدم إلى موسى وفيها خلقنا ثم سقطنا وانتشرنا في العالم، وحاول الرب أن يقيم علاقة بينه وبين البشر بالضمير والروح الذي خلقه فينا ولم يحدث. الجيل الثاني هو جيل العهد القديم من موسى النبي إلى المسيح له المجد. إذن افتقد ذنوب الآباء في الأبناء، تكون الجيل الأول يحمل ذنوب وأيضاً الجيل الثاني يحمل ذنوب.

ثم "يفتقد"، أي أنظر وأتدخل وأزيلها في الجيل الثالث والرابع. فالجيل الثالث الذي فيه يأتي المسيح المخلص، وهذه هي الحالة التي بها افتقد ذنب في شخص ربنا يسوع المسيح الإله المتجسد وحمل كل خطايانا وصعد على الصليب إلى أن أعطانا الفداء. والجيل الرابع هو جيل الكنيسة وفيها يسلم المسيح النعمة والسلطان والخلاص إلى الكنيسة، كما قال:

"دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت ٢٨: ١٨-٢٠)

وهو زمن الخلاص في الكنيسة بسلطان ربنا يسوع المسيح إلى المجيء الثاني.

وقال هذا لأنه يتكلم عن عهد ووثيقة حتى لا يظن أحداً أن هذه هي العلاقة الدائمة والثابتة ولكنها علاقة مرحلية فيها رموز وظلال لجيل أخر هو زمن خلاص الرب ثم جيل الكنيسة. ويقول:

"واصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك" (خر ٢٠: ٦-١٠)

أي أن كل من يحمل حالة البر ويحفظ الوصايا سيظل الله يفتقد هذا الإحسان. وهذه هي الوصايا المرتبطة بالعلاقة معه. أما الوصية الخامسة:

"أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك" (خر ٢٠: ١٢)

أي أن سمة الحياة في الرب مرتبطة بأن تكرم أباك وأمك، فالملكوت حالة عائلية ووحدة بشرية. وأما باقي الوصايا التي بالحجر الثاني:

"لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك" (خر ٢٠: ١٣-١٧)

فهي تشير إلى نقاوة الإنسان من الداخل، فهو يريد أن ينقي الضمير الداخلي، ويزيل منه كل الفساد الذي دخله من العالم الشرير.

وظلوا في جبل سيناء مدة عشر شهور، وأقام موسى مذبحاً وظل أربعين يوماً يستلم ليس فقط لوحي الشريعة ولكن أراه الرب خيمة الاجتماع. وقال له كيف تكون العلاقة مستمرة بينه وبين الشعب بتقديم الذبيحة وأخبره كيف يكون لهم علاقة بالذبائح، كما سلمه الأعياد والمواسم التي يلتقون فيها بالرب.

كان من الممكن أن الله يظهر لموسى النبي في أرض الموعد أي بعد ما يعبروا سيناء ولكن الله أراد أن يعلن ذاته في نفس المكان الذي أعلن فيه عن ذاته في العليقة.

كما أراد أن يعيش الشعب فترة إعداد إيماني واختبار حياتي قبل الدخول إلى أرض الموعد. فمرحلة التيه في البرية تشبه رمزياً حياتنا على الأرض لأن أرض الموعد رمزياً هي الملكوت الأبدي، فأورشليم المدينة ترمز إلى أورشليم السماوية. لذلك كانت سيناء هي مرحلة التيه وفيها أيضاً معرفة الله وإعلاناته التي بها يتم إعداد شعب يدخل إلى أرض الموعد. هكذا نحن في حياتنا الأرضية نعيش مرحلة الميثاق والعهد وحفظ الوصايا والإيمان به هي التي تجعلنا نعد أنفسنا للدخول إلى أورشليم السماوية. ولكن يقول في سفر إرميا:

"ها أيام تأتي، يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدي فرفضتهم، يقول الرب، بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً... لأني أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد"

(إر ٣١: ٣١-٣٤)

أي أن الرب أعلن إنه هناك عهد أخر وميثاق أعلى وعهد له عمق أخر وهو عمق غفران الخطايا . وبذلك كتب الله وثيقة وعهد وعلاقة جديدة بينه وبين البشرية كلها مكتوبة على لوحي حجر ولكن سيأتي في العهد الجديد ويقول أكتب شريعتي في قلوبهم.

وفي تدبير الرب لإعلاناته أرسل أيضاً أنبياء يحملون نبوات تعلن عن ذاته. فكان يرسل لهم نبوة ويعاصرون تحقيقها ، وكان يرسل لهم أيضاً نبوات عن التجسد والخلاص وهذه ستتحقق في أزمنة أخرى، ولكنهم كانوا يؤمنون بتحقيقها لأجل النبوات التي تحققت في عصرهم. وكان هذا كله إعداداً لتقبل فكرة كلمة الله المتجسد . وكان أيضاً تمهيداً ليكون الكلمة المتجسد هو الصورة الوحيدة للعلاقة بين الله والبشر :

"لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (١تي ٢: ٥)

فتدرج الإيمان بكلمة الله الفاعلة صار أولاً حينما رأوا التأثيرات الطبيعية تصاحب كلام الله، ثم اختبروا قوة الكلمة حينما كان التابوت الذي يحوي الكلمة يسير أمامهم فينتصرون في الحروب. فقد كان تقديس التابوت لأنه صورة ورمز مقدس لحلول الله أمام شعبه. كل هذا

ليجتمع في عقل كل من يعرفه من خلال العهد القديم أن كلمة الله التي في التابوت هي التي تجعل حلول الله ظاهراً وسط شعبه.

أحداث هامة في طريق الخروج

تحركوا من جبل موسى الذي هو في جنوب سيناء شمالاً في مكان سيدعى **قبروت هتأوه** وهي كلمة عبري تعني قبور الشهوة. لأنهم ذهبوا إلى موسى النبي يتذمروا من عدم وجود اللحم، وقالوا له لماذا أحضرتنا هنا؟ لماذا نأكل هذا الأكل السخيف؟ فأعطاهم الله طائر السلوى وهو طائر مثل السمان. ولكن بينما كانوا يأكلون يقول في سفر العدد:

"وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع، حمى غضب الرب على الشعب، وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً. فدعي اسم ذلك الموضع "قبروت هتأوه" لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا" (عد ١١: ٣٣، ٣٤)

وقد حمى عليهم غضب الرب لأنهم أكلوا ولم يشبعوا، وهذا يعني إنه ليس فيهم عمل روحي، فالله حينما خلق الإنسان خلقه جسد ونفس وروح، الجسد له احتياجات وهذه الاحتياجات لأجل الطاقة الحيوية في

الجسد . وخلق النفس بها الغرائز وهي الشق المعنوي للشق المادي الجسدي .

والنفس هي القوة الحيوية للجسد ، فالحيوان به نفس ولكن ليس به روح لأن الذي يعطي للأجهزة العضوية عملها هو النفس، فالنفس تعطي الجسد بعض الأمور مثل الغريزة والشهوة وكيف يشبعها .

وأما الروح في الإنسان فعملها هي الصورة الإنسانية للجسد والنفس، فحينما تكون الروح قوية تصبغ النفس وتجعلها تقدر أن تتحكم في الجسد فيصير الجسد روحانياً . وتجعل الروح النفس وأمور الغريزة والاحتياجات لها قدرة على التحكم وهذا ما يجعل الإنسان أعلى من كل الخلائق. ولكن حينما تكون الروح ضعيفة فالإنسان يحيا بالغرائز فقط فتتحرك النفس بالأمور الشهوانية فيصير الجسد شهواني .

لذلك حينما ظلت هذه المجموعة تأكل ولا يوجد حد للشبع رفضهم الرب، وهذا ما يجعلنا نقدم صوم لأن الصوم يجعل الروح تعمل ولا نقع تحت سلطان الجسد ولا تحت سلطان الغريزة، كما أن الروح الإنسانية لها عمل الاتصال بالله والشعور به والدخول في شركة الوجود معه .

◈ كرامة موسى النبي

ثم تحركوا من قبروت هتأوه شمالاً إلى مكان يدعى **حضيروت** وهي منطقة على بعد ٧٠ كيلو من سانت كاترين.

وهنا حدث أن موسى النبي تزوج امرأة كوشية أي من منطقة أثيوبيا أو النوبة فتذمر عليه هارون ومريم، وتضايق موسى النبي. فقال الرب:

"لموسى وهرون ومريم: "اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع". فخرجوا هم الثلاثة. فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة، ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما. فقال: "اسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا استعلن له. في الحلم أكلمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي. فما إلى فم وعياناً أتكلم معه، لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى؟" فحمي غضب الرب عليهما ومضى. فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج" (عد ١٢: ٤-٩)

ونرى كلمات الرب عن موسى إنه أمين في كل بيتي، إنه يدافع عن كرامة الخدام، كرامة الأمناء، لا تظن أن الرب ينسى أمانتك في الخدمة

ولا أمانتك في الحياة معه بل يدافع عنك أمام أعدائك، كما يقول في سفر الأمثال:

"إذا أرضت الرب طرق إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه"
(أم ١٦: ٧)

والغريب إننا نرى أن أمراض هذا الشعب في البرية هي نفس أمراضنا، التذمر والإدانة والعيون الشريرة التي تبحث عن أخطاء الآخرين.

◈ تذمر الشعب مرة أخرى وعدم الإيمان

ثم تحركوا شمالاً إلى **برية فاران**، وهنا أرسل موسى النبي اثنين يتجسسوا الأرض. فذهبوا وقطعوا عنقوداً من العنب كبير جداً وقالوا له الأرض رائعة ولكن الشعب ضخم عملاق وسنهزم. يقول:

"فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماة. صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون. وكان هناك أخيمان وشيشاي وتلماي بنو عناق. وأما حبرون فبنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين. وأتوا إلى وادي أشكول، وقطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب، وحملوه بالدقرانة بين اثنين، مع شيء من الرمان والتين. فدعي ذلك الموضع وادي أشكول بسبب العنقود الذي قطعه بنو إسرائيل من هناك. ثم رجعوا من تجسس الأرض

بعد أربعين يوماً... وأخبروه وقالوا: "قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً، وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة عظيمة جداً" (عد ١٣: ٢١-٢٨)

وصوعن مصر هي صان حجر تانيس التي كان يمكث بها شعب بني إسرائيل، والتي بنى فيها رمسيس الثاني قصره الذي فيه تم الحوار بين فرعون وموسى النبي. أي إن هذا المكان به حضارة قديمة قبل أن تبنى صوعن مصر، وهي بنيت في الأسرة السادسة في الدولة القديمة أي حدود ٢٣٠٠ ق.م.

ولكن حينما سمع الشعب هذا تذمر وقالوا أحضرتنا إلى هنا لكي تميتنا، فقال لهم الرب من أجل ذلك لن يدخل أرض الموعد إلا اثنين فقط، فقد صنع الله مع هذا الشعب كل شيء بدون فائدة، عمل لهم كل شيء لكي يثقوا فيه ويؤمنوا به ولكنهم لم يقدموا إيماناً ولا حباً ولا حياة.

ثم ارتحلوا ودخلوا إلى القفر إلى منطقة تدعى **قادش برنيع**، وهي قريبة من الأردن وقريبة من البحر الميت. وهناك احتاجوا ماء وكالعادة تذمر الشعب على موسى النبي:

"فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما، فتراءى لهما مجد الرب. وكلم الرب موسى قائلاً: "خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك، وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطي ماءها، فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقي الجماعة ومواشيهم". فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره، وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة، فقال لهم: "اسمعوا أيها المردة، أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء؟". ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين، فخرج ماء غزير، فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الرب لموسى وهارون: "من اجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها" (عد ٢٠: ٦-١٢)

حزن الرب لأنهم انساقوا وراء كلام الشعب وسقطوا على وجوهم علامة على اليأس وعدم الرجاء ، فقال لهم إنهم كان يجب أن تكونوا أقوى منهم فلذلك لن تدخلوا أنتم أيضاً .

◈ الكهنوت وعقاب من يحتقره

ثم جاءت مجموعة قورح وداثان وأبيرام، وذلك في طرف البرية من الشمال، وقالوا لموسى النبي لماذا أنت وهارون فقط تكهنوا فالجماعة كلها مقدسة. فقال الرب لموسى النبي أحضرهم ودعهم يمسكوا مجامر وتقفوا أنتم أيضاً معهم. وحينما وقف قورح وداثان وإبيرام يقدمون المجامر انفتحت الأرض وابتلعتهم. حتى ندرك أنه بالرغم من أن كل الجماعة مقدسة إلا أن الكهنوت تخصيص بصورة محددة عند ربنا، وهذه الصورة هامة جداً لكل من لا يفهم معنى الكهنوت في فكر الرب الإله.

◈ استمرار المسير إلى أرض الموعد بقوة الرب

ثم تحركوا ناحية **جبل هور** وهي قريبة من البحر الميت. وفي هذا المكان مات هارون وانتهت رسالته. ثم تحركوا إلى منطقة **حشبون** وهي تعني تدبير وهي قريبة من الأردن ثم بدأوا الدخول إلى الأردن.

لكن قبل دخولهم إلى الأرض حدث شيء هام جداً حين واجهوا شعوباً ودخلوا في حروب معهم وانتصروا عليهم. وبدأت البلاد التي حولهم يشعروا بالقلق ويتسألوا كيف ينتصر هذا الشعب الضعيف؟ واستنتجوا إن إلههم عظيم ويعطيهم انتصاراً في الحروب فلا نستطيع الوقوف

أمامهم. وهذا جعل هذه الشعوب تبحث عن قوة إلهة أخرى حتى تستطيع الوقوف أمام إله بني إسرائيل.

وكان هذا هو إيمان موسى النبي إنه ينتصر بقوة الرب فيقول في التسبحة التي كتبها حين خرجوا من مصر وهي تسبحة الهوس الأول في كنيستنا: *"من يشبهك في الآلهة يا رب، من يشبهك ممجدًا في قديسيك، متعجبًا منك بالمجد صانعًا عجائب"*. هذا الكلام ليس تأملات بل حقيقة. ويكمل: *"مددت يمينك فأبتلعتهم الأرض، هديت شعبك بالحقيقة هذا الذي اخترته وقويته بتعزيتك إلى موضع راحة قدسك"* الرؤية كانت واضحة جداً.

"سمعت الأمم وغضبت والمخاض أخذ سكان فلسطين.... حينئذ أسرع ولاد أدوم والرؤساء المؤابيين أخذتهم الرعدة.... ذاب كل سكان كنعان وأتت عليهم الرعدة والخوف.... بكثرة ساعدك فليصيروا كالحجر حتى يجتاز شعبك هذا الذي اقتنيته... أدخلهم واغرسهم على جبل ميراثك وفي مسكنك المعد هذا الذي صنعته يا رب... موضعك المقدس يا رب الذي أعددته يداك يارب تملك منذ الأزل والآن وإلى الأبد...لأنه قد دخل إلى البحر خيل فرعون ومركباته وفرسانه.... والرب غمرهم

بماء البحر أما بنو إسرائيل فكانوا يمشون على اليابسة في وسط البحر" الشعب كان يعي أن قوتهم في الله، ويعوا أنهم سلسلة في تدبير كبير.

ويقول داود النبي في الهوس الثاني: *"الذي أخرج شعبه إلى البرية.... الذي أخرج ماء من صخرة صماء.... الذي ضرب ملوكًا عظماء ... وقتل ملوكًا عجيبين.... سيحون ملك الأموريين... وعوج ملك باشان... أعطى أرضهم ميراثًا ... ميراثًا لعبده إسرائيل... في تواضعنا ذكرنا الرب.... وخلصنا من أيدي أعدائنا .... الذي يعطي طعامًا لكل جسد حي.... احمدوا إله السماء .... احمدوا رب الأرباب لأنه طيب وصالح."*

والملوك التي ذكرت في هذا المزمور هي قصة الحرب التي حين وصل الشعب إلى منطقة باشان - وتعني الأرض المستوية، وهي عند منطقة جبل الدروز جنوب سوريا ومنطقة الجولان وهي منطقة خصبة جداً- وكان بها أرض الأموريين ولقد دخلوا في معركة معهم.

والمعركة تعني أن الملك رافض أن الشعب يعبر وينتصر عليه لأنه يرى أن إلهه أعظم من إله إسرائيل. وهذه الشعوب بإيعاز من الشيطان تريد أن تدمر هذا الشعب وتقضي على تدبير وجود الرب في الأرض.

فعمل الشيطان دائماً يحاول أن يوقف عمل الله وتدبيره، فالشيطان يعرف تدبير الله، فيحرك الشيطان ملك باشان كي يمنع الشعب من العبور من أرضه فيشتبكوا معه، وينتصر الرب بشعبه. وبدأت الأمم تدرك الخطر وتبحث عن قوة أخرى غير الحروب تُسقط بها هذا الشعب.

✚ محاولة الشعوب إظهار قوة آلهتهم ونبوة بلعام

وفي سفر العدد الإصحاح الثاني والعشرين يحكي أن ملوك وشيوخ موآب ومديان - التي كانت مملكة كبيرة- ذهبوا إلى شخص يدعى بلعام، فقد رأوا أن شعب بني إسرائيل ينتصر وفهموا إنه لا ينتصر بقوة ذاته بل بالإله. وبلعام كان أحد السحرة، وكان مشهوراً لأنه يستطيع أن يعمل أعمال عجيبة بقوة الشياطين. فيقول بالاق:

"هوذا شعب قد خرج من مصر. هوذا قد غشى وجه الأرض، وهو مقيم مقابلي. فالآن تعال وألعن لي هذا الشعب، لأنه أعظم مني، لعله يمكننا أن نكسره فأطرده من الأرض، لأني عرفت أن الذي تباركه مبارك والذي تلعنه ملعون" (عد ٢٢: ٥، ٦)

وحاول بلعام خمسة مرات أن يلعن الشعب، في المرة الأولى حاول واكتشف أن قوتهم قوة إلهية عظمى وقال:

"كيف ألعن من لم يلعنه الله؟ وكيف أشتم من لم يشتمه الرب؟ إني من رأس الصخور أراه، ومن الآكام أبصره. هوذا شعب يسكن وحده، وبين الشعوب لا يحسب. من أحصى تراب يعقوب وربع إسرائيل بعدد؟ لتمت نفسي موت الأبرار، ولتكن آخرتي كآخرتهم" (عد ٢٣: ٨-١٠)

تحول من إنسان يعمل مع الشيطان إلى إنسان يؤمن بقوة إله إسرائيل والرب وهذا بعد أن أظهر الله ذاته. ومرة ثانية أحضروه لكي يلعن شعب بني إسرائيل، فقال الآتي:

"إني قد أمرت أن أبارك. فإنه قد بارك فلا أرده. لم يبصر إثماً في يعقوب، ولا رأى تعباً في إسرائيل" (عد ٢٣: ٢٠)

والمرة الثالثة يقول:

"ما أحسن خيامك يا يعقوب، مساكنك يا إسرائيل!" (عد ٢٤: ٥)

وفي المرة الرابعة وهي الأقوى لأنه سيتنبأ عن السيد المسيح نفسه:

"أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب (ملك) من إسرائيل، فيحطم طرفي موآب،

ويهلك كل بني الوغى. ويكون آدوم ميراثاً، ويكون سعير أعداؤه ميراثاً. ويصنع إسرائيل ببأس. ويتسلط الذي من يعقوب، ويهلك الشارد من مدينة" (عد ٢٤: ١٧-١٩)

هذا الكلام ظل يحفظ عندهم إن هناك شخص سيأتي من هذا الشعب هو الذي سيصنع الخلاص وسيكون هو المتسلط على العالم كله، لذلك كان هناك انتظار المخلص في كل العالم. والبركة الخامسة قال:

"آه! من يعيش حين يفعل ذلك؟"
(عد ٢٤: ٢٣)

أي من الذي سيحيا حتى يرى هذا الكلام.

وعبر الشعب وأستطاع أن ينتصر، ودخلوا إلى **جبل نبو** وهناك انتصروا على مديان. ثم ارتحلوا إلى **أيل شطيم** هي منطقة تبعد حدود ١٢ كيلومتر عن حرثا، وحدود ١٢٠كيلومتر عن حدود العاصمة الأردنية عمان.

✚ الشعب ينسى الرب ويخطئ

ويقول في سفر العدد :

"وأقام إسرائيل في شطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن. وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمى غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى: "خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس، فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل"

(عد ٢٥: ١-٤)

استطاع الشيطان أن يسقط الشعب في خطية الزنى المادي والروحي، فسقطت عنهم قوتهم وأيضاً عبدوا ألهتهم. ولابد أن ندرك هذا أن من لا يقدم توبة عن الخطية يسقط في حالة العداوة مع الله. ولا يظن أحد أن الرب قاسي ويسر بموت الخاطئ فيقول الرب:

"لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم"

(أم ٢٤: ١٦)

فهو يدرك إننا نحمل طبيعة قابلة للسقوط، ولكنه يريد أن لا نتركه ونذهب في طريق العداوة والخصام بخطايانا، بل نتصالح معه بالتوبة والرجوع فيفتح أحضانه ويخلصنا .

✚ نياحة موسى النبي

وفي شطيم جلس موسى مع الشعب وبدأ يذكر لهم كل التاريخ الذي حدث ويقول لهم البركة واللعنة. ثم يقول سفر التثنية:

"صعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو، إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان، وجميع نفتالي وأرض إفرايم ومنسى، وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي، والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل، إلى صوغر. وقال له الرب: "هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم واسحق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر". فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم" (تث ٣٤: ١-٦)

لم يدخله أرض الموعد لأنه عادل، بالرغم من قوة علاقة موسى النبي بالرب، ولكنه كان لابد أن يكون الدرس لكل الشعوب إنه هناك عدل وحساب وتدبير إلهي لكل أحد.

ولكن لماذا أخفى الله مكان قبره؟ لأنه يعرف أن هذا الشعب ضعيف الإيمان، وكانت هناك عادة عند الشعوب عبادة الأشخاص، فأنهم قد يعبدوا موسى النبي كما تفعل الشعوب الأخرى.

وتنتهي هذه المرحلة عند بداية العبور من حدود هذه المرحلة إلى حدود أرض الموعد. وخرج الشعب بعد إعلان الله عن ذاته وقوته أمام المصريين، ولكن يبقى السؤال الهام:

أين يسكن هذا الشعب وسط الأمم؟ وكيف سيعلن هذا الشعب عن وجود الله في كل الأرض؟

THE CROSSING OF THE RED SEA. Painting by Lucas Cranach [illegible]

أولاً: أين يسكن؟

لقد كان لابد أن يضع الله شعبه في مكان يتوافق مع رسالته التي أعده لها . وهي الإعلان عنه وسط العالم، لذلك اختار لهم أرض كنعان وذلك للأسباب الآتية:

١) لأنها المعبر الهام بين الشرق والغرب

إذ لم يكن هناك طائرات للسفر والانتقال فقد كان الطريق الأسهل لمن يأتي من جهة الغرب ويقصد الشرق هو أن يمر على هذه الأرض، ولابد لمن يأتي من الشرق ويقصد الغرب أن يمر على هذه الأرض أيضاً . وبذلك فقد كانت هذه الأرض منطقة تجارية هامة. وككل المناطق التجارية فإنها تكون معروفة لدى العالم كله، فأوضاعها الدينية والثقافية والسياسية تكون معروفة ومشهورة، فيمكن للعالم كله أن يعرف إله إسرائيل من خلال عبوره الدائم على هذه الأرض أو حتى عند الوقوف في موانيها .

٢) لأنها منطقة سياسية وعسكرية هامة

فكل الإمبراطوريات التي قامت وازدهرت كانت عيونها على هذه المنطقة لتفرض نفوذها وسلطانها عليها، نظراً لموقعها الاستراتيجي في العالم كله، لأنها بمثابة صمام الأمان لأي مملكة تقوم في الشرق أو في

الغرب، لذلك فإن كل مملكة تريد أن تفرض سيطرتها على العالم كله، كانت أرض كنعان أهم المناطق التي تحاول أن تفرض سيطرتها عليها، وحينما تنجح في ذلك تصير هي القوة العظمى على الأرض وبذلك ترتفع آلهتها وتنتشر حضارتها.

نتيجة لذلك فمن يمتلك هذه المنطقة كانت تتوجه نحوه عيون العالم كله، فهي منطقة نفوذ واسع ومن يسكنها لابد أن يكون له قوى عظمى، حتى يحميها من القوى المتنازعة عليها. فإذا أسكن الله شعبه هذه الأرض فيكون هذا إعلان على أنهم أقوى الشعوب، وإذا انتشر أيضاً أنهم جاءوا إلى هنا بعد هزيمة الفراعنة وآلهتهم يكون هذا دافعاً قوياً للعالم كله كي يؤمن بأن إله إسرائيل هو أعظم الآلهة.

٣) لأن هذه المنطقة هي منطقة تجمع حضارات

فإذا نظرت إلى خريطة الحضارات في العالم، ستجد شرق هذه الأرض تقع حضارات الشرق الأدنى، وحضارات ما بين النهرين مثل الحضارة السومرية وحضارة بابل وحضارة أشور. وشمال هذه الأرض حضارة الحثيين. ومن الشمال الغربي الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية. ومن الجنوب الغربي الحضارة الفرعونية، ومن الجنوب أيضاً بعض الحضارات المتفرقة مثل حضارة حمورابي والمؤابيين والعمونيين.

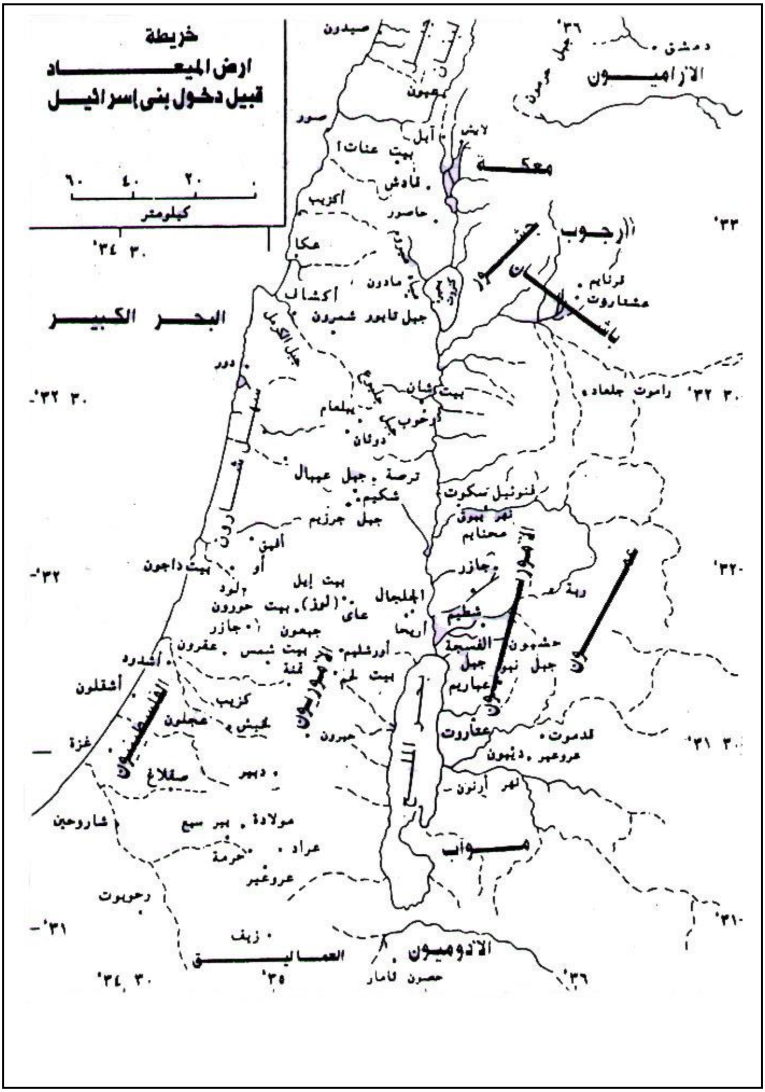
خريطة
ارض الميعـــاد
قبيل دخول بني إسرائيـــل
٦٠ ٤٠ ٢٠
كيلومتر
البحـــر الكبيـــر
صيدون
دمشق
الآراميـــون
صور
آبل
بيت عنات
معكـــة
قادش
اكزيب
حاصور
عكا
أرجـوب
مادون
قرنايم
عشتاروث
أكشاف
جبل تابور
شمرون
دور
بيت شان
راموت جلعاد
يبلعام
رحوب
دوثان
ترصة
جبل عيبال
شكيم
جبل جرزيم
سكوت
فنوئيل
نهر يبوق
محنايم
أفيق
بيت داجون
بيت إيل
لود
الجلجال
عاى
بيت حورون
جبعون
جازر
أريحا
شطيم
حشبون
ربة عمون
أورشليم
بيت شمس
عقرون
أشدود
بيت لحم
جبل نبو
عباريم
أشقلون
عجلون
لخيش
حبرون
عطاروت
ديبون
عروعير
غزة
دبير
نهر أرنون
شاروحين
مولادة
بير سبع
عراد
حرمة
عروعير
مـــوآب
رحوبوت
زيف
العمـــاليـــق
الادوميون
حصون تامار

وهذا يعني أن هذه المنطقة تحيط بها من كل جانب حضارات العالم كله، وهذا يجعلها منطقة فكر وتبادل ثقافي، فكل حضارة تزدهر يظهر معها المفكرون والمكتشفون الذين يتبادلون الآراء والأفكار حول كل ما هو ثقافي وفكري وديني. وهذا يعني وجود أشخاص سيطلعون على فكر هذا الشعب الساكن في هذه الأرض، وبذلك ينتقل الإيمان إلى العالم كله.

ولأن هذه الأرض لها كل هذه القيمة السابقة، فإنها أصبحت مكاناً يتنافس عليه العالم كله، فكل الحضارات تحاول أن تستحوذ عليها، وكل البلاد التجارية تريد أن تكون تحت سيطرتها. لذلك إذا وضعهم الله في هذه الأرض، فلابد أن يتمسكوا به لأنه هو قوتهم، فإذا تركوه تنعدم القوة وبذلك تنقض عليهم أي أمة من الأمم التي تقف منتظرة أن ترى هذا الشعب ضعيفاً لتطرده من هذه الأرض وبذلك يكون الشعب مرتبطاً بالله ومتمسكاً بالقداسة معه دائماً، وبذلك تتحقق إرادة الله في أن يظل شعبه يقدم إرادة إنسانية للحياة معه تحفظ إمكانية الخلاص للإنسانية كلها، إلى أن يأتي السيد المسيح له المجد ويقدم ذاته ويخلص العالم كله... والمطلع على تاريخ العالم فيما قبل الميلاد يتأكد من هذه الأفكار... ولكن يبقى سؤال هام..

◈ إذا كان هدف اللـه هو أن يرى العالم كله إله إسرائيل ويؤمن به، فلماذا نهاهم عن الاختلاط بالشعوب المحيطة؟!

لقد كان في الاختلاط بالشعوب المحيطة خطر الاختلاط بآلهتهم أيضاً، لذلك ستجد أن آلهة بابل عبدها أيضاً شعب أشور، وآلهة الفلسطينيين عبدها الكنعانيون، وآلهة الحثيين عبدها الفلسطينيون، وآلهة الفراعنة عبدها أيضاً اليونانيون والرومان. وحينما اختلط إسرائيل مع باقي الشعوب عبدوا آلهتهم أيضاً، لذلك منعهم اللـه من الاختلاط حتى لا تدخل الآلهة الغريبة إلى الأرض المقدسة، ويكون إله إسرائيل هو مجرد إله بين هذه الآلهة، فقد كان لابد أن يكون اللـه وليس سواه في ملكوته.

وقد كانت الأمم خليطاً من الشرائع والأجناس للأسباب الآتية:

١. لم يكن في العالم حدود مرسومة يقف عليها حراس ويطلبون إثبات جنسية أو تأشيرة دخول، فقد كان كل من يريد أن ينتقل من بلد إلى أخرى ينتقل إليها بسهولة ودون قيد ومعهم آلهتهم.

٢. كانت التجارة من أهم مقومات الأمم فاختلطت الشعوب لأجل الأمور التجارية وبالتالي تدخل الآلهة الغريبة.

٣. كان كل ملك قوي يريد أن يدخل صناعة إلى بلده، يمكنه أن يستقطب صناع هذه الحرفة من بلدة أخرى، ويستوطنون في بلده ليعلموا آخرين هذه الحرفة وتدخل معهم الآلهة الغريبة.

٤. كان زحف القبائل مستمراً من أرض إلى أرض. فإن شعوباً كثيرة في العالم الحالي لم يكن هذا هو موطنها الأصلي.

٥. عمليات أسر الشعوب وهدم المدن كانت كثيرة في هذه الأزمنة، ويقول التاريخ أنه من عام ١٢٥٠ ق.م. تقريباً إلى عام ٩٥٠ ق.م. قد حدثت تغيرات كبيرة في حركة الشعوب من هجرة وانتقال.

ولأجل ما سبق، نهى الله شعبه أن يدخلوا في دائرة هذه الشعوب حتى لا تدخل آلهة أو شرائع أو عادات يومية غريبة عليهم. لذلك نظم لهم الله كل أمورهم اليومية والحياتية حتى يستطيعوا أن يعيشوا دون احتياج إلى تنظيمات من شعوب أخرى قد تدخل من خلالها أفكار للآلهة الغريبة.

ثانيا: كيف سيعلن هذا الشعب عن وجود الله في كل الأرض

وبعدما خرج الشعب من مصر كان لابد أن يستعلن الخلاص بكل جوانبه لهذا الشعب، إذ أنه سيحمل رسالة الخلاص وسط الشعوب، وإذ أنه سيمثل الإنسانية أمام الله في عهد الظل والرمز وإعداد البشرية للتجسد والخلاص. لذلك تركزت صورة تدبير الخلاص من بعد الخروج من مصر حتى الدخول إلى أرض الموعد في محورين:

الأول: هو إعلان إرادة الله للخلاص من خلال علاقته مع شعبه. وذلك من خلال:

١. الوعد والعهد والناموس.

٢. العهود الزمنية والأبدية.

٣. مستويات إعلان الله عن ذاته.

الثاني: وهو إعلان إرادة الإنسان للسير مع الله والحياة معه وذلك بالآتي:

١. إعلان الإيمان به وقبولهم العهد.

٢. التمسك بالوصايا وتحقيق الناموس الحياتي واليومي.

ولقد كان الانتصار في الحروب والدخول إلى أرض الموعد هو نتيجة التقاء إرادتي الخلاص إذ أن أرض الموعد ترمز إلى الملكوت، وانتصار

الشعب في الحروب يرمز إلى الانتصار على مملكة إبليس وكسر سلطان الشر.

◈ إعلان إرادة الله للخلاص من خلال علاقته مع شعبه

١) الوعد والعهد والناموس

لقد عبَّر موسى النبي في أول لقاء مع الله عن احتياج البشر لمعرفته، ومعرفة الطريق الذي يلتقي فيه الإنسان مع الله، فقد سأله ما هو اسمك؟ وفي لقاء آخر طلب منه أرني مجدك؟

وحقيقة لقد كان الإنسان في العهد القديم يحتاج أن يعلن له الله عن ذاته فيعرفه الإنسان إذ كان مسجوناً في صورته المادية، فقد كان هناك صراع بين روحانيته الضعيفة والتي لم تنضج بعد، وبين الحالة المادية التي صارت تتحكم في عقل البشر جميعاً، لذلك كان سؤاله الثاني هو "أرني مجدك".

✚ إعلان الله عن ذاته واسمه

وقد كانت معاملات الله مع شعبه في العهد القديم وعهوده وإعلاناته هي الرد الواقعي على هذا الاحتياج، فقد كان يعلن لهم عن ذاته وصورته على حسب ما يمكن أن يتحمل الإنسان من معرفة إلههم.

فلم يجب الله على موسى النبي حينما سأله عن اسمه بأن له اسماً مثل باقي الآلهة، ولكنه أعلن عن طبيعته من خلال الإجابة فقال له: **"أنا يهوه"** ، أي **"أنا الكائن"**، أي أنا فعل الكينونة الذي منه كل الكيانات. لذلك كان نساخ العهد القديم يكتبوه بحروف ساكنة هي (I.H.V.H) وتعني: **"أنا هو الكائن الذي هو دائماً كائن"**.

ولأنهم عرفوا أن هذا الاسم هو وصف لطبيعة الله، فقد كانوا حينما يكتبونه يلفون أيديهم بثوب خاص، ويتلون صلاة معينة، ويستخدمون حبراً خاصاً، وريشة خاصة وكانوا يكتبونه دون أن ينظروا إلى الكلمة، وذلك لأنهم أدركوا أن هذا الاسم هو إعلان عن ذات الله.

وحينما جاء السيد المسيح له المجد قال لهم: **"أنا هو"** أي "أنا الكائن"، وأيضاً في سفر الرؤيا يصفه يوحنا الرائي بالكائن:

"يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي"
(رؤ ١: ٨)

ويقول السيد المسيح في حديثه مع الآب:

"أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك" (يو ١٧: ٦)

الاسم لا يعني مسمى بحروف فقط، ولكنه إعلان عن كيان ذاتي فمن خلال الاسم يصير وجود هذا الكيان، أي أن اسم الرب هو قوته الفاعلة والحاضرة وهو معنى وجوده، لذلك نقول: "باسم الآب والابن والروح القدس" أي بوجوده وندرك حضوره.

وفي الأدب اليهودي حينما كانوا يكتبون التوراة والأنبياء، أي ينسخوها، حينما كان يُكتب اسم الرب يقوم الناسخ ويغسل الريشة ويغير الحبر ويجلس معتدلاً ويكتب اسم الله، ولأن اسم الله هو قوة وجوده فلم يكونوا ينطقونه بألسنتهم فكانوا يقولوا حين يقرأون "يهوه" ينطقونه أدوناى "السيد" بينما هو اسمه يهوه.

✚ أسطورة مصرية عن قوة اسم الإله

وفي أدبيات الفراعنة هناك أسطورة تقول إن الإله العظيم هو رع. وإيزيس كانت تريد أن تأخذ قوة الإله، وقالت إنها لا تستطيع أن تأخذ قوته إلا بمعرفة اسمه السري. أي إنه يحمل اسم هو وجوده. فحاولت ولم تعرف. فتقول الأسطورة إنها انتظرت إلى أن سقط بعض بصاق رع على الأرض وأخذت هذا البصاق ووضعته بالطمي وصنعت منها حية، وانتظرت رع عند الغروب وجعلت الحية تلدغه، فصرخ وقال:

"إني لدغت"، وبدأ يشعر أن السم سيدخله، فقال: "أنا الواحد العظيم ابن الواحد العظيم، أنا الجوهر المقدس الذي انبثق من الله، أبي وأمي نطقا باسمي ولكنه كان مستوراً بداخلي بواسطة هذا الذي ولدني". فقالت له إيزيس: "يا أبي قل لي اسمك كي أحمل قوة أخلصك بها"، فقال لها رع: "أنا صنعت السموات والأرض، أنا جئت بالآلهة إلي الوجود، أنا الذي لا تعرف الآلهة اسمه، أنا صانع الساعات والأيام، أنا صانع شعلة الحياة". فقالت له إيزيس: "لم تقل اسمك الحقيقي بعد، قل لي اسمك السري كي استخدمه بقوة وجودك فأجعلك تعيش". فقال رع: "أنا الذي تبحثين عنه، من الآن يعبر اسمي من جوفي إليك وأعطيك قوة اسمي، وبه تأخذي القدرة". وعندها أصبحت إيزيس تحمل قدرة رع والتي بها شفته.

✚ اسم الرب الإله هو حضوره أيضاً

فهذا هو المعنى الذي كانت تفهمه البشرية وتصيغه في أساطير لتعبر عن إيمانها العميق بقوة الاسم الإلهي، لذلك فأسم الرب الذي أعلنه لشعبه كان هو حضوره الإلهي، ويقول في سفر إشعياء:

"تقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب، ادعوا باسمه. عرفوا بين الشعوب بأفعاله. ذكروا بأن اسمه قد تعالى"
(إش ١٢: ٤)

ويقول السيد المسيح :

"إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب"
(مت ٢٣: ٣٩)

وحينما أرسل التلاميذ قال :

"فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩)

ويقول في سفر الرؤيا :

"ثم وقفت على رمل البحر، فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة تيجان، وعلى رؤوسه اسم تجديف" (رؤ ١٣: ١)

وفي عظة ماربطرس قال :

"توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أع ٢: ٣٨)

وفي سفر الأعمال:

"ولما أقاموهما في الوسط، جعلوا يسألونهما: "بأي قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟" حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال... "وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلُص"

(أع ٤: ٧، ١٢)

لذلك اسم الرب ليس مجرد مسمى ينطق ولكنه إعلان حضور إلهي. فحين تصلي وتقول أيها الآب السماوي وتقول باسم الآب والابن فهذا لا يعني أنك تقول لفظ ولكنك تطلب حضوره الشخصي.

لذلك كانت قوة وجوده وسطهم تعني عمله، وهذا ما حدث، وكان الرب يهيئ الشعب كي يستطيع أن يدرك وجوده الشخصي إلى أن يتم التجسد فيدرك إمكانية حضوره وتجسده.

يقول القديس إيريناؤس: "عبر كل ظهورات الله في تاريخ إسرائيل كانت كلمة الله تعتاد أن تعيش مع أبناء البشر ويعودهم أن يعيشوا معها."

وفي كل ظهورات الله في العهد القديم كان هذا تهيئة للأذهان عن إمكانية أن يحل الرب ويكون في وسطنا، فخيمة الاجتماع كانت تعني إنه في وسطهم. ويقول داود النبي في المزمور:

"أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض"

(مز ٨: ٩)

وهذا ما جعل الشعب يدرك قوة وجوده لأنه يحمل اسم الرب الحقيقي.

وحتى لا تكون إعلانات الله عن ذاته مجرد كلمات، فقد كانت هذه الإعلانات مصحوبة بوعد، فمن يدخل إلى شركة الناموس يعرفه. فمن خلال قصة ومعايشة هذا الشعب للأحداث التي سار فيها الله معهم انفتحت عيونهم على معرفة سرية لاهوتية، ومن خلال الوعود التي تحققت لهؤلاء الأشخاص الذين تدور قصة الكتاب المقدس حولها في حياتهم صارت الوعود العامة لكل الإنسانية إيماناً مسلماً وثقة دائمة في وعود الله للأجيال.

وهذا هو عمل الله، فالله يعطي وعد لشعبه ويحققه، ومعه يعطي وعوداً خلاصية عامة للإنسان، وقد كان تحقيقها هو الضمان لتحقيق الوعود العامة. فالأمم كلها حينما تعرفه ترى أنه حقق وعوده لشعبه

فيكون هذا سبباً لإيمانهم بكل وعوده الخلاصية لهم، لذلك كانت للمواعيد والمواثيق التي بين الله وشعبه أهمية كبرى في تدبير الخلاص العام للعالم كله.

ومرحلة العهد الموثق مع الشعب، هي مرحلة تخصيص وتقديس للشعب الذي سيحمل إعلانات الله للبشرية كلها، وقد بدأ الله الوعود الشخصية بإبراهيم عندما قال الله:

"اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك ١٢: ١-٣)

وقبل الوعد الشخصي لإبراهيم، كانت هناك إعلانات ووعود للبشرية كلها وكانت مرتبطة بسلطانه على الطبيعة مثل الطوفان وبرج بابل، ولكن الآن قد انتقل التدبير إلى مستوى الإعلانات الشخصية، فأصبحت الإعلانات لابد أن تتوافق مع ظروف وإمكانيات الشخص أو الشعب المعلن له.

وقد كان هذا ليصنع الله خليقة جديدة تعرفه جيداً وتحيا في نموذج للحياة المقدسة المرسومة بدقة، وفي طريق يخلص فيه الإنسان، ويسلكه فيما بعد كل من يتطلع إلى الخلاص، ويبحث عن طريق يحيا فيه مع الله. كما قال الله لإبراهيم:

"لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب، ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به" (تك ١٨: ١٩)

فالعهد إذاً هو خصوصية الطريق والحياة مع الله، أي أن هذا الشعب سيصير ابن لله من خلال العهد، وإذا اختار الشعب بحريته الثبات في هذا العهد يكون قد رسم صورة للإنسانية المخلصة أو المهيأة للخلاص.

٢) بين العهود الزمنية والأبدية

ولأن الله لا يمكن أن تكون كلماته محدودة بزمان فلابد أن يكون العهد المرسوم لهذا الشعب عهداً أبدياً، ولابد أن تكون الصورة المرسومة للحياة أمام الله بالطقوس والنظم الموجودة في سفر اللاويين أبدية. ولكن كيف تكون أبدية... وهي مجرد مرحلة يعد الله بها

البشرية ويحفظ فيها إمكانية الخلاص للإنسان، بإعلان نموذج من البشر – وهو شعبه الجديد – إرادته الخاصة للحياة مع الله؟

ولذلك فإن كل العهود والطقوس كان لابد أن تتحقق في المسيح لتصير أبدية. أي أن كل العهود وكل الطقوس وكل نظم الحياة التي رسمها الله مع شعبه، كانت مجرد صورة ظل واقع على هذا الشعب من شخص المسيح الآتي في زمان الخلاص.

ففي المسيح يتحقق كل لفظ وكل كلمة، وبه يتم تحقيق كل وعد وكل إمكانية أعطيت في العهد القديم. كان المسيح هو الوحيد الذي يضمن العلاقة بين الإنسان والله وتتحقق فيه كل العهود، وبذلك تكون كل الوعود والوصايا أبدية رغم أنها مرحلية لأنها كانت تحمل ظل المسيح الأبدي.

٣) مستويات إعلان الله عن ذاته

وقد كانت معاملات الله مع شعبه تسير في تدرج رائع، من مستوى النظر واللمس إلى مستوى الفكر والمشاعر ثم إلى مستوى الروح، فمستوى الحياة الملموسة والمادية مع الله كانت طريقة التدين عند كل الشعوب، لذلك كان لابد أن يبدأ الله بها لشعبه حتى يمكنهم أن يدخلوا

بكيانهم كله في العلاقة معه، فكان يظهر لهم في صورة سحاب ونار، وذلك حتى لا يرسموا له ملامح معينة، والمرة الوحيدة التي صنع لهم حية نحاسية فيها قوة للشفاء عبدوها!!

نعم لقد كان الشعب – مع باقي شعوب العالم – محصوراً في نظرته للقوة الإلهية بأشياء مادية، إلا أنه رويداً رويداً كانت معاملات الله مع شعبه في هذه المرحلة تحاول أن تخلصهم من الصورة المادية في العلاقة، بتأكيد فكرة قوة الله التي لا ترى مثل قصة الحرب مع عماليق، وصلاة موسى النبي، فالصلاة كانت هي القوة الغير مادية التي جعلت الشعب ينتصر:

"وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب" (خر ١٧: ١١)

ولم يوجد شئ مادي ملموس يرجع إليه سبب هذه القوة وهذا الانتصار.

ثم انتقلوا إلى مرحلة تقديس العلاقة مع الله من خلال تقديس الوصية ذاتها، بل وكتب لهم الله العهد بإصبعه حتى تكون كلمات العهد هي كلمات الله فيتمسك الشعب بكلمة الله المكتوبة، وكان

الشعب يرى ويسمع ظواهر مادية تصاحب الكلمة الإلهية عند استلام موسى لها، مثل الجبل المضطرب والنار والأصوات الرعدية.

وكانت هذه الأحداث المعجزية تصاحب الوعود الروحية والنبوات الخلاصية حتى يؤمن بها الشعب، لأن البشرية كانت قد صارت في حالة مادية وقد فسد الضمير الروحي الذي خلقه الرب في الإنسان الأول، فأراد الرب أن يعيد لهذا الضمير نقاوته بالوصية والإيمان بها من خلال عمله وقوته الظاهرة أمامهم.

لذلك سنرى في العهد القديم تلك العهود والوثائق التي كتبت بين الله والشعب وأهميتها، فإنه من آدم حتى عهود جبل سيناء كان الرب يتعامل بالضمير الداخلي للإنسان وكان يتعامل مع الإنسانية من خلال بعض الإشراقات الروحية للعالم كله.

ولكن وجد أنه من الضرورة الإعلان عن ذاته بصورة أخرى، وضرورة الاستمرار وضرورة التواجد وسط العالم من خلال توثيق كلمات محددة تضع الإنسانية أمام ضمير جديد بدلاً من الضمير الذي فسد، وتضع الإنسانية أمام تعليم واضح ورؤية واضحة اسمه العهد بين الله والشعب. وكان وسيط العهد هو موسى النبي، وكان وجود الرب من خلال ظلال ورموز.

وبعد هذا ابتدأ الله يرفع مستوى الشعب من تحديد وجود الله في مكان معين وشيء معين كما كان الإيمان الأممي، إلى وجود الله في كل مكان وسلطانه على كل شيء فيقول داود النبي في المزمور:

"للرب الأرض وملؤها. المسكونة، وكل الساكنين فيها"

(مز ٢٤ : ١)

وأيضاً:

"أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض"

(مز ٨: ٩)

وكان هذا ليعرف العالم من خلال شعبه أنه فوق المصورات والمحسوسات المعبودة.

◈ إعلان إرادة الإنسان للسير مع الله من خلال شعبه

إن كل ما سبق هو صورة إعلان الله لإرادته الخاصة بخلاص الإنسان وتقديم إمكانيات خلاصية تتوافق مع حالة الإنسان ومفاهيمه وظروفه. وقد كان لابد أن يقابل عمل الله هذا إعلان إنساني لإرادته الخاصة بالخلاص. فإرادة الإنسان كانت لابد أن تستعلن على مستوى حرية الطريق مع الله.

وكما قلنا سابقاً إن شعب إسرائيل أصبح أمام الله هو كاهن الشعوب وحامل النور، وأن رسالته هي الإعلان عن الله وسط الأمم والحفاظ على صورة الإنسانية بإرادتها للخلاص حتى يمكن للخلاص أن يتم للعالم كله:

"لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"

(تث ١٤: ٢)

فإسرائيل كان عليه أن يقدم لقضية الخلاص بجانب كرازته عن الله، إرادة حرة نيابة عن البشر لكي تستمر خطة خلاص الإنسان، وقد كانت صورة إعلان الإرادة الإنسانية لشعب إسرائيل هي:

١) إعلان الإيمان به وقبولهم العهد

وذلك من خلال الثبات في التجارب والجهاد في الحروب، فالثبات في التجارب يظهر الإرادة ويبين قوة الإيمان بالله، إذ يستعلن في الثبات مع الله الإيمان والطاعة والحب، فهؤلاء الذين خرجوا من العبودية محمولين على كفي الله، كان يجب أن يعلنوا إرادتهم، هل يريدون أن يكونوا شعباً لله وأبناءً له؟ وأن يحملوا صورة البشرية المخلصة أم لا؟ ... لذلك

واجهتهم تجارب الطعام والماء ، ثم الحروب، كل هذا ليتم غربلة الشعب الخارج على مستوى فردي ليعلنوا إرادتهم الشخصية في الحياة مع الله. وهكذا قال:

"لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم من كل أنفسكم. وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون" (تث ١٣: ٣، ٤)

وأما الشعب فقد فشل في التجارب التي كانت تمس احتياجاتهم مثل الطعام والماء والحروب، بل وتركوا الله وعبدوا العجل الذهبي عندما تأخر موسى النبي فوق الجبل، لذلك رفض الله أن يكمل هؤلاء الأفراد طريق الخلاص، ولأجل الوعود والعهد حافظ الله على أن يكون إسرائيل هو شعبه ولكن ليس هؤلاء الأفراد.

وهذا المبدأ الروحي هام جداً لكل إنسان يريد أن يحيا مع الله، فعلى مستوى الوعد بالخلاص، فإن الله يحافظ على الوعد العام للخلاص، أما على مستوى الفرد فلابد أن يعلن كل إنسان إرادته الشخصية للحياة مع الله حتى يخلص... لذلك لم يدخل من هذا الشعب الخارج من مصر إلا اثنين وهما يشوع بن نون، وكالب بن يفُنة.

وقد كانت الحروب لها معنى روحي في علاقتهم بالله، وهو الجهاد الحقيقي أمام مملكة الظلمة، هذا بجانب المعنى الواقعي والتاريخي. وهو كما قلنا لكي يعرف العالم أن الله إله إسرائيل هو إله السماء والأرض.

٢) التمسك بالوصايا وتحقيق الناموس

وقد كان الناموس هو الإطار الذي يعلن من خلاله كل فرد إرادته الشخصية للحياة مع الله. والدخول به في ظل الخلاص المزمع أن يحدث بالمسيح، لذلك يقول الله للشعب مبيناً أن في الوصية الحياة ودونها الموت:

"وأما أنت فتعود تسمع لصوت الرب، وتعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم، فيزيدك الرب إلهك خيراً في كل عمل يدك، في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك، لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك، إذا سمعت لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه المكتوبة في سفر الشريعة هذا. إذا رجعت إلى الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك. إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول: مَنْ يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها؟ ولا هي في عبر البحر حتى تقول: مَنْ

يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها؟ بل الكلمة قريبة منك جداً، في فمك وفي قلبك لتعمل بها. انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر، بما أنى أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو، ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها" (تث ٣٠: ٨-١٦)

وهكذا كان الثبات في الوصايا والناموس يحفظ العهد للشخص، ويقدم صورة الخلاص الجماعي ويقدم إرادة الإنسان أمام الله. وقد كان التقاء إرادة الله بإرادة الإنسان في صورة شعب إسرائيل هو حالة ملكوت العهد القديم، وقد كان وجود الرب ملموساً وحضوره أمام عيونهم.

وحضور الله بالعبرية تسمى "الشكينة" وهي تعني حرفياً مسكن المسافر أو النزيل، وكان هذا تمهيداً لحدث الخلاص الحقيقي وهو مجيء ربنا يسوع المسيح له المجد على الأرض، وروعة الوحي تتجلى حينما نجد ماريوحنا يستخدم نفس المعنى في تعبيره:

"والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١: ١٤)

فالقديس يوحنا الرسول يستخدم التعبير اليوناني المقابل للكلمة العبرية (شكينة)، وهي تعني أيضاً في اليوناني "سكن في المظلة أو في الخيمة"، وهذا ما أعلنه السيد المسيح له المجد لليهود مبيناً أنه هو الله الحال في وسطهم كما كان في الهيكل:

"أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه. فقال اليهود: في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده" (يو ٢: ١٩- ٢١)

وقد كانت معية الله لشعبه أو وجوده وسط شعبه يأخذ صوراً مادية محسوسة، لأن الشعب كان لم يزل يتعامل بعقلية الشعوب الأخرى، فكان الله يظهر في صورة السحاب والنار، وأما وجوده الدائم أمامهم فكان من خلال التابوت.

ونحن ندرس هذه الأحداث نفهم وندرك أنها ظل لحقيقة نفهمها وندركها في عهد الخلاص بالمسيح. فنجد الذبائح كانت ظل لعمل ربنا على الصليب. ونجد مكان اجتماعهم بالرب كان من الممكن أن يجتمعوا في أي مكان ولكن كل شيء كان يخططه ربنا كان يعني وجوده في وسطهم. ففي سفر الرؤيا قال الملاك:

"فإن شهادة يسوع هي روح النبوة"

(رؤ ١٩: ١٠)

أي إن كل شيء قيل في العهد القديم كان شهادة لربنا يسوع. فالحقيقة هي وجود ربنا يسوع المسيح في وسطنا، لأجل خلاصنا كما قال ماريوحنا في الإصحاح الأول:

"والكلمة صار جسداً وحل بيننا"

(يو ١: ١٤)

وهي نفس فكرة الحلول الذي سيعلنه الرب حينما يقيموا خيمة الاجتماع فيحل الله في وسطهم. وهذه كانت نقطة هامة أن يشعر الشعب بالحلول الإلهي لأن هذا يهيئ أذهانهم بإمكانية وجوده الفعلي والمحسوس فيما بعد بتجسده.

بل هذا الظل الذي عاش فيه الشعب كان مرحلة تهيئة إلى أن أتى المسيح وقال لهم أنا هو، أنا لم أتكلم في الخفاء، وقال لهم اهدموا هذا الهيكل وأنا أقيمه في ثلاثة أيام. والهيكل هو الصورة الثابتة لخيمة الاجتماع. ويقول ماريوحنا إنه كان يتحدث عن هيكل جسده حتى نفهم أن وجود المسيح بشخصه كان هو المحور الذي كان يريد أن يحيوا

فيه في العهد القديم. فلم تكن مجرد رؤية لكنها كانت معايشة أيضاً. ونرى الصورة قوية ورائعة كيف أن الله بكل دقة كان يرسم لوحة ثم بعدما تكتمل كاملة نكتشف إنه يرسم وجود المسيح في وسطنا بملامحه هو وبسمات وجوده الخلاصي لأجل حياة العالم.

وقد كان الرب قد أعد هذه المرحلة بكل دقة فقد كان أربعين يوماً فوق الجبل مع موسى النبي وأعطاه الشريعة في لوحي العهد، وعلمه كيفية صنع الخيمة وأراه إياها وشرح له ماذا يفعل، وما هي الذبائح، وحتى ملابس الكهنة أعدها له وكيفية الاحتفال بالأعياد. ويقول معلمنا بولس الرسول عن الخيمة:

"الذين يخدمون شبه السماويات وظلها، كما أوحي إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن. لأنه قال: "انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أظهر لك في الجبل" (عب ٨: ٥)

أي إنه أراه خيمة الاجتماع. ويقول أيضاً:

"لأن الناموس، إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة، التي يقدمونها على الدوام، أن يُكمل الذين يتقدمون" (عب ١٠: ١)

أي أن الرب يسوع وصلبه هو الحقيقة التي كان ظلها يأتي على العهد القديم. لذلك قد رسم الرب لموسى على الجبل هذا الظل لأنه وحده كان يعرف حقيقة هذه الظلال والرموز.

لذلك نجد الرب في العهد القديم وجوده في وسطهم، كان يُعلم ويرشد ويقود إلى طريق هو الذي قد دبره لخلاص العالم كله. فقد كان يقودهم من خلال الرموز والظلال حتى يأتي زمن الخلاص ويعلن ذاته حقيقة ويقود هو وروحه القدوس كنيسته لخلاص العالم كله، لذلك حينما كان يرحل الشعب كان موسى النبي يقول:

"قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك"

(عد ١٠: ٣٥)

ثم يتحرك التابوت، وقبل أن يتحرك التابوت يجدوا عمود النار بالليل وعمود السحاب بالنهار.

وبالطبع كان وجوده الرمزي بهذه الصورة الرمزية هي حالة أضعف بكثير مما هي في كنيسة العهد الجديد، إذ نجده في وسطنا في الكنيسة يعلمنا ويشبعنا بل نتحد به في الإفخارستيا ويعطينا ماء الحياة فيقول للسامرية:

"كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤: ١٣، ١٤)

بل وقد أعطانا أن نتحد به كيانياً ونحيا به:

"أنا هو خبز الحياة... فمن يأكلني فهو يحيا بي"
(يو ٦: ٤٨، ٥٧)

فهو المشبع والمروي لكل نفوسنا. ووجوده في وسطنا هو الحماية، وهو السند وسط عالم مزعج يحمل سمات الموت والفساد، فحينما هاج البحر على التلاميذ ووجدوا المسيح نائم قالوا له أما تبالي أننا نهلك؟، فقال لهم أين إيمانكم؟ لندرك إنه حتى وإن لم نراه ولكنه موجود وحي في وسطنا.

وقد كانت صورة الكنيسة في العهد الجديد تتحقق بصورة رمزية في العهد القديم في خيمة الاجتماع وسنرى فيما بعد أن كل رموز خيمة الاجتماع كانت هي وجود المسيح نفسه بكل دقة.

وقد بدأوا في صنع خيمة الاجتماع في اليوم الأول من السنة الثانية واستمر في صنعها الصناع مدة تسعة أشهر. ويقول في سفر الخروج إنه

كان يعطي حكمة للصناع فهو لم يكن مجرد قماش ومعدات وخيمة ولكنه سيكون هناك حلول إلهي. ولأنها ستكون هذه الصورة هي المسيح نفسه فلابد أن يكون روح الله هو الذي يقود الصانع حتى تخرج حسب التدبير الإلهي.

✚ وجوده الرمزي وسطهم في خيمة الاجتماع

سنجد أن وجود الله في خيمة الاجتماع في الوسط وحوله خيام الأسباط على شكل صليب حتى يقول إن وجودي معكم الحقيقي سيتم بالصلح بالصليب. ويقول في رسالة العبرانيين:

"ثم العهد الأول كان له أيضا فرائض خدمة والقدس العالمي، لأنه نصب المسكن الأول الذي يقال له "القدس" الذي كان فيه المنارة، والمائدة، وخبز التقدمة. ووراء الحجاب الثاني المسكن الذي يقال له "قدس الأقداس" فيه مبخرة من ذهب، وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب، الذي فيه قسط من ذهب فيه المن، وعصا هارون التي أفرخت، ولوحا العهد. وفوقه كروبا المجد مظللين الغطاء" (عب ٩: ١ – ٥)

يريد أن يقول إن هذا العهد كان له قداسة معينة ولكن في النهاية هو رمز للحقيقة التي ستحدث من تجسد وفداء وعمل كنيسة العهد الجديد.

وفي سفر الرؤيا نجد نفس رموز العهد القديم موجودة في العهد الجديد ، فيتكلم عن صورة العهد القديم فيقول إن أبواب الهيكل يراها في سفر الرؤيا ، يقول :

"وكان بناء سورها من يشب، والمدينة ذهب نقي شبه زجاج نقي" (رؤ ٢١: ١٨)

ويستخدم الذهب في الدلالة على الوجود الإلهي ، لأن الذهب مادة لها شكل بريق مشرق ، الأصفر يعطي معنى إشراق النور . ولا يتغير لذلك الذهب يعطي صورة اللاهوت لأن هو النور الذي لا يتغير . ويستخدم أيضاً الفضة ، ليرمز بها إلى كلمة الله ، يقول في المزمور :

"كلام الرب كلام نقي، كفضة مصفاة في بوطة في الأرض، ممحوصة سبع مرات" (مز ١٢: ٦)

ويستخدم النحاس لأنه يعني حكم الله وصلابة وقوة الكلمة ، فيقول في سفر الرؤيا :

"ورجلاه شبه النحاس النقي، كأنهما محميتان في أتون. وصوته كصوت مياه كثيرة" (رؤ ١: ١٥)

ويقول إن التابوت والأدوات من خشب السنط لأنه لا يسوس، وهذا يرمز إلى ناسوت السيد المسيح الذي بلا خطية. ويرمز أيضاً للصليب الذي به تم الصلح بين السماء والأرض. وأحياناً يقول خشب مغشى بالذهب مثل التابوت ومذبح البخور، أي اتحاد اللاهوت والناسوت. فهو رمز تجسد المسيح له المجد. وأحياناً يقول خشب مغشى بالنحاس ليقول لنا المسيح الذي احتمل خطايانا وآلام الصليب.

كما أن الألوان أيضاً لها رموز، فاللون القرمزي يرمز إلى دم المسيح. ولون الأرجوان إلى الملك. ولون الاسمانجوني إلى السماء. وهذا لأنه أعطى أمراً بهذه الأمور إذن لابد أن يكون لها معنى خفي.

ومما يؤكد هذا في سفر الرؤيا نرى نفس الرموز التي في العهد القديم سواء الألوان أو الأحجار الكريمة أو الذهب والنحاس والفضة. إذن ما كان يريده في العهد القديم هو رمز أبدي لأنه هو المسيح نفسه. فكل ما في الخيمة هو صورة لتجسد ربنا يسوع المسيح للمعايشة في العهد القديم ثم نتحقق منه في العهد الجديد وبه ندخل ملكوت السموات.

وخيمة الاجتماع كان لها باباً واحداً فقط حتى يدرك الشعب أن المسيح هو فقط الباب الذي يتم من خلاله الصلح ويتم التواجد بين البشرية والله.

وكان الباب ناحية الشرق فمن يدخل يكون قدس الأقداس أمامه في الغرب عكس ما تصنعه الكنيسة الأرثوذكسية إذ يكون المذبح في الشرق والباب في الغرب. وهذا لأنه يشير إلى أن العهد القديم في حالة عدم الصلح، وحينما تم الصلح في الصليب صار المذبح ناحية الشرق.

وحينما ننظر على خيمة الاجتماع سنجد غطاء الخيمة الخارجي عبارة عن ستارة كبيرة تغطي السقف والجانبين والمقدمة والمؤخرة لكنها لا تصل إلى الأرض أي إنها مرفوعة عن الأرضيات ونازلة من السماء. وهي مطرزة من الداخل رسم الكاروبيم، والخيمة على شكل مستطيل عرضه ثلاثون ذراعاً (الذراع خمسة وأربعون سنتيمتراً)، وعرضه عشرة أذرع، وارتفاعه عشرة أذرع.

والغطاء كان مكون من ثلاث طبقات، الطبقة الأولى من شعر الماعز أي شكل بلا جمال، والشعر دائماً في العهد القديم يرمز إلى ما هو خارج من الرأس. فهو يريد أن يقول إننا نحمل شكل الخطية ولا يوجد فينا جمال. والمسيح حينما صعد على الصليب وحمل خطايانا، تقول النبوة في سفر إشعياء:

"لا صورة له ولا جمال" (إش ٥٣: ٢)

وهو علامة سلوك الخطية. والطبقة التي تليها جلود كباش محمرة، علامة ذبيحة المسيح، والكباش هي ذبيحة الطاعة، فبينما الشكل الخارجي كان الخطية لكنه حمل خطايانا بذبيحة الخطية.

ثم طبقة جلود التخس، وهو حيوان بر مائي. وكان يصنع منه الأحذية لأنه قوي جداً. وهي تعني الحماية. شكلنا من الخارج هو حامل خطايانا ثم قدم الذبيحة ثم هو يحمينا. لذلك أعطانا صورة حيوان برمائي حتى نفهم أن حمايتنا هي إننا ولدنا من المعمودية.

وبداخل الخيمة يوجد ثلاثة أقسام: الدار الخارجية، ثم القدس، ثم قدس الأقداس.

✶ الدار الخارجية

والدار الخارجية بها أعمدة من خشب السنط وقواعدها من الفضة يشير هذا أن الكنيسة مبنية على خشبة الصليب وكلمة الله الفضة.

وقاعدة الخيمة هي قاعدة مزدوجة لكي ندرك أن التعليم في الكنيسة مزدوج من عهد قديم وجديد. ومبنية على تعليم النبوات والرسل.

والـدار الخارجيـة الشـكل مسـتطيل وبـه **مـذبح المحرقـة** (المـذبح النحاسي) وهو مذبح ضخم جداً يصعد إليه الكاهن بدرجات. وكان يوضع عليه الذبيحة وتحرق. ثم **المرحضة** وهي تمثل المعمودية، وكان ينزل فيها الكاهن لكي يتطهر. وهذه علامة على أن المذبح النحاسي والمرحضة يمثلان حالة النقاوة والبر بدم ذبيحة المسيح والماء. وكانت المرحضة من النحاس وكان أحياناً يغتسلوا أيديهم فقط وأحياناً ينزلوا فيها بالكامل.

مائدة المذبح النحاسي من خشب السنط مغشى بالنحاس. وهذا لأن النحاس علامة الدينونة أو احتمال الألم. وهذا يشير إلى الذبيحة بالصليب التي فيها السيد المسيح احتمل الألم لأجل خطايانا.

وكانت النار متقدة على المذبح ليلاً ونهاراً، وكان يقدم عليه الذبيحة الصباحية الساعة التاسعة صباحاً، والمسائية الساعة الثالثة مساءاً، وهذه النيران قد نزلت مرة واحدة فقط في بداية صناعة الخيمة، وفيما بعد نزلت مرة أخرى وقت هيكل سليمان وكانت تسمى النار المقدسة وبالطبع انتهت مع هدم الهيكل. لذلك لو حدث وأنهم بنوا الهيكل لن تنزل نار من السماء، فقد قال نار مقدسة علامة على قبول الذبائح.

* القدس

ويوجد بداخل القدس **مائدة خبز الوجوه**، وخبز الوجوه كلمة تعني رؤية الله الذي يرى به الأسباط. فالخبز يعني الحياة، والوجوه أي وجوه الشعب الذي يتراءى أمام الرب، لذلك كان يوضع اثنتي عشر خبزة علامة على الاثني عشر سبط. وكانوا يبدلونها كل يوم سبت وكان يأكله الكهنة فقط.

وكانت من خشب السنط ومغشى بالذهب علامة على إن الله في وسط شعبه المتجسد، وهو الذي يعطي الحماية للشعب بوجوده الدائم أمامهم.

وكان أيضاً بالقدس **المنارة الذهبية** كانت من ستة أفرع وفي الوسط فرع سابع، والمنارة كانت علامة وجود الله كنور في وسط شعبه، والمسيح قال عن نفسه "أنا هو نور العالم". وكان الكاهن هو الذي ينيرها.

ثم **مذبح البخور**، كان أمام الحجاب، وكان يقدم عليه البخور وهو علامة الشفاعة الكفارية لأنه يصعد إلى السماء. والبخور يوضع على الفحم الذي فيه نار وهذا علامة التجسد. فالفحم هو طبيعتنا، والنار هو

الطبيعة اللاهوتية، فحينما قدم المسيح على الصليب الإله المتجسد قدم ذاته أمام الآب ذبيحة رضا اشتمه الآب السماوي وقت المساء على الجلجثة هكذا نسبح في ألحان الكنيسة. لذلك البخور علامة الذبيحة الكفارية. وكان يقدم البخور غالباً مع كل ذبيحة.

وفي خط مستقيم من الخارج نرى المذبح النحاسي، ثم المرحضة، ثم مذبح البخور، وعلى اليمين مائدة خبز الوجوه، وعلى الشمال المنارة الذهبية، لنرى أمامنا شكل الصليب الذي هو علامة الصلح.

✶ قدس الأقداس

ثم بعد هذا **حجاب** بلا فتحة إلا من أسفل، وكان رئيس الكهنة يدخل مرة واحدة فقط كل عام من تحت الحجاب حتى يدخل إلى قدس الأقداس ويقدم دم ذبيحة الكفارة. ولا يدخله أحد علامة الخصام بين وجود الله فعلياً وبين الشعب. فالشعب لا يستطيع أن يرى الله. والله قال لموسى النبي:

"لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش"

(خر ٣٣: ٢٠)

وكان يدخل رئيس الكهنة مرة واحدة فقط في عيد الكفارة، علامة على أن ذبيحة الصليب صنعت مرة واحدة فقط دخل بها السيد المسيح حسب تعبير معلمنا بولس الرسول:

"بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً"
(عب ٩: ١٢)

وكان **التابوت** بداخل قدس الأقداس، والتابوت كلمة عبرية تعني صندوق، وهو من خشب السنط المغشى بالذهب علامة اتحاد اللاهوت بالناسوت. فهو رمز المسيح له المجد طبيعة واحدة من الناسوت واللاهوت.

وكل ما بداخل التابوت يرمز إلى المسيح، فالمسيح قال عن نفسه: "أنا هو المن"، وقال إنه كلمة الله، فكان بداخل التابوت **قسط المن** الذي قال الله لموسى النبي خذ منه قسط وضعه في التابوت.

وكان به أيضاً **لوحي الشريعة** أي كلمة الله، وأيضاً به **عصا هارون** التي أفرخت بدون غرس. وقد أفرخت زهرة لوز لأن زهرة اللوز هي أول زهرة تتفتح في الربيع لذلك فهي تشير إلى القيامة لأنها هي باكورة

الزهور. علامة على إنه حينما صُلب المسيح ودفن في الأرض كان باكورة الراقدين.

إذن بداخل التابوت ما هو بأصبع الله، أي أن المن من عند الله، ولوحي الشريعة من عند الله وبأصبعه أيضاً، وعصا هارون التي أزهرت بغير زرع بشر.

وفوق التابوت غطاء، وعليه الكاروبيم، ملاكين بأجنحتهما تلامس الحائط اليمين والشمال علامة على إنه محمول على الشاروبيم والسيرافيم.

وكلمة كفارة تأتي من كلمة cover أي الغطاء، وهذا يشير إلى عمله الكفاري، فقد تجسد وصلب لكي يغطي خزي البشرية ويصير كفارة لنا.

وقد كان يوجد من يأخذ إشراق روحي ويدرك تلك الأسرار والرموز. ويوجد من لا يدرك ولكنه يشعر بالرهبة من كلام الرب وأعماله فيؤمن ولا يفهم. وكان الرب يريد أن يجعل هذا الشعب يعيش بهذه الرموز إلى أن يأتي هو ويفهمنا ويعلمنا كل شيء.

في الثمانينات كان هناك **أحد حكماء إسرائيل** وقد صار مسيحياً فقال: «كان العهد القديم بالنسبة لي كأنه رسالة مشفرة لم أدرك معناها إلا حينما أمنت بالمسيح».

وهذا الشعب كان يحيا في الظل، أي كان الصليب هو الحقيقة، والتجسد هو الحقيقة، ووجود الله في وسطنا هو الحقيقة، ولكن ما كانوا فيه هو ظل تلك الحقائق. فالذي عاش في الظل كان يأخذ بركة وجود ظل الحقيقة فيصير الله قادر أن يتعامل مع هذا الشعب حتى وإن كان في الظل ثم حينما يأتي يكون هذا الذي عاش في ظل الحقيقة قد أخذ نعمة ولكنه غير مدركها، أي عاش مشمولاً بظل حقيقة سيأتي الزمن الذي يدرك فيما بعد إنه عاش هذه الحقيقة.

لذلك حينما صُلب المسيح ونزل الجحيم يقول ماربطرس إنه كرز للذين في الجحيم أي إنه أظهر ذاته لكل من لم يعرفه ولكنه عاش منتظره وكانت حياته كلها اشتياقات له.

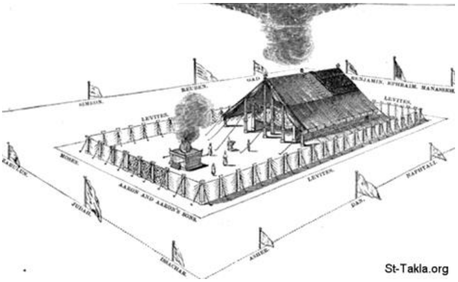

☆ تقديس الشعب وخصوصيته للرب علامة خلاصية

فقد كان من نتائج العهد ودخول الله في شركة مع شعبه، أن الشعب كله صار مكرساً للرب. ومع احتفاظهم بتقديسهم يحتفظون أيضاً بانتصاراتهم وخلاصهم فهكذا قال لهم الرب:

"أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تُكلِّم بها بني إسرائيل" (خر ١٩: ٤-٦)

وكانت العبادة والذبائح والتسبيح هي عناصر التقديس للشعب. وبذلك أصبح لله شعب يلتصق به، ويحمل عهداً خلاصياً لا لنفسه فقط بل لكل العالم أيضاً. ويكون كل وعد وكل عمل يعمله الله لشعبه، يُعمَّل لحساب خلاص الإنسانية كلها، فالعالم كله كان هو هدف التدبير، والصورة التي أراد الله أن يحيا فيها مع البشرية كلها، والذي رفض وفشل على مستوى الضمير العام، فاتجه نحو شعب خاص.

وقد كان الكهنوت أحد صور تدبير الرب لعلاقته بشعبه، وكهنوت العهد القديم يأخذ قوته وعمقه من كهنوت المسيح، فالمسيح هو

الكاهن الأعظم الذي قدم أعظم ذبيحة، والذبيحة الغير محدودة على الصليب التي كان يقدمها الكاهن بصورة رمزية في العهد القديم، ثم صارت حقيقة بذبيحة المسيح. وامتدت على المذبح في الإفخارستيا في العهد الجديد، فما نقدمه على المذبح هو نفس ذبيحة ربنا يسوع المسيح الذي جاء يوم خميس العهد وقال لهم:

"هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري"
(لو ٢٢: ١٩)

و"لذكري" الكلمة اليوناني التي كتب بها الكتاب المقدس هي "أنامنسيس" وهي استعادة حدث، فنحن لا نصنع ذبيحة جديدة ولكننا نستعيد الحدث فيحل الروح القدس ليطهر ويقدس القرابين ثم يأتي المسيح بذاته ليحول الخبز والخمر إلى جسده ودمه إذ هو الإله المتجسد والفادي فوق الزمن فيأتي ويحل ليحول القرابين إلى جسده ودمه بنفس ذبيحة الصليب.

إذن هي ذبيحة الصليب التي كان رمزها في العهد القديم هو الذبائح. وإذن الكهنوت هنا هو كهنوت السيد المسيح الذي في العهد القديم يأخذ رمزاً ولكن وفي العهد الجديد هو كهنوت المسيح نفسه.

فيقول معلمنا بولس الرسول في رسالة العبرانيين أن كهنوت المسيح هو الكهنوت الأعظم والأكمل والغير محدود. لأن كهنوت العهد القديم كهنوت لاوي أي أولاد هارون الذين من صلب إبراهيم الذي قدم لملكي صادق العشور، وملكي صادق قدم ذبيحة من خبز وخمر، إذن فالكهنوت والذبيحة المقدمة من أولاد إبراهيم كانت أقل من ذبيحة وكهنوت ملكي صادق، لذلك يقول المزمور:

"أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق"

(مز ١١٠: ٤)

وملكي صادق قدم الذبيحة الرمزية والصورة التي ترمز لذبيحة ورمزية كهنوت المسيح في العهد الجديد أي الإفخارستيا.

ويقول الكاهن في **القداس الإغريغوري**: «أقدم لك يا سيدي مشورة حريتي واكتب أعمالي حسب أقوالك وحسب وصاياك، أنت الذي أعطيتني هذه الخدمة المملوءة سراً». وهي أمور وإن كانت ظاهرة مادية ولكنها غير مادية، وإن كانت ظاهرة إنها أرضية إلا أنها غير أرضية.

فالكهنوت الذي سيحدده الرب في العهد القديم هو رمز لكهنوت المسيح، ولكن قد أسس الرب يسوع بنفسه كهنوت العهد الجديد بسلطانه اللاهوتي.

لذلك يرسم الرب لموسى النبي طقس وصورة الكهنوت، فيحدد له ملابس معينة، يلبس الرداء أو الثوب الخارجي من نفس مادة خيمة الاجتماع حتى يقول إن الاثنين يشيروا إلى شخص واحد وهو المسيح له المجد.

والكاهن كان يحمل على كتفيه حجري الجذع وعليهم منقوش أسماء الأسباط وكأنه يحمل على كتفيه شعبه. فكلمة كاهن في اليوناني "برسفتيروس" تعني شفيع. فهو يقف شفيعاً أمام الله، والمسيح أيضاً على الصليب قدم شفاعة كفارية فهو الوسيط الكفاري الوحيد الذي بذبيحة ذاته وكهنوته استطعنا كلنا أن ندخل فيه ونجد أمام الآب فداء أبدياً.

ومادة الرداء مرصعة بأثني عشر حجر كريم، عليها أسماء الأسباط ويحمل أيضاً في صدره، في داخله، في قلبه شعبه.

وكان هناك أيضاً حجرين مهمين موجودين في أعلى الصدر وهما الأوريم والتميم، وهما كلمتان تعنيان الأنوار والكمالات. وكان يتكلم بها الرب فأحدهما يقول بها نعم والأخرى لا. وقد انتهى هذا مع بداية عصر النبوة لأنه صار الرب يتكلم عن طريق الأنبياء.

ويلبس الكاهن تحت الرداء الجبة وكان لونها اسمانجوني، وهي تشير إلى أن الكهنوت سماوي. وتنتهي الجبة بأجراس ورمانات ذهبية ليعلن الكاهن أنه يحمل كلمات الله فلابد أن يسمع له الشعب.

وكان يلبس فوق رأسه عمامة وبها صفيحة من ذهب مكتوب عليها قدس للرب علامة التقديس والتكريس. ثم يلبس تحت الجبة قميصاً منسوجاً أبيض كتان علامة الطهارة والنقاء، حتى ندرك أن الكاهن يأخذ طهارة المسيح ليغطي بها ضعفاته.

وفي العهد الجديد ندرك تماماً إنه حينما يقدم الكاهن الأسرار لا يكون بشخصه العادي ولكن يأخذ قوة من السماء لتتميم الأسرار. والكاهن قبلما يبدأ السر يصلي صلاة سرية يقول له أحضر لي قوة من السماء حتى أستطيع أن أتمم هذا السر.

في أيام القديس أنبا مقار كان هناك أب ناسك يدعى أنبا مرقس المصري وهو كان قديس كبير ظل في قلايته ثلاث سنوات في الجبل. فكانوا يرسلوا له كاهن يقيم له قداس في قلايته. وفي أحد المرات وجد الشيطان إنه لا يخرج من قلايته ولا يتكلم مع أحد، فذهب شخص عليه شيطان، فطلب منه الآباء أن يأتي ويصلي معهم لأنهم لم يتمكنوا من إخراجه. والشيطان كان يريد أن يسقط أنبا مرقس الناسك في الإدانة، وحينما صلى أنبا مرقس على الشيطان ورشم الصليب، الشيطان قال له: "الكاهن الذي يأتي لك خاطئ"، فقال أنبا مرقس: "يا ولد لماذا أدخلت هذه النتانة إلى القلاية". وقال له: "ألم تسمع ربنا حينما قال لا تدينوا لكي لا تدانوا". فصرخ الشيطان وخرج.

ولكن حينما أتى إليه الكاهن يوم الأحد ليصلي القداس أهتم به جداً أنبا مرقس الناسك وقدم له كرامة أكثر من كل مرة. فأراد الرب أن يكشف له عن تدبير الكهنوت في السماء فوجده وهو واقفاً على المذبح جاء ملاك ولمس رأسه، فصار الكاهن كله نور ونار، ففهم أن الله يريد أن يقول له أن الكاهن لا يقدم القرابين بشخصه ولكن هذا الكهنوت هو كهنوت سماوي، وإن الرب يقدس الكاهن مهما كانت خطاياه وضعفاته وهو يقدم القرابين.

۞ طقس تقديس الكهنة في العهد القديم

قال الرب لموسى أن يتقدم هارون وبنيه إلى باب الخيمة ويغتسلوا وهذه علامة المعمودية. ثم يرتدون الملابس الكهنوتية أي إنه يلبس المسيح يقول معلمنا بولس الرسول:

"لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"

(غل ٣: ٢٧)

ثم يدهنه بزيت علامة تدشين الروح القدس كما ندشن المذبح بزيت، علامة إنهم سيأخذون موهبة من الروح القدس.

ثم يدخل ويقدم ذبيحة خطية، فالكاهن إنسان غير معصوم من الخطأ ولكنه يقدم عن خطاياه ذبيحة خطية. وهذه الذبيحة يأخذوا شحمها والكبد والكليتين ويضعوهم على المذبح علامة على تقديس الداخل، فالذبيحة تقدم بدلاً من الكاهن.

ثم يقدم ذبيحة محرقة علامة الطاعة. ثم يقدم كبش المليء الذي يقدس الكاهن، ويأخذ من دمه ويضع على ملابس الكاهن ويدشن بالدم أذنه ويده ورجلاه. وتلاحظوا إلى اليوم في الأمور الشعبية حينما يصنعوا ذبيحة تجدهم يأخذوا من الدم ويضعوا على الملابس والأبواب

فهذا مأخوذ من العهد القديم. ثم يأخذ موسى النبي الذبيحة ويرددها أمام الله علامة إنه يقدم نعمة الكهنوت من خلال الذبيحة.

ويظلوا سبعة أيام لا يخرجون من الهيكل علامة على تقديس الحياة. ثم يقدم ذبيحة فطير علامة على الحياة الجديدة. وأقراص فطير ملتوت بزيت علامة على الحياة التي بها الروح القدس. ثم يبدأ عمله الكهنوتي.

فالكهنوت بهذه الصورة هو رمز لكهنوت المسيح الذي أعطى سلطانه للرسل وكهنوت الكنيسة. وقد رأى ماريوحنا في سفر الرؤيا مذبح وكهنة حتى ندرك أن الكهنوت أبدي أيضاً. فالكهنوت تدبير إلهي، وكما قال الرب:

"ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس" (لو ١٦: ١٧)

فالكهنوت يتحول من كهنوت قديم إلى كهنوت المسيح، والمذبح يظل مذبح، والذبيحة تتحول من ذبائح دموية إلى ذبيحة المسيح نفسه. ولكن تظل الكنيسة في العهد الجديد تحقق كل كلام المسيح حتى الذي للعهد القديم فلا يمكن أن ينقض المكتوب كما قال الرب:

"ولا يمكن أن ينقض المكتوب" (يو ١٠: ٣٥)

ويقول معلمنا بولس الرسول:

"وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداء أبدياً" (عب ٩: ١١، ١٢)

إذن المسيح لم يبطل الكهنوت ولكنه جاء رئيس كهنة. ويقول ماريوحنا في سفر الرؤيا:

"ثم بعد هذا نظرت وإذا قد انفتح هيكل خيمة الشهادة في السماء" (رؤ ١٥: ٥)

حتى يرينا كل ما هو في العهد القديم صار له صورة في الأبدية امتداداً بعمل المسيح. لذلك رأى أيضاً أمام العرش:

"ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح" (رؤ ٥: ٦)

حتى ندرك أن ما تفعله الكنيسة على الأرض هو صورة للأبدية.

إذن كان الكهنوت في صورة العهد القديم رمز للمسيح، ويصير كهنوت العهد الجديد هو كهنوت المسيح نفسه. وتكون ذبائح العهد

القديم ظل لذبيحة الرب يسوع على الصليب يدخل بها المسيح إلى قدس الأقداس ليقدم فداء أمام الآب. ثم يصنع الكاهن نفس الذبيحة ويستحضر عمل المسيح في ذبيحة الإفخارستيا الذي هو التناول لتغفر خطايانا ونتحد به. كل هذا تم تدبيره لأجلي ولأجلك لكي ندخل في شركة الحياة الأبدية بتدبير فائق للحكمة والروعة والحب.

لذلك كانت الذبائح في العهد القديم كثيرة ومتنوعة لأن كل منها ترمز إلى وجه من أوجه الخلاص بذبيحة الصليب. فقد قال لشعبه:

"فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس" (لا ١٧: ١١)

فكانت الذبيحة هي الحل المؤقت الذي من خلاله الإنسانية تدرك أنها كلما تقف أمام الله لابد أن تقف من خلال دم حتى يتمم المسيح الخلاص الأبدي في العهد الجديد. **ولكن هل إله العهد القديم إله دموياً كما يثير البعض في كتاباتهم؟**

*** على هذه الفكرة نجيب بالآتي**

أولاً: كل الكائنات المادية غير البشرية من حيوانات وحشرات فيها نفس وليس روح، والنفس الحيوانية هي الكيان الحيوي للمادة

وبموتها تتحول إلى طبيعتها الأولى أي التراب. وبذلك فموت الحيوانات هو حالة تحول من حالة حيوية إلى حالة ترابية.

ثانياً: دم الذبائح الحيوانية هو رمز لدم المسيح، وكما أن الذبيحة الحيوانية تتألم وتُذبح ويأخذ من دمها لكي يقف الإنسان خلفه، هكذا أيضاً الإله المتجسد الذي من أجل العدل والحب قدم ذاته وتألم وذُبح لكي يغطينا بدمه ونحيا بموته.

فكل من يرى هذا الدم الذي كان يوضع على المذبح كل يوم لابد أن يدرك أن هذا لأن الإنسانية فاسدة، وإن الإنسان يسقط دائماً ويحتاج للذبيحة كي يغطي هذا العري ويقوم به أمام الرب.

وبقدر ما هذا الدم مزعج ومتعب ومؤلم بقدر ما نحن نرى المسيح الذي قدم هذه الذبيحة قد أعطانا هذا الحب العميق لأنه مات عنا حتى يرفع عنا عقاب خطايانا فقد قدم ذاته بدلاً عنا حتى لا نموت بل قدم ذبيحة ذاته الغير محدودة ليخلص كل العالم.

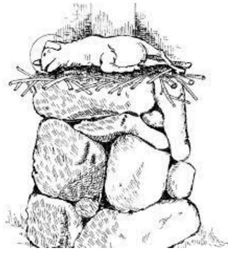

ذبائح العهد القديم ترمز إلى أوجه ذبيحة الصليب

وفكرة الذبائح هي فكرة كائن بريئ لم يخطئ يُقدم أمام الآب حتى تأتي صورة الكائن الأبدي الأزلي الغير محدود الإله الذي لأجل أن يعطي الحياة ويغطي فسادنا قدم ذاته على الصليب. وفي ذبيحة الصليب نجد ملامح ذبائح العهد القديم الخمس، كل معنى كانت تحتاجه الإنسانية في ذبيحة الصليب سنراه:

أولا: ذبيحة المحرقة

وهي أكثر ذبيحة كانت تقدم على المذبح، فهي ذبيحة يومية تقدم صباحاً ومساءاً. وفي كل الأعياد لأن ذبيحة المحرقة هي علامة الطاعة، وتذبح كاملاً ولا يؤكل منها شيء. لأن فكرة الخطية في حد ذاتها هي كسر الطاعة، فحينما قال الرب للإنسان احفظ الوصية لأجل الحياة معه، فكانت الخطية هي كسر العلاقة بين الله والإنسان بكسر الطاعة، لذلك تقدم هذه الذبيحة بصورة دائمة.

ونجد السيد المسيح قبل أن يصعد على الصليب ذهب إلى جثيماني ونظر أمامه خطايا العالم كله وحملها على كتفيه، وقدم الطاعة كذبيحة نفسية قبل ما يقدم ذبيحة الصليب، وقال:

"يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (لو ٢٢: ٤٢)

حتى يظهر إنه لا يحتمل هذه الخطية فهو بار، ولكن لتكن إرادتك لا إرادتي لكي يقدم نيابة عن البشرية الطاعة الكاملة للآب. فإنه أخضع إرادته لأنه لم يكن يحمل خطيئة يموت لأجلها ولكن من أجل الطاعة أحنى كتفيه وأحنى رأسه وحمل خطايانا كاملة وقدم ذاته ذبيحة.

فالابن أطاع الآب نيابة عن البشرية كلها، نعم المسيح الإله المتجسد أطاع هذه الصورة كي يزيل من صورتنا حالة العصيان فهو نيابة عنا قدم كل شيء لأجلنا. وكانت تقدم ذبيحة المحرقة يومياً علامة على أن الطاعة لابد أن تكون دائمة، وكانت تقدم هذه الذبيحة وسط تسابيح ومزامير علامة على التقدمة للآب السماوي.

وهناك ذبائح سيقول الله إنه يشتم فيها رائحة سرور وهناك ذبائح لا يقول ذلك مثل ذبيحة الخطية. فيقول عن ذبيحة المحرقة (الطاعة) إنه يشتم رائحة سرور علامة على إن هذه الذبيحة يسر بها قلب الله. ويقول في رسالة العبرانيين:

"من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهينا بالخزي"
(عب ١٢: ٢)

ويقول في سفر اللاويين:

"إنه محرقة، وقود رائحة سرور للرب"
(لا ١: ١٣)

لذلك ذبيحة المحرقة هي ذبيحة تقدم عن الإنسانية التي عصت قديماً ولم تطع فتقدم حتى يرى الله صورة الطاعة الكاملة فيسر بالإنسانية.

ويُذبح الحمل ويأخذ من دمه ويرش به دائري على باب الخيمة أو باب الهيكل بالخارج علامة على إنها تقدم للإله الأبدي، والباب علامة على إن الطاعة هي مدخل العلاقة بين الإنسان والرب.

ثم يسلخ كاملاً علامة على الألم الذي تألمه المسيح على الصليب، ويغسل علامة المعمودية التي بها سنأخذ مفاعيل الفداء. ثم يقدم كاملاً على المذبح.

ثانيا: ذبيحة الخطية

وهناك فرق بين ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم، ذبيحة الخطية تقدم عن كل ما هو تعدي على ما هو بشري، أي كسر وصايا الله فيما يخص

علاقتنا ببعض. ولكن ذبيحة الإثم هي كل خطية موجهه إلى الله نفسه مثلاً شخص أخطأ في حق الهيكل أو في حق الرب نفسه.

وذبيحة الخطية تقدم بأن يضع الخاطئ يديه بين قرني الذبيحة ويعترف بخطيئته، لذلك الكنيسة لم تخترع سر الاعتراف، بل في العهد القديم كان الرب يقول إن الخاطئ يضع يديه بين قرني الذبيحة ويعترف ويقول أخطأت. والكاهن يقول الرب ينقل عنك، أي ينقلها من الإنسان الخاطئ نتيجة اعترافه على الذبيحة. وفي العهد الجديد يقف الخاطئ أمام الكاهن ويعترف والكاهن يقول له الرب ينقل عنك خطيتك ويقول له الله يحالك، ولكن نضعها على ذبيحة الإفخارستيا، على المذبح في المسيح، لذلك يقول الكاهن في القداس: "يُعطى لمغفرة الخطايا".

وفي العهد القديم على حسب مركز الخاطئ يكون طقس الذبيحة، أي إن ذبيحة الكاهن غير ذبيحة الشعب، تختلف في طريقة الذبيحة وفي الاعتراف نفسه. وإذا كان ليس لديه الإمكانية إنه يقدم ذبيحة حمل من الممكن أن يقدم فرخي حمام أو يمام.

ثالثا: ذبيحة الإثم

حينما تكلم إشعياء النبي عن ذبيحة الصليب قال:

"أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم"
(إش ٥٣: ١٠)

لأن خطايانا كلها موجهه ضد الرب كعملية عصيان، فآدم وحواء خطيتهم كانت موجهه ضد الرب الإله. فالسيد المسيح قدم نفسه ذبيحة إثم وهي أقسى صورة للخطايا.

وذبيحة الإثم تحرق خارج المحلة أي ليس على المذبح، وتوضع بالخارج لأن الله لا يريد أن يراها وكأنه لا يريد أن يرى صورة الإثم وهذا الذي جعل المسيح يصلب خارج أورشليم. والمسيح قال على الصليب:

"إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"
(مر ١٥: ٣٤)

حتى ندرك إنه قدم ذبيحة إثم ممثلاً عن البشرية التي صارت في هذه الحالة. حمل ذبيحة الإثم إنه صار متروكاً من الله، وكأن الكلام الذي بين الآب والابن أن المسيح نيابة عن البشرية، وصعد على الصليب ليقدم ذاته ذبيحة إثم ولكن حين قدم ذاته تم الصلح وفتح الحاجز

المتوسط، وفتح الباب المغلق أمام الإنسانية وفتح الطريق والحجاب. وبذبيحة الصليب دخل المسيح إلى الأقداس وهو يحمل طبيعتنا التي فيها صار الصلح بين الإله والإنسان. لذلك يقول معلمنا بولس الرسول:

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة" (غلا ٣: ١٣)

ويقول في سفر العبرانيين:

"فلنخرج إذا إليه خارج المحلة حاملين عاره"
(عب ١٣: ١٣)

وكان الكاهن الذي يقدم هذه الذبيحة يخرج خارج المحلة ويحرق الذبيحة كاملة ويحمل الرماد إلى مرمى الرماد، ويكون هو وملابسه نجس إلى المساء.

رابعا: ذبيحة السلامة

وهي ذبيحة صلح، وقريبة جداً من ذبيحة الإفخارستيا. فيقول الرب:

"ويوقدها الكاهن على المذبح طعام وقود للرب"
(لا ٣: ١١)

كأن الله سيشترك مع الشعب الذي في حالة خصام ومع الكاهن في عملية شركة سلام.

وتذبح وترش حول المذبح، ويأكل الكاهن الذي قدمها الربع اليمين وباقي الكهنة يأكلوا منطقة الصدر، والمذبح نفسه يأخذ الشحم، والشخص الذي قدم الذبيحة وعائلته وجيرانه والفقراء يأكلوا باقي الذبيحة. ويقول في هذه الذبيحة أن الله يشتم رائحة سرور لأنها شركة وصلح بين الخاطئ والرب الإله. ويقول في إنجيل معلمنا لوقا البشير:

"وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا: "هذا هو جسدي""
(لو ٢٢: ١٩)

هو قدم ذاته ذبيحة سلامة وذبيحة شكر.

خامسا: ذبيحة القربان

وهي قريبة أيضاً من الإفخارستيا. وهي ذبيحة غير دموية ولكن لابد أن تقدم على دم الذبائح السابقة. وهي قربان مخبوز ملتوت بزيت زيتون وتصاحب الأعياد لأنها ذبيحة فرح. وكان الرب يريد أن يهيئ أذهانهم إلى الإفخارستيا التي بها سيكمل الرب تدبير الخلاص الأبدي

للبشرية. وتقدم على المذبح الذي عليه دم الذبائح السابقة حتى يدركوا أن الصلح سيتم بدم الذبيحة. وكان هناك بعض الذبائح الأخرى، **مثل:**

سادسا: ذبيحة تطهير الأبرص

فالأبرص يحمل علامة الخطية وهي البرص، وكانت هذه صورة يسمح بها الله للخاطئ الذي تعدى بصورة كبيرة. والأبرص كان يعتبر نجس وكان لابد أن ينادي من بعد إنه نجس حتى لا يقترب منه أحداً، ويقول التلمود إن وقع ظل الأبرص على إنسان ينجسه، ولا يحيا وسط الناس. ولكن حين جاء الرب يسوع غير هذه الصورة فقد قابله أبرص وقال له:

"يا سيد، إن أردت تقدر أن تطهرني"

(لو ٥: ١٢)

لأن الذي يلمس الأبرص يتنجس، ولكن الرب يسوع من يلمسه يتطهر ويُشفى ويخلُص.

وحين يُشفى الأبرص يذهب للكاهن ويكون له طقس لتطهيره. وهذا الطقس مرتبط بفكرة موت المسيح وقيامته بذبيحة خاصة جداً. فيحضر عصفورتين لأنه يريد رمز للصليب والقيامة. ويحضر إناء خزف على مياه جارية علامة المعمودية.

ويذبح فيه أحد العصفورين ويصفي دمه في هذا الإناء ويُطير العصفور الأخر. فدم العصفور الأول يعني ذبيحة الصليب، وانطلاق العصفور الأخر علامة على القيامة والمسيح الذي صعد إلى السماء بعدما قدم نفسه ذبيحة عن خطايانا. ثم يحضر ثلاثة خشبات الأرز والزوفا والقرمز. والأرز علامة الكبرياء، والزوفا علامة النجاسة، والقرمز علامة الخطايا المستمرة. فالخطية فيها كبرياء ونجاسة وتعدي، وتغمس الخشبات الثلاثة في الماء الذي به دم العصفور وينضح بها على الأبرص فيتطهر.

سابعا: ذبيحة البقرة الحمراء

وهي ذبيحة فريدة جداً في صورتها ورموزها وتستخدم لتطهير النجاسة. وهي بقرة حمراء كاملة أي ليس فيها خط أبيض، ولا يعلوها نير أي لا تحمل خطية لأن النير معناه نير خطية، وحمراء تعني مكرسة للدم كاملاً. يضعوها على المذبح وتحرق كاملاً، ثم يأخذوا هذا الرماد ويخلطوه بماء ويحتفظوا به لتطهير النجسين.

وذبيحة البقرة الحمراء ذبيحة خاصة جداً لأنهم أدركوا أنها ترمز لذبيحة المسيا ذاته، لأنها ترمز لعمل الصليب الذي لم يحمل خطية ولكنه قدم ذاته كاملاً على المذبح.

كل هذه الذبائح كانوا مدركين إنها صورة العلاقة بينهم وبين الله، وبدون ذبيحة لا يمكن أن يقفوا أمام الله. أما نحن في العهد الجديد فصار ذبيحتنا هو المسيح نفسه، ووجودنا أمام الآب لا يمكن أن يتم إلا من خلال ذبيحة الصليب التي أخذناها على مستوى شخصي بالمعمودية واتحدنا به في الإفخارستيا.

لذلك مساكين هم الذين يقولوا إنهم يؤمنون بالمسيح وذبيحة الصليب ولكنهم لم يأخذوا المعمودية ولا الإفخارستيا فقد قال المسيح:

"من آمن واعتمد خلص"

(مر ١٦: ١٦)

قال أيضاً:

"خذوا كلوا. هذا هو جسدي... لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"

(مت ٢٦: ٢٦، ٢٨)

الذبيحة إذن في العهد القديم كانت بصورة رمزية، ثم قدمها المسيح على الصليب ليحقق فيها عمل الفداء، ونأخذها نحن كقوة وكعمل

خلاصي في المعمودية، ويستمر اتحادنا به وقوتنا الدائمة أمامه بالإفخارستيا بالقداس.

طقوس الأعياد في العهد القديم ورموزها في المسيح

كثيراً ما يظن أحد أن الطقوس هي نظم وترتيبات عادية، ولكن حين تكون الطقوس من الله نفسه هذا يعني أن كل كلمة من فم الله لها معنى مهم، وتكون كل كلمة مرتبطة أيضاً برموز خلاصية. فقد كانت تلك الطقوس لها معنى خلاصي فقد عاشوا في الرمز مرحلة ما قبل الحقيقة، ولكننا نحن الذين أدركنا الحق ندرك ونحيا في العهد الجديد أن الله هو الأمس واليوم والغد، وندرك عمق وغنى وحكمة الله.

وكلمة "عيد" تأتي من كلمة "يعود"، أي يتقابل من جديد، ويقول الرب في الأعياد:

"وأنا اجتمع بك هناك" (خر٢٥: ٢٢)

حتى ندرك أن الفرح والعيد نفسه هو أن الله يجتمع بهم ولكن بصورة ورمز، يريد أن يصل لهم أن الاجتماع الذي هو موضوع العيد له عمق في الارتباط بينه وبينهم في تدبير خلاصهم.

وبذلك الأعياد لن تأخذ صورة فرح له طقوسه ولكنه فرح وعمق روحي حتى وإن كان الله سيقول لهم بعض الأمور التي فيها المعايشة الاجتماعية مثل أكل وشرب ولبس وصورة معينة يحيوها ولكن كل هذا له رموز روحية. ويقول:

"مواسم الرب التي فيها تنادون محافل مقدسة"
(لا ٢٣: ٢)

ومحفل نوع من أنواع الاحتفالات العامة الاجتماعية ولكنها مقدسة لوجود الله فيها. فالأعياد هي أن يجتمع الشعب مع الله في صورة ورمز خاص بالوجود معه.

أولا: عيد الفصح

وهناك أعياد كبيرة مثل عيد الفصح، وتوقيت عيد الفصح كان أخر ضربة في الضربات العشر، فقال لهم اذبحوا خروف وتضعوا الدم على العتبة العليا والقائمتين، والملاك المهلك سيعبر وحينما يجد الدم على البيت يخلص من في البيت، وغير ذلك يموت بكر كل بيت.

والرمز هنا هو ذبيحة ترمز لدم المسيح الذي يخلص كل من يحتمي به، فمن يأخذ سمة الدم يخلص ويعبر، أما من ليس له هذا يمكث عليه

غضب الله كما قال ماريوحنا في إنجيله على لسان القديس يوحنا المعمدان:

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو٣: ٣٦)

ليس هذا معناه أن غضب الله يكون على الشخص نفسه لأسباب شخصية ولكن لأنه لم يدخل في حماية الدم المخلص. فالرب فاتح حضنه لكل من يريد أن يخلص ويعبر معه ويحتمي به ويتمم الخلاص له. فمن لا يريد هو شخصياً لن يأخذ الخلاص ولا يتم عمل الصلح وهذا هو غضب الله الماكث على البشرية منذ السقوط.

وكلمة "فصح" بالعبري تعني "عبور" التي هي باليوناني "بصخة"، وهي أقوى رموز الصليب. ففي سفر الخروج يقول:

"اليوم أنتم خارجون في شهر أبيب"
(خر ١٣: ٤)

وكان هذا في حدود عام ١٣٠٠ ق.م، وهذا يكون في شهر يوليو.

وحينما قال لهم الله أن يحتفلوا بعيد الفصح قال لهم أن يأخذوا خروف الفصح في عشرة نيسان ويذبحوه في الرابع عشر من نيسان.

ونيسان يوافق في الربيع مارس، **لماذا لم يقل لهم الله أنهم يحتفلوا في نفس الوقت في يوليو؟** لأنه يريد أن يربط بين رمز مهم وهو رمز خروج الحقول بالزهور وتغيير الفصول، يقول في سفر النشيد :

"لأن الشتاء قد مضى، والمطر مر وزال"

(نش ٢: ١١)

أي الحياة الجديدة تتم بدم الخروف. ويقول معلمنا بولس الرسول :

"لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا"

(١كو٥: ٧)

ويقول ماريوحنا في سفر الرؤيا :

"مصر، حيث صُلب ربنا أيضاً"

(رؤ ١١: ٨)

وهنا يتكلم عن الرمز لأن الفصح كان في مصر، لذلك نسمي أسبوع الآلام بأسبوع البصخة أي العبور. **ويقول القديس إمبروسيوس في القرن الرابع:** "الآن وأنتم تحتفلون بالبصخة يلزمكم أن تعرفوا ما هي البصخة؟ هي العبور، هكذا دعي العيد بهذا الاسم لأن هذا العيد عبر ابن الله من هذا العالم إلى أبيه لأن المسيح عبر من الأرض إلى السماء وأخذنا معه".

هذه هي فكرة خروف الفصح، العبور من عبودية فرعون التي تمثل عبودية العالم إلى أرض الموعد التي تمثل السماء .

وحينما ذبحوا الخروف رشوا الدم على العتبة العليا والقائمتين، أي على شكل الصليب، ويقول معلمنا بولس الرسول :

"فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله"
(عب ١٠: ٢٩)

لذلك لم يوضع الدم على العتبة السفلى حتى لا يداس على الدم. ويجتاز الملاك في نصف الليل، الليل علامة الظلمة والعبودية، والمسيح اقتيد من بستان جثيماني إلى المحاكمة ثم إلى الصلب في نصف الليل.

يقول "ليتوس" أسقف سردس أحد آباء القرن الثاني : "يتحقق سر الفصح في جسد الرب فقد اقتيد كحمل وذبح كشاه مخلصاً إيانا كما من فرعون، فصار القديم جديداً، وصارت الوصية نعمة، وأصبح الرمز حقيقة". ثم يتحدث عن الإفخارستيا : "لأن المسيح حينما صنع الفصح يوم الخميس أخذ الخبز وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، وأخذ الكأس وقال : "هذا هو دمي"" .

ويقول القديس هيبوليتوس (القرن الثالث): "يعيد اليهود الفصح الأرضي منكرين الفصح السماوي. أما نحن فنعيد بالفصح السماوي عابرين على الأرض إلى السماء. الفصح هو رمز خلاص اليهود أما فصحنا نحن فينشئ لنا خلاص عام".

وقد أمرهم الرب أن يأخذوا ذبيحة شاة عمره سنة لأن السنة في الحمل تعني سن الشباب، والمسيح سيق إلى الذبح وهو لديه ثلاثة وثلاثون عاماً. ويقول في سفر إشعياء:

"كشاة تساق إلى الذبح"
(إش ٥٣: ٧)

ويقول في سفر إرميا:

"وأنا كخروف داجن يساق إلى الذبح"
(إر ١١: ١٩)

ويقول القديس ماربطرس:

"عالمين أنكم افتديتم... كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (١بط ١: ١٨، ١٩)

ويذبح بين العشاءين، في العشاء الأول يكون النهار مازال موجوداً لكن يستطيعوا أن يروا نجمة واحدة. وكان وقتها يضرب بوق. ثم العشاء الثاني يكون الليل الكامل، فالعشاءين في ذلك الوقت ما بين الثلاثة أو الرابعة ظهراً، وبين الخامسة أو السادسة مساءاً.

ويحضروا الخروف في اليوم العاشر ويذبح في الرابع عشر من نيسان. والسيد المسيح دخل أورشليم في اليوم العاشر (أحد السعف) وذبح يوم الجمعة (الرابع عشر). فكان هذا الترتيب بنفس أحداث عمل الرب الخلاصي في الحقيقة. وفي الرابع عشر من نيسان يكتمل القمر حتى ندرك إنه هو النور الذي يظهر في ظلمة العالم.

ويشوى على سيخين متعارضين، شكل صليب، ليظل شكل الصليب وعليه خروف الفصح كائن في أذهانهم. وكان يؤكل على أعشاب مرة، حتى يدركوا أن المسيح حينما صُلب صلب متألماً.

ولا يكسر منه عظم، والسيد المسيح حينما جاءوا لكي يكسروا رجليه وجدوه قد مات فلم يكسر عظماً من عظامه. ويؤكل والأحقاء مشدودة علامة السرعة والاستعداد، والمسيح حينما اقتيد من الصليب إلى القبر كان سريعاً لأن السبت قد لاح.

ودم خروف الفصح يخلص كل من في البيت حتى ولو كان غريباً، لأن دم المسيح أعطى لكل البشرية. وكان مجمع السنهدريم قبل الفصح بشهر يأمر بأن تبيض القبور التي في خارج أورشليم لئلا يتنجس العابر إلى أورشليم بأنه يلمس أحد القبور. وكان يُذبح في ذلك الوقت ما يقرب من مليون خروف، **وكان الطقس يتم كالآتي:**

في غروب الثالث عشر من نيسان يُخرج الكهنة رغيفين يضعهم خارج الهيكل ويضربوا بالبوق ويضعوا نوراً علامة على إنه بدأنا الاستعداد للعيد. والرغيفين يعني العيش الذي به خميرة حتى تعزل الخميرة في كل البيوت خارجاً أي أن يعزلوا الشر. فلا يمكن أن نأخذ دم المسيح ونحن نحمل في داخلنا شر.

ويأتي رب البيت ويمسك سراج يفتش البيت لئلا يكون فيه قطعة عيش بها خميرة ويقول: "مبارك يا يهوه إلهنا ملك البشر يا من قدستنا بوصاياك أمرتنا أن نبعد الخميرة". وبعد ما ينتهي من إخراج العيش يقول: "كل الخميرة التي في حوزتي الذي رأيته والذي لم أراه ليصير عدم الوجود ليحسب كتراب الأرض". ويقول في سفر صفنيا:

"ويكون في ذلك الوقت أني أفتش أورشليم بالسرج"

(صف ١: ١٢)

وأورشليم هنا هي قلبنا. وحينما نعمد الأطفال أو الكبار الكاهن يصلي صلاة قبل أن يعمدهم يقول فيها: "فتش خزائن قلبه يا من فتش أورشليم بسراج".

ثم يزيلوا الكهنة من على باب الهيكل الرغيف الأخر علامة على إنه قد انتهى الاستعداد، ويبدأوا في طقس خروف الفصح.

وخروف الفصح يذبح ويؤكل كاملاً، فيجلس رب العائلة ويبدأ الطقس بخروج أكبر أولاده ثم يعود ويقول له: "لم يأتي المنتظر بعد؟" لأنهم أدركوا أن هذا رمز المسيا المنتظر، ثم يقول لهم رب العائلة لماذا هذا اليوم مختلف ويذكر لهم قصة الخروج من سفر الخروج ويبدأوا يأكلون الفصح.

وحينما جاء المسيح ليصنع الفصح الأخير مع تلاميذه أكلوا العشاء وبعدها أخذ المسيح الخبز وقال لهم: "هذا هو جسدي"، وقبل أن يفعل ذلك عزل الخميرة الذي هو يهوذا. فلا يمكن أن يأكل من هذا الخبز الذي هو جسد المسيح ويشرب دمه من يحمل شراً في داخله وإن حدث تكون دينونة عليه.

وهكذا نرى عمق العيد الذي كان يحيا فيه الشعب في القديم في ظل الجديد فيعيشون الظل حتى حين يأتي الحقيقة الذي هو المسيح يأخذ هذا الظل قوته. فكل من عاش وانتظر المسيح استحق أن يدخل معه الفردوس من أبرار العهد القديم.

ثانيا: عيد الفطير

وهو العيد التالي بعد الفصح وله نسمات القيامة بعد ذبيحة الفصح، يأتي في غروب الرابع عشر من نيسان والخامس عشر من نيسان، ويصير هو السنة الجديدة في التقويم اليهودي أي الحياة جديدة.

ويحتفلوا به في الخامس عشر من نيسان ويظلوا يحتفلون سبعة أيام، ويدعى عيد الفطير، والفطير تعني الحياة. الفطير عجين بلا خميرة أي حياة بلا شر. وبعد الفداء أسس الرب طبيعة جديدة بعمله الخلاصي أنه نزع الخميرة (الشر) منا. ورقم سبعة أي كل الحياة.

والمعنى المباشر للعيد حين خرجوا من أرض العبودية أمرهم الرب أن يخبزوا عجين سريعاً وأخذوه معهم، فهذا يعني أنهم سيعبرون بحياتهم من أرض مصر حيث العبودية إلى أرض الحرية، فيشير إلى الحياة الجديدة التي بدون خطية. ويقول في سفر التثنية:

"لا تأكل عليه خميراً، سبعة أيام تأكل عليه فطيراً، خبز المشقة"
(تث ١٦: ٣)

"خبز المشقة" لأنهم خرجوا من العبودية، وهذا حتى يتذكرون أنهم كانوا مستعبدين لحياة فيها شر ثم خرجوا بدم خروف الفصح يحملون حياة جديدة. في اليوم الأول يقيموا احتفالاً كبيراً ويتفرغوا كاملاً إلى العبادة.

وفي سفر اللاويين الإصحاح الثالث والعشرين يحكي عن طقس العيد الذي يبدأ بتقدمة الذبيحة الصباحية، وكل من ينذر شيء للرب يقدمه في ذلك الوقت. ثم يقدموا ثورين وكبش وسبع حملان وتقدمة دقيق وذبيحة خطية، كل هذه الذبائح حتى يذكرهم أن دم الخلاص هو الذي سيعطيهم الفرح والخلاص. ويسبحوا فيه أيضاً مزامير مفرحة ويستمر الاحتفال طيلة السبعة أيام.

ثالثا: عيد الباكورة

عند غروب الخامس عشر من نيسان ويوم السادس عشر الذي هو وقت سبت النور ليلاً وفجر الأحد، أي الاحتفال بعيد القيامة ويحتفلوا بعيد الباكورة فهو عيد كل رموزه عن القيامة والحياة الجديدة. فيخرج ثلاثة شيوخ من مجمع السنهدريم ويخرج خلفهم الشعب كله، ثلاثة

شيوخ علامة المبشرين بالقيامة، والشعب كله علامة الحياة الجديدة للعالم كله.

ثم يذهبوا إلى الحقول، ويسأل الشيوخ الشعب ثلاثة مرات، ومعهم سلة ويقولوا: "هل هذه السلة؟"، والشعب يرد أمين، ثم يقولوا: "هل هذا المنجل؟"، والشعب يرد أمين، ويقولوا: "هل غربت الشمس؟"، الشعب يرد أمين. وغربت الشمس لأن عيد القيامة في الفجر. ويقولوا: "هل أحصد؟" التي تعني القيامة، والشعب يرد أمين.

ثم يحصد حزمة شعير ويضعها في السلة، ويرجع يطحن هذا الشعير ويذريه في الهواء علامة الحياة الصاعدة للسماء، ويأخذ الشعير ويضيف عليه زيت علامة التقديس، ولبان علامة الكهنوت، ويصنع رغيفين ويردده في الأربع جهات علامة على الخلاص المرتبط بالعالم كله. ونحن نصنع هذا بعد القسمة في القداس.

ويأخذ من الشعير واللبان والزيت ويضعه مع ذبيحة المحرقة ويضع أيضاً سكيب خمر. وكل هذا رموز الإفخارستيا. فالإفخارستيا هي القيامة والحياة الجديدة:

"خذوا كلوا. هذا هو جسدي... لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"

(مت ٢٦: ٢٦، ٢٨)

وهذه هي الحياة الحقيقية لكل من ولد في أرض الموت. وفي هذا اليوم لا يقدموا ذبيحة خطية لأن العيد رمز القيامة، وذبيحة الخطية قدمت على الصليب.

رابعا: عيد الخمسين

وبعد خمسين يوم، يأتي عيد "البنتقوستي" وهي كلمة تعني "الخمسين"، أو عيد الأسابيع، وهو عيد الحصاد، حتى السيد المسيح قال لتلاميذه:

"انظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد"

(يو ٤: ٣٥)

علامة على عمله الخلاصي.

ويقولوا إن الرب حينما أسس العهد القديم وأنزل الكلمة لموسى النبي أسسه في هذا الوقت. والكنيسة تأسست في عيد الخمسين حين

حل الروح القدس وتكلم الرسل بألسنة سمعها كل اليهود المتواجدين علامة على بداية الكنيسة.

لذلك هذا اليوم مفرح جداً لأن في هذا العيد يشعر الشعب إحساس الحياة الجديدة التي بعد القيامة. لذلك كل يهودي فوق الاثني عشر عاماً لابد أن يأتي إلى أورشليم ويلتزم بهذا العيد.

وفي هذا العيد يسبحوا إلى الصباح ويقرأون التوراة الخمسة أسفار، ويقدموا رغيفين يصنعوها من دقيق مغربل في اثنتي عشر غربال، والدقيق يعني الحياة، والاثني عشر غربال أي الاثني عشر تلميذ. ويعجنون هذا الدقيق خارج الهيكل، ثم يصنعون منه رغيفين كبار ويضعوهما مع الذبيحة، والرغيف الأول يأكله الكاهن، والرغيف الثاني يوزعه على الشعب. كما قسم السيد المسيح الخبز على التلاميذ. والشعب أثناء أكله لهذا الرغيف يسبحون ويترنمون للرب.

ثم يقدموا ذبيحة محرقة وكبشين وثور وسبعة حملان علامة على التقديس الكامل.

خامسا: عيد الأبواق أو عيد الهتاف

وهو عيد في أول يوم في السنة المدنية الجديدة. فبعد عيد الكفارة بعشرة أيام يجتمعون ويقدمون ذبائح وقرابين من أجل رأس الشهر وتكون ثورين وسبعة خرفان وكبش وذبيحة خطية، ويقدموا في هذا اليوم ذبائح كثيرة علامة تقديس الرب للسنة الجديدة.

يبدأ بأن ينفخ أحد الكهنة في الأبواق فجراً علامة على بداية السنة الجديدة، فيخرج الشعب من البيوت لابسين ملابس جديدة وهو يعني الحياة جديدة، واستقبال السنة الجديدة بثوب جديد علامة على أن كل شيء يصير جديداً.

ويسبحون ويرنمون المزمور ٨١ الذي يتحدث عن الحياة الجديدة. وكان الكاهن يبارك الشعب ويقدمون ذبائح ويرجعوا في المساء بعد الذبيحة المسائية. ومشهد الأبواق تكلم عنه الرب في المجيء الثاني فيصف نفس المشهد أن الملائكة سيبوقون بالأبواق علامة الحياة الجديدة.

سادسا: عيد سنة العطلة أو السنة السابعة

وتدعى سنة الإبراء، أو إطلاق الأرض، فالرب قد وعدهم إنه في السنة السادسة سيعطيهم محصول ثلاثة سنوات. حتى لا يزرعوا ولا يحصدوا في السنة السابعة لأنها ستكون السنة المقدسة التي للرب.

فيترك الأرض للفقير والحيوان الضال والعابرين. وفي هذه السنة كل عبد اشتروه من أخوتهم يطلق حراً، ولو هناك يهودي عليه دين ليهودي أخر يُلغى ولا يطالبه به.

وفي هذه السنة أيضاً تقرأ كل فصول الشريعة، ويأتي رئيس المجمع ويسلم التوراة لرئيس الكهنة الذي بدوره يعطيها للملك ويقول له اقرأ هذه. السنة السابعة هي السنة الجديدة التي يعيد فيها الرب العهد مرة أخرى مع شعبه.

سابعا: عيد اليوبيل

وهو كل خمسين سنة، ويطلق عليها السنة المقدسة. ويقال إنه حينما قدم السيد المسيح ذاته ذبيحة كان في سنة يوبيل. وفيها تُلغى كل عقود البيع والرهن ومن باع أرضه تُرد إليه من أجل أن يحافظوا على أنصبة الأسباط.

ويعتق العبيد أيضاً ، ومن قتل بالخطأ وذهب إلى مدن الملجأ يبرأ في هذه السنة ويعود إلى منزله، وهذا حتى نفهم إنه على الصليب نحن الذين كنا نحمل ثقل خطايانا وهاربين من إحساسات هذا الإثم في سنة اليوبيل سيتم عمل إلهي ونرجع أبرياء مرة أخرى.

كل هذا كان لأجل أن يدرك الشعب إنه ستأتي أزمنة خلاصية لها قوة هذا الرمز. لقد عاشوا في تلك الرموز وقدسوها ، ولكننا نعيش في الحقيقة الخلاصية لربنا يسوع المسيح لذلك يُسمى ما نحياه بعهد النعمة.

ثامنا: عيد الكفارة

ويعيد في اليوم العاشر في الشهر السابع، والعاشر معناه كمال الأشياء ، والسابع معناه الحياة. ويطلقوا عليه العيد الكبير. ويقولوا في التقليد اليهودي (التلمود) إنه في هذا اليوم آدم أخطأ وسقط لذلك فكرة الكفارة نتيجة سقوط آدم ووراثة البشر للخطية منه، ويقولون أيضاً إنه في هذا اليوم أختتن إبراهيم.

والكفارة والختان والمعمودية لها معنى واحد مرتبط بالحياة الجديدة بالدم، دم الذبيحة الكفارية، كما أنهم أيضاً يقولون إنه يوم التكفير عن كل خطايا الشعب وقت موسى النبي.

وكلمة كفارة أي كيبور أو كبورت التي تعني الغطاء ، وهذا العيد يوم واحد في السنة. في هذا اليوم وعلى غير عادة الرموز اليهودية يدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس الذي فيه كل رموز وجود السيد المسيح وهناك حجاب لا يقترب أحد منه، فأقصى شيء للكهنة ولرئيس الكهنة أن يصنعوا خبز الوجوه في القدس ويقدموا بخور أمام الحجاب ولا يستطيعوا حتى أن ينظروا قدس الأقداس، بل الحجاب لا يوجد فيه مكان للدخول إلا من أسفل.

وفي غروب اليوم الذي يسبقه يصوم كل الشعب، يقول في سفر اللاويين:

"وكل نفس تعمل عملاً ما في هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها" (لا ٢٣: ٣٠)

لأنه يوم فارق جداً في علاقة الشعب بالرب.

وتبدأ استعدادات العيد إذ يأتي رئيس الكهنة قبل العيد بسبعة أيام لكي يتقدس ويعزل في حجرة خاصة داخل الهيكل. ويساعده في هذا اليوم عدد كبير من الكهنة. واليوم السابق للعيد يجلس معه مجموعة

من حكماء إسرائيل ويراجعوا معه طقس هذا اليوم. ويقولون له: "نستحلفك باسم من أسكن اسمه في بيته لا تغير شيئاً فيما نقوله لك".

ويتقدس رئيس الكهنة بأن يتطهر مرتين برماد البقرة الحمراء، فمع إنه رئيس الكهنة ولكنه أيضاً بشر يحتاج إلى التقديس والتوبة. ورئيس الكهنة هو من يقوم بالخدمة في هذا اليوم وقبلها طيلة السبعة أيام السابقة يشارك في تقديم الذبائح.

وفي الليلة السابقة يقرأون عليه الأسفار المقدسة، ولا ينام لئلا يحلم حلماً غير مقدس، ويسهر وهو يقرأ سفر أيوب ودانيال وعزرا وأخبار أيام أول وثاني لكي يذكروه بالأحداث المقدسة. ويظل البعض معه يراقبوه لئلا ينام.

وفي منتصف الليل يلقوا قرعة بين الكهنة من سيأخذ شرف تنظيف المذبح لكي يكون دم ذبيحة الكفارة دم جديد، لأن المسيح ذبيحة وحيدة وضعها الله على مذبح الصليب وقدمت مرة واحدة، فلا تقدم ذبيحة الكفارة على دم ذبيحة أخرى.

ثم يغتسل رئيس الكهنة خمسة مرات في إناء من ذهب. ويلبس ثوباً مذهباً وتحته ثوب كتان أبيض لأنه في هذا الوقت يمثل شخص ربنا

يسوع المسيح. ويظل مستيقظاً منتظراً موعد الذبيحة الصباحية ويقدم ذبيحة محرقة ويدخل القدس ويقدم البخور وينير السرج بالمنارة.

ثم يقف ناحية الشرق ويأخذ الذبيحة التي وجهها ناحية الغرب لأنه لم يتم الصلح بعد ولكن كل هذا رموز فقط. ثم يضع يديه الاثنين على الذبيحة ويضغط بقوة ويقول: "أيها الإله يهوه لقد أخطأت وعصيت أنا وبيتي، لذلك أتوسل إليك يا الله أن تكفر عن خطاياي وآثامي ومعاصي التي ارتكبتها أنا وبيتي، كما كتب في ناموس موسى عبدك لأنه في ذلك اليوم يكفر عنكم ويغسلكم من معاصيكم أمام يهوه تغسلون". وكما قلنا سابقاً الاعتراف المصاحب للتوبة هو تدبير إلهي قديم.

وفي كل مرة يقول اسم يهوه الشعب يسجد ويقول: "مبارك هو الاسم الممجد لملكوته إلى الأبد". ثم يأخذ دم الذبيحة في يده ويدخل قدس الأقداس بعد أن يربطوا سلسلة في وسطه وينزل زاحفاً من تحت الحجاب، والسلسلة المربوطة في وسطه حتى إنه إذا نظره الرب غير مستحق أن يدخل قدس الأقداس لأجل تهاون ما في حياته فيسقط ميتاً فيجرونه منها. وكانوا دائماً يجهزوا بديلاً حتى إذا مات فيدخل البديل يكمل الطقس. وإن كان هذا لم يحدث في تاريخ اليهود أن أحداً من رؤساء الكهنة قد مات.

ويدخل قدس الأقداس ويقدم دم الذبيحة هو مطاطي الرأس ومغمض العينين علامة إنه يختفي ويستتر في دم الذبيحة الكفارية. وينضح سبع مرات على غطاء التابوت وعلى أرضية قدس الأقداس وهو يصلي بعض الصلوات الخشوعية.

ثم يخرج ويغير ثوبه ويلبس ثوب كتان أبيض وعمامة بيضاء علامة إنه قد صار نقياً. ثم يأتي بتيسين سيمثلان الموت والقيامة فالسيد الرب قدم ذاته ذبيحة على الصليب ومات ولكنه قام أيضاً.

وهذان التيسين متماثلين تماماً، أحداهما يطلقوا عليه تيس عزازيل (الانطلاق بعيداً والاعتزال هناك) ويُختار بأن يلقوا قرعة في صندوق بقطعة من ذهب وجه ليهوه ووجه لعزازيل، وحتى يميزوا بين الاثنين يربطوا في قرن تيس عزازيل زنار أحمر.

ثم يرفع رئيس الكهنة البخور ويصلي ويقول: "إن أحسن في عينيك أيها الرب إلهنا وإله آبائنا ألا يحل بنا خطية هذا العام فليكن في موضع نمارس فيه الشريعة دائماً".

فهو قد قدم ذبيحة خطية عن نفسه ودخل قدس الأقداس، ثم يقدم ذبيحة خطية عامة عن كل الشعب وهي ذبيحة المسيح القائم من

الأموات، فيقدم الذبيحة ويدخل مرة أخرى قدس الأقداس بنفس الطريقة. أما تيس عزازيل فيقف أشخاص ويسلموه يد بيد إلى أن يطلق في البرية حتى لا يعثر عليه أي شخص ويأخذه ويذبحه.

ويقول يوستينوس المؤرخ اليهودي في أحد كتاباته أن أخر شخص كان يرى الزنار الأحمر قد صار أبيض قبل هدم الهيكل بأربعين سنة، أي سنة ثلاثين أي حين بدأ المسيح الكرازة في هذا العالم. لذلك لم يعد يرون الزنار قد صار أبيض لأن الرب يسوع الذبيحة الحقيقية قد جاء إلى العالم.

ثم يأخذوا هذه الذبيحة أيضاً على سيخين متعارضين علامة الصليب ويقدموها ذبيحة إثم خارج المذبح.

تاسعا: عيد المظال

وهذا العيد يذكرهم بأنهم كانوا تائهين في البرية أربعين سنة، فكانوا يظلوا طيلة هذا العيد تحت مظال خارج المنزل أو فوق أسطح المنازل علامة على الغربة. ويظلوا أسبوع على هذا الحال، وفي اليوم الثامن يرجعوا إلى بيوتهم. ورقم ثمانية يرمز إلى الأبدية أو أرض الموعد. وهذا يرمز إلى حال البشرية المتغربة ثم في اليوم الثامن أي بالقيامة يوم الأحد سندخل الأبدية.

وطيلة السبعة أيام يذهب رئيس الكهنة إلى بركة سلوام (التي استخدم المسيح ماءها لشفاء الأعمى)، وسلوام تعني المرسل. ويأخذوا الماء في قدر فضة، ويقولوا تسابيح ومزامير. ويرجع إلى المذبح ويثقب القدر التي من رقائق الفضة فتنزل المياه على المذبح. والماء علامة على الروح القدس الذي يفيض بعد القيامة. ثم يدخل الهيكل وينير النور ويقدموا تسابيح.

وهذا الطقس يصنعه لمدة سبعة أيام حتى يدركوا إنهم كانوا متغربين ثم دخلوا أرض الموعد التي ترمز إلى الحياة الأبدية بقيامة المسيح في اليوم الثامن، وسيحل الروح القدس (المياه) والنور وهو علامة وجود المسيح في الحياة الجديدة. وفي أخر احتفال لهذا العيد وقت الرب يسوع وقف وقال لهم:

"إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي"

(يو ٧: ٣٧، ٣٨)

ويقول ماريوحنا أنه كان يتكلم عن الروح القدس المزمع أن يقبلوه. فهو كان يريد أن يفك ختوم الرموز والطقوس في العهد القديم. ويقال أيضاً إن السيد المسيح صنع التجلي فوق الجبل في عيد المظال.

كل هذا أعطي لهم من وراء الحجاب وبرؤية بعيدة جداً، أما نحن فقد رأيناه ولمسناه وأخذنا كل النعم بوجه مكشوف وبعيون محدقة في هذا النور المستعلن لنا الذي هو ربنا يسوع المسيح.

☆ الأسفار التى تعبر عن هذه المرحلة

وهذه المرحلة نراها في أسفار الخروج واللاويين والعدد والتثنية. وكل سفر يقدم لنا وجهاً من صورة التدبير كما سنرى:

+ **سفر الخروج:** يتكلم عن استعلانات الله لشعبه وصورة العهد وإخفاق الشعب في تقديم إرادة حقيقية للحياة مع الله.

+ **سفر اللاويين:** يتكلم عن قانون العلاقة التي وضعها الله ليحيا شعبه معه بها في كل أمور حياته اليومية والموسمية والأمور الخاصة بالخطية والتعدي والظروف الحياتية الأخرى.

+ **سفر العدد:** يتكلم عن تفاصيل الرحلة والجهاد والطريق ليخبرنا عن الذين دُعوا للخلاص ومن استحق الدخول إلى ملكوته.

+ **سفر التثنية:** يتكلم عن كيفية الدخول في طاعة الله. فهو يربي روحيات الشعب ليغير صورتهم ومفاهيمهم، من صورة ومفاهيم العالم إلى صورة شعب الله المعد للدخول إلى أرض الموعد. لذلك نجد السيد المسيح له المجد قد استخدم كثيراً من هذا السفر في خدمته على الأرض، ونجد اللغة الروحية في غاية الروعة لأنها كانت تصف وترسم صورة أبناء الله الذين يحملون سمات القداسة في الطريق وتكريس الحياة له.

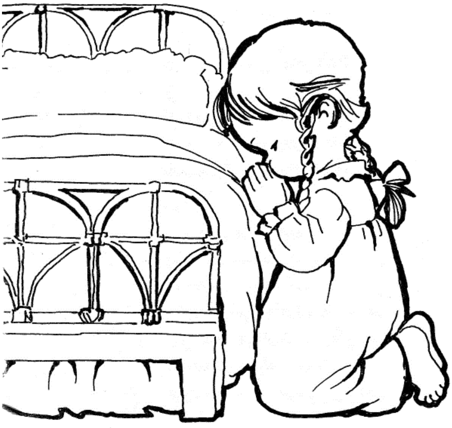

✍ صلاة:

إلهنا...

إن نفوسنا تمجدك ...

لأنك أحببتنا إلى الغاية

لقد تعبت معي أنا المريض

فنزلت إلى جهلي لتعلمني

ولما وجدتني مسجوناً،

ومحصوراً في أفكار مادية

أرسلت لي إعلان خلاصك بهذه الصورة

من أكون حتى أشغلك يا اللـه؟؟!!

من أكون؟!!

حتى أصير موضوع تفكيرك إلى هذه الدرجة

فلقد انشغلت بوصايا وناموس

وحب بلا حدود...

كل هذا لتأخذ بيدي،

لأسير نحوك لأرى مسيحك،

لكي أدخل في شركة الوجود،

وموهبة الحياة معه...

كل هذا لترفعني إلى مخدعك

لكي أكون معك...

في أيقونة السماء الأبدية...

آمين..

الفصل الخامس

الملكوت
في مملكة إسرائيل

المرحلة الرابعة "من أرض الموعد إلى السبي"

- يشوع بن نون يكمل قيادة الشعب إلى أرض الموعد
- التدبير الإلهي وقصة الشعب هذه المرحلة
  - ☆ أولاً: فترة القضاة
  - ☆ ثانياً: من صموئيل إلى سليمان الحكيم
  - ☆ ثالثاً: من رحبعام إلى السبي
  - ☆ سمات خيوط الظلمة في هذه المرحلة
  - ☆ الملكوت الرمزي
  - ☆ النبوة في تدبير هذه المرحلة
- الأسفار التي تغطي الكتاب المقدس في هذه المرحلة

❖المرحلة الرابعة

من أرض الموعد إلى السبي

إن أغلب تاريخ العهد القديم يقع في هذه المرحلة، ويغطيها معظم أسفاره التاريخية والنبوية والحكمية. ففي المرحلة السابقة تم تكوين الشعب الذي سيحمل رسالة الخلاص للعالم، وأعلن الله لهم عن صورة الحياة في تلك المرحلة وأساسياتها الرمزية وابتدأ العالم يعرف إله إسرائيل بأنه إله قوي وعظيم جداً .

ولأن الإيمان بالإله العظيم يُعلن من خلال الخوف من الهزيمة في الحروب، فقد كانت الشعوب التي تؤمن بقوة إله إسرائيل تترك الشعب يعبر من أرضها ، أما الشعوب التي لا تزال ترى أن آلهتها أقوى تدخل في حروب مع شعبه، وهذا مثل الأموريين والفلسطينيين، بجانب الشعوب الصغيرة الأخرى مثل باشان .

ويحكي لنا سفري العدد ويشوع عن هذه الحروب التي سمع بها العالم عن إله إسرائيل ومعرفتهم بقوته في الحروب. وكما قلنا إنه لم تكن الحروب في حد ذاتها هي الهدف ولكن كانت الحروب هي الطريقة

الوحيدة التي يؤمن بها العالم بأن إله هذا الشعب إله حقيقي وقوي. هذا بجانب صورة أخرى للحروب مع الشعوب التي طلب الله من شعبه إبادتها تماماً، وهي الشعوب التي كانت تعبد الشياطين عبادة صريحة، فعبادة الشيطان كانت منتشرة في المنطقة. ولذلك كانت وصية الله أن لا يعيش السحرة وعبدة الشيطان لأن مملكة إبليس كانت تنتشر من خلالهم وينشروا سلطان إبليس على العالم.

وعبر الشعب بين الشعوب الأخرى، فالذي يترك الشعب يعبر يكون قد أعلن ضمنياً عن إيمانه بإله إسرائيل، والذي يدخل في حرب كان ينكسر وينهزم فيظهر ضعف آلهتهم. لذلك قال الرب ليشوع:

"لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام" (يش ٤: ٢٤)

وكان لابد لهذا الشعب أن يعلن إيمانه ويظهر إنه هو أيضا يريد أن يحيا مع الرب بصورة دائمة، فيقول الرب في سفر التثنية:

"لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (تث ١٤: ٢)

أي حينما لا تكون مقدساً لن تكون شعباً للرب. وفي طريقهم إلى أرض الموعد سيواجهون شعوباً ويخوضون حروباً الهدف منها إن يعلنوا قوة إيمانهم بالرب وتعرف الشعوب هذا الإله. ويقول في سفر التثنية:

"لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم من كل أنفسكم. وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون" (تث ١٣: ٣، ٤)

وقد أوصاهم موسى النبي قبل دخولهم إلى أرض الموعد لكي يتمسكوا بالرب ووصاياه. ويقول الرب في سفر تثنية:

"وأما أنت فتعود تسمع لصوت الرب، وتعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم، فيزيدك الرب إلهك خيراً في كل عمل يدك، في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك. لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك، إذا سمعت لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه المكتوبة في سفر الشريعة هذا. إذا رجعت إلى الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك. إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا

ويسمعنا إياها لنعمل بها؟ ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها؟ بل الكلمة قريبة منك جداً، في فمك وفي قلبك لتعمل بها. انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر، بما أنى أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو، ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها" (تث ٣٠: ٨-١٦)

وبهذا أدرك الشعب إنه إما أن يريد أن يحيا ويدخل في صورة شعب الرب ويطيع الوصية، أو يخرج من تدبير الحياة مع الله. لذلك الوصية ليست عبودية وسيادة وسلطة من الرب كما يقول الملحدين، ولكن لأن تلك هي الصورة التي خلقنا عليها، والانحراف معناه الخروج خارج هذا التدبير.

ولهذا كان التقاء إرادة الله وإرادة هذا الشعب هو ما يجعله شعب مقدس، والذي يجعله يستطيع أن يتمم إرادة الرب والإعلان عن طريق الخلاص للشعوب. لذلك يقول:

"اسمع يا إسرائيل... فأعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. هو يبيدهم ويذلهم أمامك... لا تقل في قلبك.... لأجل

بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض... بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم واسحق ويعقوب"

(تث ٩: ١-٥)

ما الذي يميز بينك وبين باقي الشعوب؟ إنك تحب الله. أحكام الله ثابتة. هكذا قال لهم الرب:

"أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض (العالم كله). وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تُكلم بها بني إسرائيل" (خر ١٩: ٤-٦)

☆ يشوع بن نون يكمل قيادة الشعب إلى أرض الموعد

وبعد انتقال موسى النبي صار تلميذه يشوع بن نون هو قائد الشعب ودخل يشوع بن نون إلى منطقة شطيم:

"فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سراً، قائلاً: "اذهبا انظرا الأرض وأريحا" (يش ٢: ١)

ثم ارتحلوا من شطيم ليعبروا الأردن، وكما فعل الله في البحر الأحمر سيصنع أيضاً في نهر الأردن.

"ولما ارتحل الشعب من خيامهم لكي يعبروا الأردن، والكهنة حاملو تابوت العهد أمام الشعب، فعند إتيان حاملي التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حاملي التابوت في ضفة المياه، والأردن ممتلئ إلى جميع شطوطه كل أيام الحصاد، وقفت المياه المنحدرة من فوق، وقامت نداً واحداً بعيداً جداً عن "أدام" المدينة التي إلى جانب صرتان، والمنحدرة إلى بحر العربة "بحر الملح" انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل أريحا. فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة في وسط الأردن راسخين، وجميع إسرائيل عابرون

على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن"
(يش ٣: ١٤-١٧)

وكانت قوة الله أمامهم، وكانوا لابد أن يقدموا إيماناً قوياً بالرب قبل الدخول إلى أرض الموعد، لذلك كان عمل الرب المعجزي قد تم بعد أن وضعوا أرجلهم في النهر فأنشق النهر. وبعد العبور ذهبوا إلى الجلجال، فيقول:

"وأما جميع الشعب الذين ولدوا في القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختتنوا. لأن بني إسرائيل ساروا أربعين سنة في القفر حتى فني جميع الشعب، رجال الحرب الخارجين من مصر، الذين لم يسمعوا لقول الرب، الذين حلف الرب لهم أنه لا يريهم الأرض التي حلف الرب لآبائهم أن يعطينا إياها، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً. وأما بنوهم فأقامهم مكانهم. فإياهم ختن يشوع لأنهم كانوا قلفاً، إذ لم يختتنوهم في الطريق. وكان بعدما انتهى جميع الشعب من الاختتان، أنهم أقاموا في أماكنهم في المحلة حتى برئوا. وقال الرب ليشوع: "اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر". فدعي اسم ذلك المكان "الجلجال" إلى هذا اليوم"
(يش ٥: ٥-٩)

وقد أوصى الرب أن يختتنوا جميعاً لأن هذه هي علامة التقديس بالدم، وهي مثال المعمودية التي تجعلنا من شعبه ومولودين منه.

ثم بدأوا يعبروا ناحية أريحا، وهي تعني الروائح العطرية، كما إنها تسمى مدينة القمر، وهي على بعد خمس أميال غرب نهر الأردن وعلى بعد سبعة عشر ميلاً من أورشليم.

✍ هزيمة الشعب لأجل الخطية

وفي الطريق يوجد قرية صغيرة وهي عاي واشتبك الشعب معهم في حرب عابرة ولكنهم انهزموا أمامهم، فتعجب يشوع وسأل الله عن السبب فقال له:

"في وسطك حرام يا إسرائيل"
(يش ٧: ١٣)

وهذا بسبب عخان بن كرمي.

"فأخذ عخان بن كرمي بن زبدي بن زارح من سبط يهوذا من الحرام، فحمي غضب الرب على بني إسرائيل. وأرسل يشوع رجالاً من أريحا إلى عاي التي عند بيت أون شرقي بيت إيل، وكلمهم قائلاً: "اصعدوا تجسسوا الأرض"... فصعد من الشعب إلى هناك

نحو ثلاثة آلاف رجل، وهربوا أمام أهل عاي. فضرب منهم أهل عاي نحو ستة وثلاثين رجلاً، ولحقوهم من أمام الباب إلى شباريم وضربوهم في المنحدر. فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء"

(يش ٧: ٢-٥)

فقد احتقر وصية الرب، وحينما أصلحوا هذه الخطية انتصروا على عاي.

◈ هل كان الرب يسند شعبه ويقف ضد الشعوب الأخرى؟

وقد يقول أحد وهو يرى عمل الرب معهم في الحروب هل كان الله يساعد هذا الشعب لأنه ضد الشعوب الأخرى؟ لا، ولكن كان الله يريد أن يقول للعالم كله إن هذا الشعب يؤمن ويعبد أعظم الآلهة. وحينما يرفض هذا الشعب الإيمان بالله فيرفع الله يده ويصير شعباً عادياً بل سنرى إنه سيهزم وتحتله شعوباً أخرى وتقوم بإذلاله أيضاً. ويقول لهم في الوصية:

"إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد، وأطلتم الزمان في الأرض، وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتاً صورة شيء ما، وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها. لا تطيلون الأيام عليها، بل تهلكون لا محالة. ويبددكم الرب في

الشعوب، فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها" (تث ٤: ٢٥-٢٧)

وقد يظن أحداً أن الرب يقف للآثام راصداً وهو يعرف أن طبيعة البشر ضعيفة ولكن هناك فرق بين الشرير والضعيف، فالشرير يقصد أن يفعل الشر، أما الضعيف فحينما يسقط يرفع عينيه ويقول ارحمني أنا الخاطئ ويندم على الشر. كما يقول أيضاً:

"فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، أعطي مطر أرضكم في حينه: المبكر والمتأخر. فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك. وأعطي لبهائمك عشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع. فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها، فيحمى غضب الرب عليكم، ويغلق السماء فلا يكون مطر، ولا تعطي الأرض غلتها، فتبيدون سريعاً عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب" (تث ١١: ١٣-١٧)

فقد كان يحذرهم الرب من أن يستهينوا بالوصية بعدما يدخلون أرض الموعد. لذلك يقول:

"متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقي رقية، ولا من يسأل جاناً أو تابعة، ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس، الرب إلهك طاردهم من أمامك" (تث ١٨: ٩-١٢)

فهو رفض الأمم لأنهم لم يريدوا أن يحيوا معه. الله ترك تلك الشعوب تُهان لأنهم أهانوا أنفسهم قبلاً.

ثم ارتحلوا إلى منطقة جبعون:

"ولم يضربهم بنو إسرائيل لأن رؤساء الجماعة حلفوا لهم بالرب إله إسرائيل. فتذمر كل الجماعة على الرؤساء. فقال جميع الرؤساء لكل الجماعة: إننا قد حلفنا لهم بالرب إله إسرائيل. والآن لا نتمكن من مسهم. هذا نصنعه لهم ونستحييهم فلا يكون علينا سخط من أجل الحلف الذي حلفنا لهم" .وقال لهم الرؤساء: يحيون ويكونون محتطبي حطب ومستقي ماء لكل الجماعة كما كلمهم الرؤساء." (يش ٩: ١٨-٢١)

أما الرب فقد كانت قوته ويديه أمام العالم كله كما سنرى في معجزة دوام الشمس حين حاربوا :

"فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرمها. كما فعل بأريحا وملكها، فعل بعاي وملكها، وإن سكان جبعون قد صالحوا إسرائيل وكانوا في وسطهم، خاف جداً، لأن جبعون مدينة عظيمة كإحدى المدن الملكية، وهي أعظم من عاي، وكل رجالها جبابرة. فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون، وفرآم ملك يرموت، ويافيع ملك لخيش، ودبير ملك عجلون يقول: اصعدوا إليّ وأعينوني، فنضرب جبعون لأنها صالحت يشوع وبني إسرائيل. فاجتمع ملوك الاموريين الخمسة: ملك أورشليم، وملك حبرون، وملك يرموت، وملك لخيش، وملك عجلون، وصعدوا هم وكل جيوشهم ونزلوا على جبعون وحاربوها. فأرسل أهل جبعون إلى يشوع إلى المحلة في الجلجال يقولون: لا ترخ يديك عن عبيدك. اصعد إلينا عاجلاً وخلصنا وأعنا، لأنه قد اجتمع علينا جميع ملوك الاموريين الساكنين في الجبل. فصعد يشوع من الجلجال هو وجميع رجال الحرب معه وكل جبابرة البأس. فقال الرب ليشوع: لا تخفهم، لأني بيدك قد أسلمتهم. لا يقف رجل منهم بوجهك. فأتى إليهم يشوع بغتة. صعد الليل كله من

الجلجال. فأزعجهم الرب أمام إسرائيل، وضربهم ضربة عظيمة في جبعون، وطردهم في طريق عقبة بيت حورون، وضربهم إلى عزيقة وإلى مقيدة. وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون، رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف. حينئذ كلم يشوع الرب، يوم أسلم الرب الامورييين أمام بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي ايلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان، لأن الرب حارب عن إسرائيل" (يش ١٠: ١-١٤)

لقد غير الرب قوانين الطبيعة لأجلهم، فحين بدأت الشمس تغرب وفي الليل لن يستطيعوا المحاربة، فصلى يشوع بمنتهى القوة، واستجاب الرب له.

☆ التدبير الإلهي وقصة الشعب لهذه المرحلة

وكان التدبير لهذه المرحلة أن يسكن الشعب في أرض الموعد التي من خلالها يحتك بالشعوب الأخرى، فيعرف العالم أن إله إسرائيل هو أقوى الآلهة فيخافونه، وأنه أغنى الآلهة فيقتربون منه، وأنه أحكم الآلهة فيطلبون كلماته. وبعد فترة يترك العالم آلهتهم ويركزون الأنظار على إله إسرائيل ويسمعون منه كلمات الحكمة التي يقولها على فم رجاله، فيعرفون الحق ويعرفون الخلاص، فيأتون ويتعلمون طريق الرب. هكذا أخبر الله ميخا النبي عن قصده الذي لم يحققه الشعب فقال له:

"أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب" (مي ٤: ١، ٢)

فقد كان هدف الله من شعبه أن يعلن عنه وسط الشعوب كلها، فيعرفه العالم ويأتي ويعبده ويؤمنون بالخلاص الآتي منهم. لذلك يقول على فم صفنيا النبي:

"لأني حينئذ أُحوِّل الشعوب إلى شَفَة نقية، ليدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة" (صف ٣: ٩)

وقد سار الشعب وراء الله في انتصارات وهم سائرون نحو أرض الموعد وقد انتشر الخبر في العالم كله عن هذا الشعب الذي ينتصر بقوة الإله العظيم، حتى أنه حينما أرسل يشوع رجلين ليتجسسا الأرض وقابلا راحاب الزانية قالت لهما:

"عِلمت أن الرب قد أعطاكم الأرض، وأن رُعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم. لأننا قد سمعنا كيف يبَس الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر، وما عملتموه بملكي الأموريين اللذين في عبر الأردن: سيحون وعوج، اللذين حرمتموهما. سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبق بعد روح في إنسان بسببكم، لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت"(يش ٢: ٩-١١)

وكلمات هذه المرأة تعكس حال الشعب الذي سمع عن إله إسرائيل، فالخوف من قوة إله إسرائيل قادهم إلى الإقرار بأنه هو الله في السماء وعلى الأرض وبذلك يكون هدف التدبير قد تم على مستوى الشعوب المحيطة.

وفعلاً دخل الشعب الأرض وقسمها يشوع على كل الأسباط. وكان المفروض بعد ذلك أن ينمو الشعب في علاقته بالله وأن يعلن عن تمسكه بإلهه القوي الذي اختبروه، فيعطيهم الغنى والحكمة. الأمر الذي يجعل الشعوب الأخرى تأتي لتعبده وتقترب منه، لأنهم رأوا الغنى الذي أعطاه لشعبه كما قال لهم:

"وأما أنت فتعود تسمع لصوت الرب، وتعمل بجميع وصاياه التي أنا أُوصيك بها اليوم، فيزيدك الرب إلهك خيراً في كل عمل يدك"
(تث ٣٠: ٨، ٩)

ولكن الذي حدث غير ذلك تماماً، فالشعب بعدما دخل إلى أرض الموعد لم ينفذ ما قد وعد به الرب، ولم يسر وفق خطة تدبير الخلاص بل ترك الله وشابه الشعوب الأخرى، وابتدأ تدبير الخلاص يتعامل مع شعب قاس يرفض السير مع الله، ولكن ما العمل وهذا الشعب قد أخذ الوعود والعهود من فم الله التي لابد أن تتم؟! لذلك بدأت قصة أخرى وهي ترويض الشعب ليصلح لعمل الرسالة التي كان يجب أن يعملها. وتنقسم هذه الفترة إلى ثلاثة مراحل حسب صورة الشعب:

+ **الأولى:** من الدخول إلى أرض الموعد إلى صموئيل النبي وهي مرحلة القضاة.

+ **الثانية :** من صموئيل النبي إلى سليمان الحكيم وهي مرحلة الحياة مع الله وتحقيق التدبير لهذه المرحلة.

+ **الثالثة :** من رحبعام إلى السبي وهي مرحلة التردد في العلاقة مع الله.

أولاً: فترة القضاة

وهذه الفترة من أسوأ فترات حياة الشعب مع الله فما أن دخلوا أرض كنعان حتى انشغل كل واحد في طريقه ونسى الجميع رسالة الخلاص والحياة مع الله فضاعت من أمامهم الحياة المقدسة، واتجهوا إلى آلهة الأمم والقبائل التي تجاورهم لأن عبادتها كانت شهوانية. لذلك تركهم الله ليستعبدوا من هذه الشعوب فتعرضوا للهجوم والقتل والإبادة. وهذا لأنه لا يمكن أن يحميهم الله ويجعلهم ينتصرون وهم يعبدون آلهة أخرى، لأنه حينئذ سيعطي المجد لهذا الإله المزيف الذي أخذوه، ولن يعود العالم ينظر إلى إله إسرائيل بأنه أعظم الآلهة. وقد كان لابد أن تتحرك عيون الشعوب كلها نحو هذا الشعب ليروا أنهم حينما يتركون إلههم يضلون ويصبحون بلا قوة. وقد حذرهم الله من صورة الخيانة ونتائجها حين قال لهم :

"وإن نسيت الرب إلهك، وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أُشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة. كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون، لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم" (تث ٨: ١٩، ٢٠)

وقد كانت الصورة تسير على منوال واحد، هو انحراف الشعب وترك الله، فيدخل عليهم شعب مجاور يستعبدهم، وبعد فترة يخرج من وسطهم قائد يجمع الشعب ويصرخون إلى الله ويتذكرون وعوده ويتوبون، فينتصرون ويطردون الشعب الغريب فيرتاحون فترة في علاقتهم بالله ثم يتركوه من جديد ويعبدون آلهة أخرى تشبع شهواتهم، فيتركهم الله ويستعبدهم شعب آخر. وبعد سنوات يقوم قائد يجمع الشعب فيتوبون ويصرخون ويقومون ويحاربون وينتصرون. ثم يرتاحون فترة أخرى ولكنهم يرجعون إلى طريق الضلالة من جديد، وظلوا هكذا سبع مرات تركوا الله واستعبدوا وتابوا ورجعوا ثم خانوا العهد المعطى لهم من الله كشعب المفروض أنه يعلنه وسط الشعوب الأخرى. وهكذا تحول الشعب بسرعة غريبة من عبادة الله إلى عبادة البعل بعد موت يشوع:

"وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث. فحمى غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم، ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم"

(قض٢: ١١-١٤)

وظل الحال يسير على هذا المنوال، فالشعب أصبح يعرف الله فقط في الحروب والأزمات. والتوبة وقتية وسطحية، فقد كانت الحياة الروحية ضعيفة جداً ومعرفة الله بلا عمق. لذلك سنرى أن أشخاص سفر القضاة منهم من كانت معرفته بالله ضعيفة جداً ولكنه التجأ إلى الله فعمل به، فلم يجد الله من يعمل به وسط الشعوب سوى أفراد قلائل مثل عْثنيئيل- إهود - شمجر - دبورة - باراق - جدعون- يائير - يفتاح - إبصان - إيلون - عبدون- شمشون. وحتى هؤلاء كان منهم من يقود الشعب إلى الرجوع إلى الله وقت الحروب، ولكنه كما قلنا لم يكن بالقوة الروحية التي يقود بها الشعب نحو الحياة الثابتة مع الله. ويصف الكتاب المقدس الحال وقتها فيقول:

"كل واحد عَمِلَ ما حَسُن في عينيه"
(قض ٢١: ٢٥)

ووسط هذا الارتداد العظيم، كانت المشاعر الروحية للقضاة والذين يقودون الشعب حقيقية ولديهم اشتياق للحياة مع الله فمثلاً وبالرغم من أن شمشون كان لديه ضعفات كثيرة ولكن كانت مشاعره في الداخل نحو الرب ووجوده في حياته حقيقية.

وفي قصة يفتاح الجلعادي نرى هذا أيضاً، فقد كان شعب بني عمون قد دخلوا ووضعوا أيديهم على الأرض، فوقف يفتاح الجلعادي وقال لله:

"إن دفعت بني عمون ليدي، فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب، وأصعده محرقة" (قض ١١: ٣٠)

والذي خرج من الأبواب كانت ابنته، فقدمها للرب وكثير ممن انتقدوا هذا العمل قالوا **كيف يقدم إنسان ابنته ذبيحة ويقبلها الله؟** إذن الرب إله إسرائيل يقبل ذبائح بشرية فهو إذن إله دموي.

والحقيقة الجملة التي قالها يفتاح هي: "الخارج من أبواب بيتي يكون للرب"، والترجمة الدقيقة "يكون مكرساً للرب". وتبقى كلمة "أصعده محرقة" هي التي توحي بأنها ذبيحة بشرية.

ولكن كلمة "محرقة" في العبري هي "علاه" التي تعني "يصعد تقدمة" أي يقدم تقدمة. فحينما تكلم الله عن فاتح الرحم يقول:

"كل فاتح رحم من بني إسرائيل، من الناس ومن البهائم. إنه لي". أنك تقدم للرب كل فاتح رحم، وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك. الذكور للرب. ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر إنسان من أولادك تفديه"

(خر ١٣: ٢، ١٢-١٥)

لذلك كان النذر الذي قدمه يفتاح هو الذي سيخرج من باب بيتي سيكون نذير للرب أصعده محرقة أي يقدمه للرب ولم يوضح صورة التقدمة فلم يكن يتكلم عن ذبيحة وإنما سيكون مكرساً للرب. وهناك جملة هامة جداً قالتها ابنته تبين إنها لم تقدم كذبيحة:

"أتركني شهرين... أبكي عذراويتي"

(قض ١١: ٣٧)

فما كانت تبكيه الفتاة هي عذراويتها، إذن التقدمة هنا هي البتولية أي تكون مكرسة للرب. كما نذر يواقيم العذراء للهيكل حين ولدت.

فالرب لم يقبل أبداً ذبائح بشرية فحينما قال الله لإبراهيم قدم ابنك اسحق ذبيحة، وبعد الإعداد لكل شيء رفض هذا وأعطاه حملاً يقدم بدلاً عنه.

وإذا كان يفتاح الجلعادي قد قدم ابنته ذبيحة لكان الكتاب المقدس يذكر هذا صراحة، ويذكر كيف ذبحت وأين تمت هذه الذبيحة، ولكن لم يذكر الكتاب المقدس هذا، ولكن الذي ذكر فيما بعد أنها قالت: "ابكي عذراويتي". وكانت هذه الحادثة لها تذكاراً لنذر البتولية:

"أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أيام في سنة" (قض ١١: ٤٠)

فكان هذا تذكار أن بنت يفتاح الجلعادي عاشت مكرسة للرب دون زواج.

إذن هذه المرحلة كانت صعبة ومظلمة، ولكن الله كان يجد دائماً في وسط هذه الظلمة شعاع نور، وهم الأشخاص الذين عاشوا له وكان من خلال هؤلاء الأشخاص يستمر تدبير الخلاص.

وفي وسط هذا الارتداد والأحداث المظلمة يسوق لنا الكتاب المقدس قصة أشخاص كانوا متمسكين بالحياة مع الله، بل وحملوا الرسالة ولو بصورة فردية في الإعلان عن إله إسرائيل للشعوب الأجنبية التي دخلت الأرض. لذلك قدم لنا الوحي سفر راعوث مثالاً لذلك، هذا الذي يحكي قصة المرأة الموآبية التي انضمت إلى شعب الله وصارت في سلسلة تدبير الخلاص.

ثانياً: من صموئيل إلى سليمان الحكيم

وقد كانت رموز العهد مع الله لا تزال موجودة ولكنها بلا فائدة، والحياة الروحية مفقودة وبلا حياة. وظل الحال هكذا فترة تزيد عن ٢٥٠ سنة، نسى الشعب فيها كل الأمور الروحية نتيجة الفتور العام، إلى أن جاء صموئيل النبي رجلاً قوياً في الروح ويعرف الله على مستوى شخصي، فوجد الله فيه إمكانية العمل الخلاصي، فعمل به لتطهير وتنظيم المملكة وتعليم الشعب الحياة الروحية لتثبت علاقتهم مع الله. فقد كان صموئيل قاضياً ونبياً لذلك فهو قادر أن يقود الشعب لمعرفة الله إذ كان الشعب يحتاج إلى صوت واضح من الله يحمله لهم إنسان

يفصل بين النور والظلمة ويسير مرشداً لطريق الحق في زمن التيه والخطية، لأنهم كانوا بعيدون عن الله، وهذه هي رسالة أنبياء العهد القديم أن يقدموا كلمة الله للشعب التي تحكمهم للخلاص. وقد عمل صموئيل النبي ورسم الصورة الواضحة للعلاقة مع الله، إلا أن الشعب كان قد تأثر بالشعوب الأخرى مع ضعفه الروحي فطالب صموئيل النبي أن يصير مثل باقي الشعوب، وأن يكون له ملك مثلهم، غير مدركين بأنهم شعب ملكهم هو الله نفسه، وهذا هو سر قوتهم وتفردهم وسط العالم.

ولكنهم بضعفهم الروحي استنتجوا أن سر ضعفهم راجع إلى أنه ليس لهم ملك. ولم يفتشوا جيداً ليعرفوا أن سر ضعفهم هو أنهم تركوا الله. وقد كان هذا الطلب ينطوي على ضعف إيمان وعدم رؤية لتدبير الخلاص ولمعنى رسالتهم. فإن هذا الشعب خرج من مصر وهو مدرك تماماً أن الله هو ملكهم وأنهم شعبه فالله هو المتصرف في كل أمورهم الاجتماعية والسياسية ويسدد احتياجاتهم حتى ولو بطريقة معجزية، وذلك لأن رسالتهم وسط العالم هي الإعلان عن الله الملك وسط الشعوب. ولكنهم لم يستطيعوا أن يفهموا هذه الفكرة لأنها تحتاج إلى رؤية إيمانية

وروحانية وقد كانوا محصورين فيما يرونه فقط وتلمسه أيديهم فطلبوا ملكاً بشرياً لذلك قال الله لصموئيل النبي حين حزن لهذا الطلب:

" اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم. حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة أخرى، هكذا هم عاملون بك أيضاً. فالآن اسمع لصوتهم. ولكن أشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم" (١صم ٨: ٧- ٩)

أي أنهم رفضوا أن يملك الله عليهم بطريقة عملية منذ أن خرجوا من أرض مصر، لذلك قال الله لصموئيل النبي استجب لهم وأقم لهم ملكاً، فاختاروا شاول ملكاً عليهم. ولكن شاول من الجيل الذي لم يعرف الله كحياة وعبادة حقيقية، وكاد أن يحول المملكة إلى صورة أخرى من ممالك الأمم البعيدة عن الله. لذلك تدخل الله وطلب من صموئيل النبي أن يمسح داود ملكاً ليسير بالشعب في طريق الحياة مع الله ويكمل تدبير الخلاص المطلوب من هذه المرحلة وهي:

١- الإعلان وسط الأمم بقوة إله إسرائيل وغناه وحكمته

وقد دارت الحروب الكثيرة بين داود وشاول يحكيها لنا سفر صموئيل الأول، وانتهت الأحداث بموت شاول في حربه مع الفلسطينيين، وبعده أعطى الله نعمة لداود فصار ملكاً على كل الأسباط الاثني عشر أي ملكاً ليهوذا وإسرائيل. ولأن داود كان حسب مسرة الله فقد أكمل الله فيه تدبير الخلاص الذي لهذه المرحلة.

فعلى مستوى الإعلان عن الله وسط الشعوب أصبحت لإسرائيل السلطة والسيادة على كل المنطقة. فقد انتصر داود على الحثيين والأشوريين والمصريين. وكانوا هم أقوى الأمم في العالم كله وبذلك أصبح إله إسرائيل هو الإله المخوف والجبار، لذلك خضعت له كل الأمم في هذه الفترة، هكذا يخبرنا سفر أخبار الأيام الأول:

"ففعل داود كما أمره الله، وضربوا محلة الفلسطينيين من جبعون إلى جازر. وخرج اسم داود إلى جميع الأراضي، وجعل الرب هيبته على جميع الأمم" (١أخ ١٤: ١٦-١٧)

ونعود لنؤكد على فكرة الحروب أنها كانت الطريقة الوحيدة التي كان العالم يفهم بها قوة الله. ولعل هناك من يتعجب من إعلان الله الرحوم والعظيم عن ذاته بهذه الطريقة. إلا أننا نريد أن نوضح أن

الحياة على الأرض ما هي إلا بداية للوجود وليست هي كل الوجود فالإنسان يولد في الأرض ليعلن ويختار وجوده الأبدي الذي لا يمكن أن ينفصل عن الله، فإذا اختار الوجود دون الله فإنه يختار الموت والفناء على الأرض. فيكون هذا الاختيار الحر يعني أنه قد اختار حياة جسدية مادية تنتهي بنهاية حياته على الأرض، يشترك معه فيها حياة الحيوانات التي ليست لها أهمية فمن يرى موت الحيوان إهانة له؟!

لذلك فإن الله قد أعد الخلاص للعالم كله وهو الذي يتم بالإيمان به وبالخلاص الذي يعده للعالم كله بالمسيح، ولأنه كما قلنا سابقاً لا يوجد سوى ميدان الحرب حتى تستعلن فيه الآلهة لتؤمن بها الأمم. فقد كان لابد أن يظهر الله في هذا الميدان ويكون إعلان الإيمان بالله مرتبطاً بالحرب. فالشعوب التي تسمع عن الله وشعبه وتمجده وتعظمه يكون هذا اعترافاً ضمنياً بالإيمان به، وهؤلاء لن يهلكوا.

وهذا ما رأيناه في قصة راحاب الزانية (يش٢)، فهي امرأة ليست يهودية ولكنها حين أعلنت إيمانها صارت ليست فقط من المُخلصين بل جاء من نسلها السيد المسيح له المجد أيضاً، كما ذُكرت في سلسلة الأنساب:

"وسلمون ولد بوعز من راحاب. بوعز ولد عوبيد من راعوث. وعوبيد ولد يسى" (مت ١: ٥)

أما الشعوب التي ترفض أن يكون إله إسرائيل هو إله السماء والأرض، وتريد أن ترفع آلهتها فهذه تدخل في حرب مع شعب الله لتعلن عن قوة آلهتها. فهذه الشعوب:

- **أولاً:** تعطل إعلان الله وسط العالم وتدبير الخلاص العام للبشرية.
- **ثانياً:** برفضها الدخول في الإيمان بالله تكون قد رفضت الحياة الأبدية فيكون الموت هو نهايتها الحتمية.

هذا بجانب الشعوب التي كانت تنشر عبادة الشياطين وكانت طريقة عبادتها هي الخطية. فهذه الشعوب التي طلب الله إبادتها كانت قد ماتت فعلاً حينما باعت نفسها للشيطان فيكون إبادتها إنقاذاً لباقي الشعوب التي قد تدخل في تأثير قوة الشيطان.

٢- في عهد داود أصبح الله هو الأول في المملكة

فقد استعاد العهد قوته، وارتفعت نغمات التسبيح لله إعلاناً عن الإرادة الفردية لكل شعب الله. فنظم صموئيل النبي وداود النبي صورة العبادة، وانتظم الشعب في هذه الصورة الطقسية الجماعية، وكان داود النبي ينظم الحياة اليهودية حسب الناموس ليعيش الشعب أروع فترة في حياته، وليسمع العالم عن إله إسرائيل الذي يعبده الشعب بحب وتقوى.

فانتظمت الذبائح اليومية والأعياد والمواسم. وكان الشعب والملك والكهنة واللاويين يجتمعون يومياً أمام الله، والكل أصبح يعرف الله ويؤمن به ويحبه.

ويخبرنا سفر أخبار الأيام الأول في الأصحاح السادس عشر عن صورة رائعة للملك والكهنة واللاويين والشعب حول تابوت العهد وهم يسبحون أمام التابوت. وحسب الناموس يقدمون الكرامة لمجد الله الذي في وسطهم. وكانت وصية داود النبي لابنه سليمان أن يتمسك بالناموس ليكمل الله به تدبير الخلاص عندما قال:

"أنا ذاهب في طريق الأرض كلها، فتشدد وكن رجلاً. احفظ شعائر الرب إلهك، إذ تسير في طرقه، وتحفظ فرائضه، وصاياه وأحكامه وشهاداته، كما هو مكتوب في شريعة موسى، لكي تفلح

في كل ما تفعل وحيثما توجهت. لكي يُقيم الرب كلامه الذي تكلم به عني قائلاً: إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم، قال لا يُعدَم لك رجل عن كرسي إسرائيل" (١مل ٢: ١-٤)

٣- ثبات وجود الله وسط شعبه بالهيكل رمزا لثبات ملكوت الله

فقد ثبت داود النبي مكان وجود الله وسط شعبه بإعداد هيكل لله يجتمع فيه الشعب للعبادة ويكون مركزاً ثابتاً لوجود الله وسط العالم كله، ولكن لم يسمح الله لداود النبي أن يبنيه هو لأنه قد سفك دم كثير لم يكن بإرادة الله فطلب أن الذي يبني الهيكل هو سليمان ابنه. وبذلك يضاف إلى الرموز رمزاً قوياً للسيد المسيح له المجد وهو هيكل أورشليم إذ فيه يحل مجد الله أمام شعبه. فالهيكل هو مسكن الله وسر قوته. ففيه يحل مجد اللاهوت كما أيضاً في شخص السيد المسيح له المجد يحل كل ملء اللاهوت. وهكذا يكون الله قد استعلن أيام داود وسط العالم بالقوة، وأمام الشعب بعبادتهم له.

٤- الله يعطي شعبه الغنى والحكمة

وجاء سليمان الحكيم ليكمل الله به تدبير استعلان الخلاص وسط الأمم، إذ في عهده عرف العالم كله إله إسرائيل الذي أعطى لشعبه ومملكته غنى، وأعطى حكمة لا تضارعها حكمة أخرى في العالم لسليمان الملك.

ويخبرنا الكتاب المقدس عن شهادة ملوك الأرض عن حكمة وغنى سليمان الحكيم، وقد مجدوا الله الذي أعطى شعبه هذه الحكمة والغنى. ونرى ذلك في زيارة ملكة سبأ لسليمان عندما قالت له:

"صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك" (١مل١٠: ٦)

ويقول أيضاً في نفس السفر:

"فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة. وكانت كل الأرض ملتمسة وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه. وكانوا يأتون كل واحد بهديته، بآنية فضة وآنية ذهب وحُلل وسلاح وأطياب وخيل وبغال سنة فسنة. وجمع سليمان مراكب وفرساناً، فكان له ألف وأربع مئة مركبة، واثنا عشر ألف فارس، فأقامهم في مدن المراكب ومع الملك في

أورشليم. وجعل الملك الفضة في أورشليم مثل الحجارة، وجعل الأرز مثل الجميز الذي في السهل في الكثرة. وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر وجماعة تجار الملك أخذوا جليبة بثمن. وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مئة شاقل من الفضة، والفرس بمائة وخمسين. وهكذا لجميع ملوك الحثيين وملوك أرام كانوا يخرجون عن يدهم" (١مل١٠: ٢٣-٢٩)

وقد ذكر السيد المسيح له المجد هذه الصورة ليعلن أنه هو المعنى الخفي لهذه الرموز كلها، وهدف التدبير، وصوت الحكمة، ومعطي الغنى، وقوة الشعب. وهذا نجده في إنجيل معلمنا مار لوقا عندما قال:

"ملكة التيمن ستقوم في الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهوذا أعظم من سليمان ههنا" (لو ١١: ٣١)

ولعله يراودك الآن – عزيزي القارئ – أحد الخواطر المتسائلة التي تقول: وهل كانت هذه الرؤية واضحة للشعب والأنبياء والملوك في العهد القديم؟ وحتى نعرف الإجابة، ارجع معي إلى سفر الملوك الأول في الأصحاح الثامن، ثم اقرأ هذه الفقرة بهدوء:

"فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر، واعمل وأعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر، لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لآبائنا. وكذلك الأجنبي الذي ليس من شعبك إسرائيل هو، وجاء من أرض بعيدة من أجل اسمك، لأنهم يسمعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك الممدودة، فمتى جاء وصلى في هذا البيت، فاسمع أنت من السماء مكان سكناك، وافعل حسب كل ما يدعو به إليك الأجنبي، لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك، فيخافوك كشعبك إسرائيل، ولكي يعلموا أنه قد دُعي اسمك على هذا البيت الذي بنيت"

(١مل ٨: ٣٩- ٤٣)

أترى عزيزي القارئ كم كانت هذه المفاهيم واضحة، والرسالة قائمة أمام رؤساء الشعب وإذا أردت المزيد ارجع إلى أخبار الأيام الثاني الأصحاح السادس والسابع، والمزامير الآتية: ١٦، ١٨، ١٩، ٢٤، ٤٧، ٤٨. وبهذه الصورة يكون الله وسط كل شعبه الذي يعبده، والعالم كله يسمع عنه ويعرفه كما قال سليمان الحكيم:

"ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر. فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب إلهنا إذ تسيرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم" (١مل ٨: ٦٠، ٦١)

والذي يبقى هو أن يستمر الشعب بهذه الحالة حتى يترسخ إيمان الشعوب، ويتحقق الخلاص. ولكن ما قد حدث من الشعب غير هذا تماماً، الأمر الذي جعل الله يتدخل أمام إرادة الإنسان مرة أخرى لينفذ تدبير الخلاص.

ثالثاً: من رحبعام إلى السبي

ونأتي إلى مرحلة الانحدار من جديد، ومحاولة إنقاذ الله لتدبير الخلاص بالرغم من صورة الظلمة وإرادة الملوك والشعب للخروج من صورة الحياة مع الله والانغماس الكامل في تكتلات الأمم السياسية والدينية. وبذلك صار الملكوت المؤتمن عليه هذا الشعب معرضاً للضياع، لولا أشخاص معدودين نعرفهم في سفري الملوك وسفري أخبار الأيام الذين حفظوا الملكوت في هذه الفترة، ليستمر التدين والعهود. ولكن كان الأغلب من هذه الفترة هم الملوك الذين رفضوا الحياة مع الله وسار

الشعب معهم، فتم تشتيتهم ودخلوا مرحلة السبي لتبدأ مرحلة جديدة من التدبير سنراها فيما بعد .

وتبدأ القصة بعد موت سليمان الملك (٩٣١ ق.م.) فاستلم ابنه المملكة قوية وثابتة، ولكن فيها آلهة غريبة كان قد أدخلها سليمان الملك نتيجة زواجه من النساء الأجنبيات الذين لم يتخلوا عن آلهتهم بل رفعوا في المملكة هؤلاء الآلهة الغريبة (١مل ١١ : ١- ٨) :

"وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات. من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني

عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن"

وزاد على هذا أن رحبعام ابن سليمان كان إنساناً غير حكيم وليس له علاقة قوية بالله حتى يمكن أن يستخدمه الله ويعطيه حكمة وقوة للعمل مثل أبيه. ورحبعام اسم عبري يعني "اتسع للشعب". وهو كان ابن نعمى العمونية. وكان متزوج من ثماني عشر زوجة ولديه ستين سرية. وجلس على العرش وهو لديه سبعة عشر عاماً. فلما جاء إليه الشعب ليخفف عنهم الضرائب وأعمال السخرة التي كان يفرضها سليمان الملك، استشار الشيوخ فأيدوا مطالب الشعب، ولما استشار أصدقاؤه رفضوا مطالب الشعب وأشاروا عليه أن يستخدم القوة معهم وفعلاً:

"...كلمهم حسب مشورة الأحداث قائلاً: أبى ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم، أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب"
(١مل ١٢: ١٤)

فكان رد فعل الشعب هكذا:

"فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم، رد الشعب جواباً على الملك قائلين: أي قِسم لنا في داود؟ ولا نصيب لنا في ابن

يسى! إلى خيامك يا إسرائيل. الآن انظر إلى بيتك يا داود وذهب إسرائيل إلى خيامهم" (١مل ١٢: ١٦)

أي أنهم انفصلوا عن مملكة يهوذا وأقاموا يربعام ملكاً عليهم. وهذا الاسم يعني "يكثر الشعب". وكان في صغره يعمل في ترميم سور أورشليم، وأحبه سليمان الحكيم لأنه أظهر كفاءة في عمله وجعله رئيساً للعمال إلى أن جاء أخيا النبي (١مل ١١: ٢٦) وقال ليربعام أن مملكة سليمان ستنقسم وإنه سيملك على عشرة أسباط، وحين عرف سليمان الحكيم هذه النبوة أمر بقتله فهرب يربعام إلى مصر.

واستقبله شيشنق أو شيشق فرعون مصر واحتضنه بعدما عرف بأمر النبوة وإنه سيملك بعد سليمان وذلك لكي يسيطر على مملكة إسرائيل فيما بعد.

✚ من هو شيشنق ملك مصر؟

وشيشنق هو ليبي الأصل، من الأسرة الحادية والعشرين، وهم من أصول ليبية ولكن لم يحتلوا مصر وإنما دخلوها واستوطنوا فيها. ولكن هذه القبائل قد حاولت أن تحتل مصر عام ١٣٠٧ق.م. وذلك كان في وقت حكم الرعامسة من ناحية الغرب، وكانت جيوش من قبائل

الأمازيج ولكن انهزموا. ثم بعد مائة وخمسون عاماً حدث جوع في بلادهم فدخلوا عائلات صغيرة ومكثوا في أهناسيا بني سويف واستوطنوا هناك.

واستطاع أحدهم أن يتتلمذ على يد أحد الكهنة المصريين القدماء وتزوج من ابنة هذا الكاهن، ثم صار هو الكاهن من بعده. وتطورت الأمور إلى أن صار هو الكاهن الأعظم. ثم تزوج ابنه من بنات الفرعون وصار هو فرعون الأسرة الواحد والعشرين. وحكموا مصر في حدود عام ٩٥٠ق.م وظلوا حدود مائتي سنة إلى أن جاءت أسرة من النوبة تسمى الأسرة الكوشية استطاعت أن تأخذ منهم الحكم فيما بعد.

وبعد وفاة سليمان الحكيم رجع يربعام مرة أخرى وبالفعل استطاع أن يملك على إسرائيل حسب النبوة وملك على عشرة أسباط، وتبقى ليهوذا السبطين. وحاولت يهوذا أن تحارب يربعام لكن الله قال لهم لا تحاربوا أخوتكم.

"هكذا قال الرب: لا تصعدوا ولا تحاربوا إخوتكم بني إسرائيل. ارجعوا كل واحد إلى بيته، لأن من عندي هذا الأمر. فسمعوا لكلام الرب ورجعوا لينطلقوا حسب قول الرب" (١مل ١٢: ٢٤)

واستطاع شيشق في عام ٩٢٦ق.م أن يزحف على إسرائيل ويهزمهم، واستطاع إنه يأخذ بعض المدن من يهوذا أيضاً ونهب ذهب الهيكل. والأحداث في تلك المرحلة أخذت شكل سياسي مضطرب وصار شعب الله في حالة ضعف. وتحولت المملكة الشمالية تماماً إلى مملكة تحمل سمات العالم، وقد احتفظت مملكة يهوذا مؤقتاً بصورة شعب اللـه.

وقد كان هذا حتى لا يضيع كل ميراث داود وتنتهي رسالة الشعب سريعاً، فإذا نظرت إلى تاريخ هذا الشعب فسترى أن مملكة إسرائيل – المملكة الشمالية – أي العشرة أسباط التي انفصلت عن يهوذا وأصبحت مملكة منفصلة، قد تحولت سريعاً نحو آلهة العالم وتركوا عبادة الرب.

لذلك أراد اللـه أن يفصل أورشليم عن هذا التأثير السريع حتى لا تضيع البقية الباقية من الشعب وسط هذا المد القوي من الآلهة الغريبة وأصبح رحبعام ابن سليمان ملكاً على المملكة الجنوبية فقط وهي مملكة يهوذا والتي فيها أورشليم، ولما كانت المملكة الشمالية لابد أن تنزل إلى أورشليم لتعبد الله في الهيكل حسب النظام العام للعبادة، فقد منعهم يربعام وصنع لهم عجلاً ذهبياً ليعبدوه وقال لهم:

"...وعمل عجلي ذهب، وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم. هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر. ووضع واحداً في بيت إيل، وجعل الآخر في دان. وكان هذا الأمر خطية. وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان. وبنى بيت المرتفعات، وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بني لاوي. وعمل يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر من الشهر، كالعيد الذي في يهوذا، وأصعد على المذبح هكذا فعل في بيت إيل بذبحه للعجلين اللذين عملهما وأوقف في بيت إيل كهنة المرتفعات التي عملها. وأصعد على المذبح الذي عمل في بيت إيل في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن، في الشهر الذي ابتدعه من قلبه، فعمل عيداً لبني إسرائيل، وصعد على المذبح ليوقد" (١مل ١٢: ٢٨-٣٣)

ونرى بوضوح تأثير عبادة الفراعنة على يربعام لأنه قد عاش فترة كبيرة هناك إذ أن هذا العجل الذهبي هو العجل أبيس أحد آلهة المصريين، وإن كان قد أخذ الرمز المصري القديم دون أن يدرك إن هذا أحد رموز الفكر الديني كما قلنا سابقاً. ولكنه عبد الصورة والرمز لأنه كان أيضاً متأثر بديانات الشعوب المجاورة التي كانت تضع التماثيل في المعابد وتقدم لها القرابين كما سنرى فيما بعد فقد أحضر يربعام أيضاً

الإله عشتاروث وكموش وملكوم إلى مملكة إسرائيل حتى يضمن عدم تعدي الممالك المحيطة التي تعبد هذه الآلهة، فقصة الآلهة لها ارتباط بالسياسة، فهو سيعبد آلهته حتى يوحد الجهود السياسية، ويعلن ولائه لهم لأنه يعبد آلهتهم فلا يحاربونه.

وطرد أيضاً اللاويين والكهنة الساكنين في مملكة إسرائيل. والعجيب هو تحول الشعب السريع وقبوله للآلهة الغريبة، وهذا يعكس لنا سطحية الشعب في علاقتهم مع الله ومدى استعدادهم لترك إيمانهم والتحول إلى أي آلهة أخرى.

ومرض ابن يربعام ولم يعرف أحد أن يشفيه فأرسل زوجته إلى أخيا النبي: "فهو رجل الله وبصلاته يُشفى ابني"، إذن هو نفسه لم يكن يقتنع بالعجل كإله ولكنها كانت سياسة لخروج الشعب من سلطة ملوك إسرائيل ويهوذا. وفعلاً ذهبت زوجته إلى أخيا النبي فقال لها: "ابنك سيموت بمجرد دخولك المدينة. وأبلغي يربعام أن مملكته ستشتت وسيأتي سبى على مملكته.

وبدأ الله يرسل لهم أنبياءً يحملون رسالة منه للشعب حتى يرجع ولكنهم كانوا يرفضون السماع لهم، وتوالى الملوك الأشرار الذين استخدمهم الشيطان في تأصيل الظلمة وسط الشعب بنشر الآلهة

الغريبة. وقد كان الأنبياء الذين يرسلهم الله لإنقاذ ميراثهم وصورتهم التي للملكوت يقابلون بالرفض والطرد والموت. ويحدثنا سفر الملوك الأول من الأصحاح الثالث عشر عن الصراع الذي دار بين كلمة الله المرسلة على فم أنبيائه وبين خيوط الظلمة التي كان ينشرها الملوك وأنبياء وكهنة الآلهة الغريبة. فسنرى من الأنبياء الذين حاولوا أن يرجعوا الشعب عن الضلال هم (ياهو بن حناني الرائي – إيليا النبي – إليشع النبي – ميخا بن يملة – هوشع – يونان النبي – عاموس – ميخا المرشتى). ويقول عنهم سفر ملوك الثاني ١٧ : ٧- ١٨ :

"وكان أن بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر، واتقوا آلهة أخرى، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم. وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة، وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم، من برج النواطير إلى المدينة المحصنة. وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسواري على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء. وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم، وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب. وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم عنها: لا تعملوا هذا الأمر. وأشهد

الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الرديئة واحفظوا وصاياي، فرائضي، حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم، والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء. فلم يسمعوا بل صلّبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم، وساروا وراء الباطل، وصاروا باطلاً ووراء الأمم الذين حولهم، الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين، وعملوا سواري، وسجدوا لجميع جند السماء، وعبدوا البعل. وعَبَّروا بنيهم وبناتهم في النار، وعرفوا عرافة وتفاءلوا، وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته. فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحّاهم من أمامه، ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده."

◈ نهاية مملكة إسرائيل الشمالية

وظل الحال هكذا إلى أن أرسل الله إنذاراً على فم إشعياء النبي بالسبي، وبأن الأمم ستأتي وتبيدهم لأنهم تركوا عبادة الله. وقد صبر الله كثيراً عليهم. فقد كان لابد أن يعرف العالم أن سر وجود هذا الشعب في الأرض هو رسالتهم للإعلان عن الله، فإذا تركوا الله كان لابد أن يرى العالم كله انكسارهم، وإلا كانوا سيشكون في قوة ومجد إله إسرائيل. وقد أنذرهم إشعياء قائلاً:

"أرسل الرب قولاً في يعقوب فوقع في إسرائيل. فيعرف الشعب كله، أفرايم وسكان السامرة، القائلون بكبرياء وبعظمة قلب! قد هبط اللِّبن فنبني بحجارة منحوتة، قُطع الجميز فنستخلفه بأرز. فيرفع الرب أخصام رصين عليه ويهيج أعداءه: الأراميين من قدام والفلسطينيين من وراء، فيأكلون إسرائيل بكل الفم. مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد! والشعب لم يرجع إلى ضاربه ولم يطلب رب الجنود. فيقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب، النخل والأسل، في يوم واحد. الشيخ والمعتبر هو الرأس، والنبي الذي يعلم بالكذب هو الذنب. وصار مرشدو هذا الشعب مضلين، ومرشدوه مبتلعين. لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه، ولا يرحم يتاماه وأرامله، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر. وكل فم

متكلم بالحماقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد!"
(إش ٩: ٨-١٧)

وقد هاجمتهم مملكة أشور عام ٧٢٢ ق.م. وتم تدمير المملكة بعد حصارها بيد سرجون الآشوري، وقد سبي سبط نفتالي، كما ذكر في سفر ملوك الثاني:

"في أيام فقح ملك إسرائيل، جاء تغلث فلاسر ملك أشور وأخذ عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل كل أرض نفتالي، وسباهم إلى أشور (٢مل ١٥: ٢٩)

وسرجون الأشوري هو ابن تلغث فلاسر الثالث وخليفة أخيه شلمناصر الخامس وهو كان رئيس الجيش وقت أبيه. وتلغث فلاسر هو مؤسس مملكة أشور الكبيرة، وكان ابنه سرجون هو قائد الجيوش لذلك فالذي تمم خطة أشور هو سرجون لكن من أصدر الأمر هو تلغث فلاسر.
ثم سبي سبط رأوبين وجاد ونصف سبط منسي:

"فنبه إله إسرائيل روح فول ملك أشور وروح تلغث فلناسر ملك أشور، فسباهم، الرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسى، وأتى بهم إلى حلح وخابور وهارا ونهر جوزان إلى هذا اليوم"
(١أخ ٥: ٢٦)

وفي عام ٧٢٧ق.م امتنع أخر ملوك إسرائيل عن دفع الجزية لأشور معتمداً على قوة أخرى من الممكن أن تقف أمام أشور وذهب لملك مصر (وقت الأسرة الثالثة والعشرون) وكانت أسرة ضعيفة جداً فقد بدأت مصر تضعف اقتصادياً وعسكرياً من بداية الأسرة الحادية والعشرون نتيجة إن هذه الأسر لم تكن مصرية في الأصل.

ولم يستطع فرعون مصر إنقاذهم، فقد نزل سرجون واستبق الأحداث واستطاع أن يغلب الجيش المصري وهو مازال عند منطقة رفح وهزمه. وزحفوا نحو السامرة ودمروها.

وفي عام ٧٢٠ق.م حدثت بعض الثورات في منطقة حماة ودمشق وغزة والسامرة على مملكة أشور واستطاع سرجون أن ينتصر عليهم مرة أخرى. وأخذ في هذه المرة مجموعة من بابل وغزة وحماة ووضعهم في السامرة وأقام شعب مختلط الأعراق والديانات، وكل من هذه الشعوب يعبد آلهة غريبة فصار آلهة كل هذه الشعوب لها معابد داخل إسرائيل.

وامتلأت الأرض بعبادة الآلهة الغريبة، وصارت هناك عبادة توفيقية بين إله إسرائيل وآلهة الأمم، وهذا هو سر عداء اليهود للسامرة. فقد أصبحت الأرض مملكة جديدة غريبة ليست هي شعب الله، ولا هم أبناء يعقوب. وبهذا أصبح الشعب الذي سيستخدمه الله للعمل وسط العالم

هو المملكة الجنوبية فقط أي مملكة يهوذا، وكانت تضم سبطي يهوذا وبنيامين ونصف سبط منسي.

◈ نهاية مملكة يهوذا الجنوبية

وبدأت حروب الظلمة تحاول أن تقضي على البقية الباقية من شعب الله. ونرى في سفر أخبار الأيام الثاني الصورة الكاملة عن مملكة يهوذا. فقد كان يأتي ملك يعرف الله فيسير الشعب خلفه ويترك عبادات الآلهة الغريبة ويلتزم بالذبائح والهيكل، ويزيل آثار الأصنام ومذابح الآلهة الغريبة عن المملكة. ولكن يأتي بعده ملك آخر شرير ينتمي لآلهة الأمم، فيترك عبادة الرب ويبني مذابح للآلهة الغريبة، فيسير الشعب خلفه. ثم يأتي بعد زمن واحد من الملوك يعرف الله، فيصنع ثورة روحية، ويطهر الهيكل من جديد ويعيد علاقة الشعب مع الله، وقد كان هؤلاء قليلين بالمقارنة بالملوك الأشرار. وأما الشعب فقد أصبح يعرف الله في المواسم والأعياد بطريقة اجتماعية فقط. لذلك كان من السهل عليهم أن يتركوه بسرعة، فالله لم يعد هو إله القلب والفكر والحياة، بل صار إلهاً

يتجمعون حوله ويعيدون ويفرحون معه فقط. وهكذا وبخهم الله على هذه الثنائية التي في الحياة. وحذرهم الله على فم إشعياء النبي :

"اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم! أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة. لماذا لي كثرة ذبائحكم، يقول الرب. اتخمتُ من محرقات كباش وشحم مسمنات، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسَر. حينما تأتون لتظهروا أمامي، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم، وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا. تنقوا. اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني. كفوا عن فعل الشر."

(إش ١: ١٠-١٦)

ولكن مع كل تحذيرات الله وكلمات الأنبياء لهم إلا أنهم لم يسمعوا ولم يتوبوا فأعلن لهم عن السبي الذي سيحدث لهم حتى يفيقوا ويرجعوا لـه هكذا يخبرهم على فم ميخا النبي :

"تلوي، ادفعي يا بنت صهيون كالوالدة، لأنك الآن تخرجين من المدينة، وتسكنين في البرية، وتأتين إلى بابل. هناك تنقذين. هناك يفديك الرب من يد أعدائك" (مي ٤: ١٠)

وعلى فم إرميا النبي أيضاً:

"وتصير كل هذه الأرض خراباً ودهشاً، وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة" (إر ٢٥: ١١)

✚ رفض الحياة مع الله وسبي شعب الله

وهكذا نرى انحداراً يتلو انحداراً، وقساوة بالغة من الملك والرؤساء والشعب فقد صار الشعب غريباً تماماً عن الله، وأصبح التدبير متوقفاً لأن الله لم يعد له مكان وسط شعبه ولا في ظل المملكة التي تحمل اسمه وساكنة في بيته.

وأصبح تشتيت الشعب وضياع هويتهم كشعب الله، ضرورة لحفظ صورة الله وسط الشعوب. أي أنه كان لابد أن يسمح الله بالسبي حتى يرى العالم أنه حينما تركه شعبه فقدوا قوتهم، هذا الذي أخرجهم من أرض مصر بقوة ذراعه، وحينما تركوه فقدوا القوة والحكمة والغنى وأصبحوا عبيداً. وقد كانت النهاية محزنة جداً.

وقد تمت على ثلاث مراحل لعل الشعب يرجع ويطلب الله ويتوب في أي مرحلة من المراحل الثلاث. ولكن القلوب كانت حجرية والإرادة كانت غائبة وأصروا على شرهم.

ففي سنة ٦٠٨ ق.م وفي أيام إرميا النبي، وصفنيا النبي، وخلدة النبية حدث أن تولى المملكة بعد يوشيا الملك يهوآحاز، وقد كان شريراً لا يعرف الله، وأراد "نخو" فرعون مصر أن يبسط نفوذه على المنطقة، فدخل المملكة وعزله، وأقام أخاه إلياقيم ملكاً على أورشليم وغير اسمه إلى يهوياقيم. وكان تغيير أسماء الملوك شائع من الملوك المستعمرين، وقد كان هذا دلالة على تغيير هويتهم فالاسم الجديد من فرعون مصر علامة على تبعية ملك أورشليم له، وفرض "نخو" ضرائب باهظة على الشعب وقد كان من المعاصرين لهذه الأحداث حزقيال النبي وتنبأ عن هذا:

"أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل، وقل: ما هي أمك؟ لبوة ربضت بين الأسود، وربت جراءها بين الأشبال. ربت واحداً من جرائها فصار شبلاً، وتعلم افتراس الفريسة. أكل الناس. فلما سمعت به الأمم أُخذ في حفرتهم، فأتوا به بخزائم إلى أرض مصر"

(حز ١٩: ١- ٤)

وتغيرت في هذه الفترة السيادة على المنطقة وأصبحت بابل هي سيدة العالم.

ففي عام ٦٠١ ق.م تغلبت مصر على الكلدانيين مما جعل يهوياقيم يفكر بأن يستنجد بمصر ضد نبوخذ نصر أيام بسمتك الثاني فرعون مصر، فأثار هذا العمل نبوخذ نصر فصعد إلى أورشليم وقيد يهوياقيم بالسلاسل وأخذ بعض أواني المذبح وبعض الشعب وصعد بهم إلى بابل، ويذكر لنا سفر أخبار الأيام ذلك قائلاً:

"وبقية أمور يهوياقيم ورجاساته التي عمل وما وجد فيه ها هي مكتوبة في سفر ملوك إسرائيل ويهوذا " (٢أخ ٣٦: ٨)

هنا يذكر عبارة غريبة عن يهوياقيم فيقول: ***"ما وجد فيه"***، كانت هذه الكلمة عبارة عن علامة وجدوها في جسده كوشم باسم الشيطان. وهذا يبين لنا أنه كان قد صنع عهداً مع الشيطان، وهذه الطقوس كانت مشهورة ولا تزال عند بعض الشعوب إلى الآن. وقد مات يهوياقيم في بابل ومَلَك بعده يهوياكين ابنه. وكان هذا – مثل أبيه – شريراً وتنبأ عنه إرميا النبي قائلاً:

"حي أنا، يقول الرب، ولو كان كنياهو بن يهوياقيم ملك يهوذا خاتماً على يدي اليمنى فإني من هناك أنزعك" (إر ٢٢: ٢٤)

وأراد نبوخذ نصر أن يفرض سلطانه عليه حينما سمع عن رغبته في الاستقلال عن بابل، فصعد إليه وقيده بسلاسل ونهب أورشليم والهيكل وسبي بعض الشعب معه وأصعدهم إلى بابل سنة ٥٩٨ ق. م وهذا هو السبي الثاني. وقد وضع نبوخذ نصر على المملكة "متنيا" عم يهوياكين وغيَّر اسمه إلى صدقيا وقد كان أشر من السابقين فلم يسمع لصوت إرميا النبي وتحذيرات الله له.

وفي عام ٥٩٤ ق.م عقد مؤتمر في أورشليم حضره الفينيقيون والسوريون وبسمتك من مصر، ليصنعوا تحالفاً ضد بابل. وفعلاً صنعوا تمرداً على بابل فخرج نبوخذ نصر وحاصر أورشليم سنتين، واستولى على صيدا ليسيطر على الفينيقين، ودخل أورشليم وقبض على صدقيا وأجبره على مشاهدة إعدام ابنه وفقأ عينيه وسحبه أسيراً. وجمع أغلب الشعب من أورشليم إلى بابل عام ٥٨٨ ق.م بعد أن هدم أورشليم والهيكل وأخذ ما تبقى في الهيكل وصعد به إلى بابل.

◈ انتهت الصورة الجميلة

وهكذا انتهت أجمل صورة كان يمكن لشعب على الأرض أن يحيا فيها نتيجة التعدي وتحطيم رموز الخلاص. فالملك والكاهن والشعب قد تركوا عبادة الله، وحينما أرسل إليهم إرميا النبي وصفنيا وحبقوق وحزقيا، لم يسمعوا لهم بل تكبر الملك، وتنجس الكاهن، وضل الشعب، فالكل ترك الله.

فالشعب لم يعد شعب الله والهيكل أصبح مجرد جدران باردة لا توجد فيها العلاقة مع الله، ولم يعد يسمع نغمات التسبيح وحرارة الذبائح المعلنة على الدخول في عهد مع الله. إلا أنه مع هذه الصورة القاتمة فقد وجد الله أن هناك أشخاصاً يمكن أن يحملوا النور وسط الظلمة في السبي، ليرجع الشعب من جديد حسب النبوات وحسب الوعود ليتم الخلاص للعالم كله. وقد كان هؤلاء الأشخاص مثل حزقيا النبي ودانيال النبي والثلاثة فتية.

وبهذا يدخل التدبير إلى مرحلة جديدة لاستكمال الخلاص وهي مرحلة التعامل مع الشعب في السبي. وقد كانت هذه الصورة المحزنة نتيجة لتغلغل خيوط الظلمة وتحكم مملكة الشر، نتيجة إرادة الإنسان الشريرة.

ﷺ سمات خيوط الظلمة في هذه المرحلة

١. **دخول عبادات الآلهة الغريبة:** فقد صارت هذه الآلهة موجودة بطريقة رسمية من خلال ارتباط الملوك بهذه الآلهة، لتعلن سيطرة مملكة الظلمة على صورة ملكوت الله وعلى شعبه في الأرض، مستخدماً ملوك أشرار كرموز لسلطان الظلمة.

٢. **الزواج بأجنبيات:** ومن خلال هذا دخلت العبادات الغريبة إلى العائلات اليهودية مما جعل العلاقة العائلية مع الله ملوثة وبهذا دخلت الآلهة الغريبة في نسيج الحياة الشخصية لشعب الله.

٣. **الاهتمام بالأرض والسياسة العالمية كمملكة وسط الأمم:** فلم يشعر الملوك أنهم مملكة خاصة لله ولكن صاروا مثل باقي الملوك الذين يلتمسون سلطانهم من خلال القوة الأرضية والتحالفات السياسية وأن الذي يحميهم ليس الله بل الأمم العظمى.

وبذلك تتغير رؤية الشعب لرسالته وتتغير صورتهم وسط العالم فيكونون مجرد شعب وسط الشعوب، فلا يحميهم الله ولا يسعون لكي يكون وجودهم في وجوده معهم. لذلك كان لابد أن ينتهي هذا الشعب أو يتجدد بصورة ما.

٤. **ضياع الارتباط بالله:** وهذا جعل الشعب يطلب الشهوة والحياة الأرضية فقط، حتى وإن كانت مع الشيطان. فارتباط الشعب نفسياً وروحياً بالأوثان والشيطان كان لأجل الشهوة. وبهذا تملك الشيطان على مملكة الله بالصور الثلاثة الآتية:

+ **رسمياً:** من خلال الملوك.

+ **عائلياً:** من خلال الزواج بالأجنبيات والسماح للآلهة الغريبة بالدخول إلى الحياة اليومية.

+ **شخصياً:** من خلال الارتباط بالشهوة التي كانت تعتبر طريقة العبادة للشيطان.

وفي هذه المرحلة نرى ضياع معنى رموز الخلاص التي كانت تعطي القوة الإلهية للشعب وهي الهيكل – المملكة – الأرض – كلمة الله والارتباط بها.

لقد كان الملكوت هو المعنى الذي لابد أن يعيه الشعب ليعلنه أمام العالم كله. لذلك قدم الله كل الطرق والوسائل التي تجعل شعبه يظهر في صورة هذا الملكوت، وارتفع بهم من مستوى العبودية إلى مستوى الحرية، بل الإعلان المرئي والمسموع، بل الحديث معهم على مستوى

شخصي، بل التواجد الدائم. وصنع لهم مملكة قوية وكياناً هاماً وسط الشعوب، وجعلهم محط الأنظار والاهتمام الذي يؤدي إلى معرفة العالم لطريق الخلاص بواسطتهم.

ولكن أمام كل هذا التدبير كان الشعب يسير بصورة غير ثابتة مع الله. فأعمال الله لتدبير الخلاص لم تتقابل دائماً مع إرادة الشعب للحياة معه، فكما رأينا أنه قد ترك الله تماماً في نهاية هذه المرحلة مما أدى إلى تدخل الله بصورة حاسمة لينقذ الخلاص العام في العالم كله.

وقد استخدم الله وسائل وأدوات في هذه المرحلة ليعلن بها عن ذاته ويهيئ العالم لمجيئه وخلاصه وهذه الأدوات هي:

الملكوت الرمزي

ومعنى الملكوت هو أن يملك الله على الحياة، أو بمعنى آخر أن يدخل الإنسان في دائرة مملكة الله التي قد طُرد منها قبلاً بالخطية. ولأن هذا الملكوت لا يمكن أن يتم على مستوى حقيقي إلا بانتهاء حكم الموت وتجديد طبيعة الإنسان، وهذا لم يحدث إلا بالسيد المسيح له المجد، فإن الملكوت الذي يمكن أن يحيا فيه العهد القديم، أي ما قبل السيد المسيح

له المجد هو الملكوت الرمزي. الأمور التي لها ظل الحياة وتأخذ قوتها من الشبه بالحقيقة المزمع أن تكون في المسيح.

إذاً الملكوت الرمزي هو حالة وصورة مؤقتة يتقابل فيها الله مع الإنسان. ولأن الله لا يمكن أن يراه إنسان بعد الخطية، فأصبح في الملكوت الرمزي لابد أن يكون لله حضوراً رمزياً. وهذا الحضور من خلال صور يفهم الشعب أنها تعني حلول الله، وإن كانت في وضع مجرد عن طبيعة الله. أي أنها من عناصر الطبيعة العامة ولكنها أصبحت تعني وجود الله بذاته وحضرته، وهذا أيضاً أخذ يتطور حسب حالة الشعب ومواقفهم ومراحل ثباتهم.

◈ عناصر الملكوت الرمزي

فابتدأ الله يعلن ذاته لموسى النبي من خلال العليقة المشتعلة ثم صار أمامهم عند الخروج كعمود نار، ثم أصبح يرافقهم كسحاب في النهار وعمود نار في الليل. وكان يعولهم بالمن من السماء ويتبعهم الماء الخارج من الصخرة التي ترمز للسيد المسيح له المجد، ثم صار معهم دائماً أينما ساروا مرافقاً لهم من خلال التابوت، ويجتمع بهم في الخيمة. ثم بعد دخولهم الأرض واستقرارهم أصبح وجوده الثابت في الهيكل،

ويحل في قدس الأقداس من خلال التابوت، ويتقدم إليه الشعب بالذبائح والتسابيح ليجتمعوا معه يومياً في الأعياد .

وبهذا يكون الله حالاً وسط شعبه، وهذا معنى الشكينة، أي حلول الله بمجده. وكان هذا رمزاً لحلول الله وسط العالم كله بالطبيعة اللاهوتية. فكما قلنا إن هذه الصورة تعطي إحساساً بوجود الله وقدسية الأماكن التي يجتمع الله فيها بشعبه. ولكن لم تكن النار طبيعته ولا خشب التابوت ولا مادة السحاب التي كان يظهر بها ويكلمهم من خلالها . ولم يكن حلوله بهذه الصورة إلا ليهيئ ذهن الشعب والعالم أجمع لإمكانية حلول الله بالطبيعة في الناسوت للخلاص، ليجتمع مع الإنسان في شخص السيد المسيح له المجد . وهذا ما أشار إليه ماريوحنا في حديث ربنا يسوع المسيح له المجد مع اليهود :

"فأجاب اليهود وقالوا له: أية آية تُرينا حتى تفعل هذا؟ أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه. فقال اليهود: في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده"

(يو ٢: ١٨- ٢١)

أي أن السيد المسيح له المجد كان يشير إلى أن تجسده هو اتحاد اللاهوت بالناسوت وهذا هو عمانوئيل (أي الله الحال في وسطنا حسب الترجمة الدقيقة) وهذا هو صورة الهيكل الذي فيه يحل الله ليجتمع بالشعب.

لذلك صار الهيكل هو مركز الملكوت الرمزي للعهد القديم، وصارت أورشليم هي مكان حلول الله، وأصبح سكنى الشعب في أرض كنعان هو رمز لسكنى الإنسانية في ملكوت الله. وبهذا تكون أرض الموعد هي الأرض التي يسكن الله فيها مع شعبه، ليصير الملكوت الرمزي حالة معاشة على مستوى الحقيقة الكائنة في الرمز إذ أن أرض الموعد التي يسكن فيها مع شعبه في العهد القديم صارت هي الكنيسة في العهد الجديد وفي الأبدية هي السماء، وهذه كانت صورة الله في الملكوت الرمزي.

◈ الإنسان في الملكوت الرمزي

ونأتي إلى صورة الإنسان في هذه الحالة وكما قلنا فإن هذا الشعب كان يمثل الإنسانية في خطة تدبير الخلاص، وحينما كان الشعب غير مستعد لهذه الحالة. اختار الله موسى النبي ليتخاطب معه ويصنع معه العهد في صورة الملكوت القديم نيابة عن كل الشعب. وبذلك أصبح

موسى النبي هو وسيط العهد القديم. ولما مات موسى النبي أصبح يشوع هو الذي يتعامل مع الله على مستوى الوسيط بين الشعب وبين الله. وبعد ذلك ضل الشعب، فتعامل الله مع أبطال سفر القضاة كممثلين عن الشعب أمامه. ثم مع فساد الصورة وضعف الكهنة والشعب أصبح الله يختار إنساناً يكلمه على مستوى شخصي كي يرسله إلى الشعب، ليقول لهم ما يريد أن يخبرهم به. ويكون هذا هو الوسيط وهذا الشخص يدعى نبياً (وسنتكلم عن ذلك بالتفصيل في النقطة التالية). وهذا مثل صموئيل النبي الذي كان نبياً وقاضياً للشعب، أي قائداً روحياً ومدنياً أيضاً. ولكن الشعب رفض أن يكون بلا ملك، فلم يكن لهم الفهم والرؤية الروحية التي يمكنهم بها أن يفهموا معنى الملكوت – الذي فيه الله هو الملك – وعلى هذا يكون هناك شخصاً آخر يمثل الشعب هو الملك – وهذا لأنهم كما ذكرنا سابقاً لا يزالون محصورين في الصور المادية، وهذا دفعهم إلى الانحراف وترك الله. وبهذا يكون – على مستوى الرمز – أضاف الشعب شخص الملك للمعاني الرمزية الخاصة بالملكوت، لأن الله هو الملك حسب تدبير الخلاص، ولكن الشعب أراد ملكاً بشرياً، فيكون هذا الملك له صورة رمزية في ملكوت العهد القديم. ولذلك رفض الله شاول لأنه لم يكن في حالة تعطي للرمز معناه

واختار داود الذي أكمل هذه الصورة. ثم أعطى رسالة العمل الرمزي في الملكوت إلى سليمان ابنه قائلاً:

"حينئذ تُفلح إذا تحفظت لعمل الفرائض والأحكام التي أمر بها الرب موسى لأجل إسرائيل. تشدد وتشجع لا تخف ولا ترتعب" (١أخ ٢٢: ١٣)

وقد وعد الله داود النبي بأنه سيثبت المملكة إلى الأبد، وقد سلم داود النبي الوعد لابنه أيضاً:

"وأقيمه في بيتي وملكوتي إلى الأبد، ويكون كرسيه ثابتاً إلى الأبد" (١أخ ١٧: ١٤)

وثبات الملكوت إلى الأبد لن يتم على الأرض إذ أن الأرض ليست أبدية. إذاً كان يقصد الله بهذا الكرسي شيئاً آخر غير أرضي. وهو الملكوت الحقيقي السماوي الذي هو بالمسيح كائن. ولكنه تكلم عنه في ذلك الحين لأن الملك كان يرمز إلى صورة الملكوت في العهد القديم.

وصورة الملكوت على هذا المستوى العميق أظهره الله لكل الأنبياء كما تراها في النبوات الآتية:

"لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليُثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا" (إش ٩: ٦، ٧)

وتنبأ دانيال أيضاً:

"كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسان آتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه. فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض" (دا ٧: ١٣، ١٤)

وزكريا النبي أيضاً قال:

"ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده" (زك ١٤: ٩)

وأخيراً ملاخي قد قال:

"لأني أنا ملك عظيم، قال رب الجنود، واسمي مهيب بين الأمم" (ملا ١: ١٤)

من هذه النبوات نفهم فكرة الملكوت في العهد القديم الذي أصبح يرمز له كرسي داود ، الذي منه جاء السيد المسيح ليحقق صورة الملكوت الحقيقي . ويصير هو ملكاً على القلوب في كنيسته وجالساً على العرش الأبدي بقوته اللاهوتية ، صانعاً ملكوته الذي لا ينتهي .

النبوة في تدبير هذه المرحلة

لم تكن النبوات مجرد الإخبار بأمور آتية ، ولكنها كانت كلمة الله التي تربي عقل الإنسان على معرفته ، وتبين مقاصده . فالنبوة هي رسالة من الله يعلن من خلالها تدبير حكمته ، ليحفظ إيمان الشعب فينتظر ويتمسك بتحقيق هذه الأمور ، بل يحيا في ظل الحقيقة الحادثة في المستقبل حسب النبوة في الوقت الذي يعيشون فيه .

ففكر الخلاص بالمسيا أعلن في النبوات ، فصارت أحداثاً رمزية في طقوس اليهود ، وفي أفكار حكماء إسرائيل ، وفي صلوات كل يهودي ، بل ومصدر الرجاء في الحياة القادمة لهم . والرؤية التي كتب عنها كل الأنبياء ، هي معرفة الله ومحاولة تحريك إرادة الإنسان ليستقبل الخلاص المقدم له من الله ، كمناخ خلاصي للشعب ، جاءت النبوات في العصور

المتأخرة مركزة على شخص المخلص وصورته. وكان هذا على مستوى معلن بوضوح أو على مستوى رمزي، فالإعلان بوضوح كان عن شخص السيد المسيح وصفاته وعمله، والمستوى الرمزي. كان من خلال تحقيق خلاص الشعب على مستوى تاريخي. فيثقوا في إمكانية الخلاص على مستوى إيماني. وعلى هذا كانت النبوات أداة لتحقيق الآتي:

١. الإعلان عن صورة الله وطبيعته حيث أن هناك جهلاً بشخصه المبارك.

٢. توجيهات للحياة مع الله وكيفية الحياة معه.

٣. كيف يعيش الإنسان على الأرض منتظراً الخلاص.

٤. مجيء السيد المسيح وخلاص البشرية بواسطته.

◈ والنبوات كانت في صورتين

١- صورة ملموسة ومرئية: مثل العليقة المشتعلة التي رآها موسى النبي وهي تشير وتنبئ عن التجسد. وهذا مثل كثير من نبوات إرميا النبي، وحزقيال النبي، الذي أراه مرة عظام أموات أعطاها الله الحياة ثم كلمه عن كيفية رجوع الشعب بعد حالة الضعف والموت (حز٣٧).

٢-صورة الكلمة المسموعة: وهذه هي الصورة الأعم في النبوات. وقد اختلفت توجيهات الله للأنبياء بحسب كل مرحلة:

☜ **ففي المرحلة الأولى والثانية**

حيث التدبير كان خاصاً بالعالم كله؛ فكان التركيز على إشارات ونبوات عامة للخلاص بلا تحديد. ولكنه كان يعلن عن الخلاص العام. كما ذكر في سفر التكوين:

"وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك، ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تك ٣: ١٥)

كما أشار إلى ذلك في قصة الطوفان أيضاً.

☜ **في المرحلة الثالثة**

أي عندما صار له شعب خاص وصار يعلن له عن إرادته بدأت النبوات تكون على مستوى إعلان صورة الخلاص، وطريقة الحياة في ظل الخلاص والفداء. فالناموس والطقوس اليهودية كانت تحمل صفة النبوة عن الفادي والمخلص ونهاية سلطان الموت.

☜ في المرحلة الرابعة

حيث كان التردد والانشقاق والشر، تركزت النبوات على دعوة إسرائيل للرجوع والتوبة، وتوبيخ الشعب على تركهم للحياة مع الله، وما سيحدث لهم إذا تركوا الله وأصروا على العصيان.

والإعلان عن الخلاص كان يسير جنباً إلى جنب مع الإعلان عن حالة العبودية التي سيصير فيها الشعب. فمع كل نبوة عن عبودية الشعب، كان يتقوى الوعد بالخلاص الذي سيتم بالمخلص، وهذا حتى يجد مَنْ يتمسك به وسط هذه الظلمة إمكانية الخلاص.

☜ في المرحلة الخامسة

تأتي نبوات انتظار المخلص والثبات في الطريق حتى حينما يأتي يجد شعبه مستعداً له ومشتاقاً إليه.

ومع كل تعد من الشعب، ومع كل ضياع لصورة شعب الله كان الله يرسل وعداً بالخلاص الخاص لشعبه وللعالم كله. وهذا لكي يفهم الشعب دوره التاريخي في الخلاص. فقد كان دائماً يذكرهم بأنهم يحملون الخلاص للعالم كله. فالعالم والإنسان كله هو محور فكر الله كما نرى من الآيات الآتية:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب" (إش ٢: ٢، ٣)

بل ويخبرهم عن إقامته مذبحاً لله في أماكن أخرى غير أورشليم:

"في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعامود للرب عند تخمها" (إش ١٩:١٩)

ويحدد لهم رسالتهم التي بها يعرف العالم كله الخلاص فيقول لهم:

"قليل أن تكون لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب، ورد محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادي إسرائيل، قدوسه، للمهان النفس، لمكروه الأمة، لعبد المتسلطين: ينظر ملوك فيقومون رؤساء فيسجدون. لأجل الرب الذي هو أمين، وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك" (إش ٤٩: ٦، ٧)

ويعلن لهم أيضاً على أنه سيُقرب إليه ويقبل كل من يأتي إليه ويعبده فيقول:

"... احفظوا الحق وأجروا العدل. لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان بري. طوبى للإنسان الذي يعمل هذا، ولابن الإنسان الذي يتمسك به، الحافظ السبت لئلا يُنجسه، والحافظ يده من كل عمل شر. فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلاً: إفرازاً أفرزني الرب من شعبه. ولا يقل الخصي: ها أنا شجرة يابسة. لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي، ويختارون ما يسرني، ويتمسكون بعهدي: إنى أُعطيهم في بيتي وفي أسواري نصباً واسماً أفضل من البنين والبنات. أُعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع. وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً، كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه، ويتمسكون بعهدي، آتي بهم إلى جبل قدسي، وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب" (إش ٥٦: ١-٧)

هكذا يا عزيزي القارئ... تجد صورة الخلاص العام معلن في النبوة بكل وضوح أيام إشعياء النبي أي حوالي سنة ٧٤٠ ق. م، وهذه الفترة من الفترات التي وصلت مملكة إسرائيل الشمالية فيها إلى مستوى منعدم في حياتها مع الله وساد الشر كل المملكة فأرسل الله هذه الرؤى والنبوات

ليتمسك بها القلائل الذين ظلوا ينتظرون الخلاص وليعلم الجميع أن الله سيخلص العالم كله وليس إسرائيل فقط حتى أن إشعياء النبي قال له:

"ليتك تنشق السماوات وتنزل! من حضرتك تتزلزل الجبال"
(أش ٦٤: ١)

ثم استمرت النبوات لبقية الشعب وأسباط مملكة يهوذا إلى أن تم السبي. ثم في السبي وبعد السبي سنرى نبوات قليلة لكي يحفظ الشعب ذاته إلى أن يأتي المخلص.

☆ الأسفار التى تغطي الكتاب المقدس في هذه المرحلة

كما قلنا سابقاً فإن أغلب أسفار العهد القديم تقع في هذه المرحلة من خطة تدبير الخلاص التي كانت فيها تطورات كثيرة روحية وتاريخية، استدعت أن يرسل الله لهم كثير من الأنبياء ووعدهم بوعود تعضدهم في طريق الخلاص. وإليك الخطة المعلنة في الأسفار حسب الوحي المقدس:

+ **سفر القضاة:** وتبدأ المرحلة بالدخول إلى أرض الموعد كما نرى في سفر يشوع. وبعد ذلك تأتي فترة القضاة في سفر القضاة الذي يحكي لنا عن انحراف الشعب عن صورة تدبير الخلاص. إلا أن الله كان لا يزال حافظاً لشعبه طريقه وخلاصه، فيرسل من يقود الشعب للنجاة. وسفر القضاة يسير في ترتيب موضوعي وليس تاريخي، فهو يهتم بإظهار ثلاثة أفكار هي:

١- الارتباط بالله ٢- ترك الله ٣- نتائج هذا الترك

ونرى فيه أول كاهن لله عبد الأوثان وقد كان هذا هو حفيد موسى النبي يوناثان وهذه القصة في الأصحاح (١٧: ٧- ١٣).

+ **سفر راعوث:** ويقدم لنا الوحي المقدس هذا السفر الذي يحكي قصة وجود الله في قلوب أبنائه رغم الارتداد الذي كان في هذا الوقت، ورغم أن الأشخاص الذين يدور حولهم السفر ليسوا يهوداً بالمولد أو من نسل الأسباط. وهذا لنفهم المعنى والقصد من شعب الله، أنه كل من يؤمن به ويحيا معه، وأن الله لم تقصر يده على أن يختار من وسط الارتداد من يشهد عنه ويكمل تدبير الخلاص معه. لذلك اختار راعوث أن تكون من سلسلة النسب المقدس الذي جاء منه

السيد المسيح له المجد. وكان هذا أيضاً إشارة خلاصية للأمم. وقد كان هذا السفر يقرأ في العبادة الطقسية لعيد الخمسين الذي كان له معنى قوي عند اليهود إذ يحتفلون فيه باستلام موسى النبي الشريعة من الله.

+ **سفري صموئيل الأول والثاني:** ومع ارتداد الشعب اتجه الله إلى البحث عن نماذج فردية تحمل إرادة الخلاص والحياة معه ليكمل بهم صورة التدبير. فيركز الوحي في هذين السفرين على شخصين هما صموئيل النبي وداود النبي.

+ **سفري ملوك الأول والثاني:** ويعرض لنا فيه الوحي المقدس الصورة العامة للمملكة وكيف سارت القصة التاريخية، وعمل الله الذي كان من خلال الأنبياء الذين أرسلهم إلى الشعب ليرجعوا إلى الحياة معه، فهذه المملكة ليست مثل باقي الشعوب ولكنهم كانوا يحملون صوت الله وتدبير الخلاص العام للبشرية كلها فتاريخهم إذن هام لرؤية الخلاص ولمعرفة عمل الله.

+ **سفري أخبار الأيام الأول والثاني:** وهو يعرض الصورة الكهنوتية في تدبير الخلاص، من خلال علاقة الشعب والمملكة بالهيكل، الذي أصبح هو الرمز لوجود الله وسط شعبه، فمن خلال اهتمامهم بالهيكل ينعكس اهتمامهم بالله، وإهمالهم له يعكس رفضهم للحياة مع الله، الأمر الذي أدى إلى النهاية المحزنة وهي هدم الهيكل وسبي الشعب.

+ **سفر طوبيا:** ويحكي هذا السفر عن صورة شعب الله من خلال الأفراد حينما فشل الشعب على مستوى عام فيحكي السفر بعد سبي أشور لإسرائيل عن عائلة تم سبيها إلى نينوى (٧٢٢ ق. م). وبالرغم من صعوبة الجو المحيط، والتجارب القاسية في الغربة والسبي، إلا أن هذه العائلة ظلت في قداسة العهد مع الله. وقد كان الله معهم أيضاً في حياتهم. فهذه الصورة الفردية أظهرها الله ليخبرنا بفساد المملكة وأنه اضطر أن يكمل التدبير بعيداً عن المملكة.

+ **أسفار الحكمة:** وقد كتبت أغلب أسفارها في فترات الحياة الروحية القوية، إذ أن هذه الأسفار تبين مشاعر الإنسان لله، فإن هدف كتابتها هو ظهور الإنسان كعابد ومنشد لخالق الكون، وتكشف عن

أعماق البشرية ومشاعرها أمام إعلانات الله ومحبته له. وذلك من خلال تقديم عبادة العقل والوجدان. وبإرشاد الروح القدس يُعطي الله للإنسان أن يتكلم بما يُدخله في شركة الحب. بل وفي أحيان كثيرة يُطلعه على أسرار لاهوتية أيضاً.

+ **سفر المزامير:** هو نبضات حب الإنسان لله في كل مواقف الحياة التي تصف العلاقة معه. تسبيح – وشكر – وتوبة – ومعونة – وحب – كما أيضاً يعلن الله له عن نبوات خلاصية.

+ **سفر الأمثال:** هو حكمة البر والتخصيص لله في كل مواقف الحياة.

+ **سفر الحكمة:** هي احتياج الإنسان للمطلق وشبعه بالله. واكتشاف المعنى الحقيقي للحياة.

+ **سفر الجامعة:** يؤكد على أن الله هو الحياة وغيره باطل وبلا منفعة.

+ **سفر نشيد الأناشيد:** وهذا السفر هو نشيد الحب بين الله والإنسان على مستوى الارتباط الزيجي، فهو يجردنا من الماديات ليرفعنا من المحسوسات إلى مستوى روحي بارتباط كل شيء فينا بالله.

+ **سفر أيوب:** وقد كتب هذا السفر غالباً في عصر إبراهيم. ويبين صراع إبليس وقوات الظلمة على بر الإنسان، ويعطي رؤية فلسفية للألم والقوة مع الله.

+ **أسفار النبوة:** وقد اختلفت توجهات الأنبياء حسب العصر الذي يملون فيه الرسالة. فقبل السبي تركزت وجهة الأنبياء على إنذار إسرائيل ويهوذا لأجل الارتداد. والتنبوء عن هجوم الأمم عليهم وعبوديتهم لهم والخلاص الذي سيتم بالمسيح. وكان هناك عدد كبير من أنبياء الله، ولكن الأنبياء الذين كتبوا نبواتهم هم الذين تحمل نبوتهم صورة الخلاص بالمسيح سواء رمزياً أو حقيقياً وهم: يونان – يوئيل – عاموس – هوشع – إشعياء – ميخا. وبعد هؤلاء تم سبي أشور للسامرة، ثم جاء الأنبياء الآتين: ناحوم – صفنيا – إرميا – باروخ – حبقوق – حزقيال. وبعد ذلك تم سبي بابل ليهوذا، وقد تنبأ إرميا عن رجوع الشعب من السبي.

وبهذا يكون الكتاب المقدس قد أعطانا رؤية متكاملة لتدبير الله للخلاص في هذه المرحلة من خلال أسفار التاريخ المقدس لمعاملات الله، وأسفار الحكمة والعبادة الإنسانية لله، وأسفار النبوات التي كان يرسلها الله.

صلاة:

ربي أين أخفي وجهي من نظراتك

إن نفوسنا خجلي أمامك،

فإن تاريخنا الإنساني سيئ جداً

في معاملاتنا معك

ففي كل يوم من أيام زماننا

حملنا فيه تعدياتنا بقسوة بالغة

لطمنا وجهك بجسارة مؤلمة

آه يا ربي منذ البداية

وأنا الإنسان أسبب لك الضيق

فمع حبك يكون جحودي

ومع برك يكون شري

ومع أحضانك كانت أشواكي

إن تاريخنا البشري ملوث

بجماعية الشر وهجمية الخطية

ومع هذا أتيت لتخلصنا

وفتحت ذراعك لتحملنا

احتملت عنادنا وجهلنا

لتصنع من صورتنا المشوهة صورة رائعة

تحمل شبهك لنحمل وجهك

هبنا يا ربي

نعمة في أيامنا هذه التي على الأرض

أن نعوض أيام القساوة السابقة

نعم...

ليت الكنيسة تكون قد ضمدت

جراحات ماضينا الأليم

ليتك تسمع منا تسبيحنا وشكرنا

الذي به نرسل لك المجد والكرامة والحب

يا حبيبنا الأبدي...

آمين...

الفصـل الـسـادس

الملكوت الرمزي في انتظار الحقيقي

المرحلة الخامسة "من السبي إلى مجيء السيد المسيح"

- التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة
- ☆ أولاً: فترة السبي
- ☆ ثانياً: فترة من بناء الهيكل إلى مجيء السيد المسيح له المجد
- كيف سار التاريخ إلى أن جاء السيد المسيح له المجد؟!
- رؤية تدبير الخلاص في الأزمنة التي سبقت مجيء السيد المسيح له المجد مباشرة
- الأسفار التي تغطي هذه المرحلة

❖ المرحلة الخامسة

من السبي إلى مجيء السيد المسيح

☆ التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة

تنقسم هذه المرحلة إلى فترتين:

☜ **الأولى:** هي الفترة التي قضاها الشعب داخل أرض بابل، وهي حوالي سبعون سنة، من أول ما بدأ نبوخذ نصر يهدد أورشليم ويفرض سلطانه عليهم إلى رجوع الشعب من بابل.

☜ **الثانية:** هي الفترة التي كانت بعد الرجوع من السبي إلى مجيء السيد المسيح له المجد وهي خمسمائة عام تقريباً.

✍ أولاً: فترة السبي

وفي هذه الفترة رجع الشعب إلى نفسه ورأى حالته على حقيقتها. فقد ضاع منهم صورة شعب الله، ودخلوا في صورة العبيد مرة أخرى. فالأرض التي كانت ترمز إلى ملكوت الله المعد لهم ضاعت، والهيكل رمز وجود الله انهدم، ولم يعد لهم أية حياة مقدسة، وهم بعيدون عن عبادة الله والهيكل والذبائح وأرض الموعد. لهذا احترقت نفوسهم

شوقاً للرجوع، ولم يكن أمامهم للارتباط بالله سوى كلماته التي أرسلها لهم في الأزمنة السابقة فتمسكوا بها، وأخذوا يدرسونها جيداً، وأخذوا يفندون النبوات والوعود. واجتمعوا مع حزقيال النبي ودانيال النبي وصنعوا طريقة جديدة يمكنهم أن يعرفوا الله فيها بعيداً عن أورشليم والهيكل، وهي المجامع أو الهاكنيست التي كان يتجمع فيها الشعب ليدرس الناموس ويصلي لله. فظلوا متمسكين بكلمات الوعد بالخلاص، لأنهم وجدوا أن الله قد وعدهم بالمخلص الذي سيملك على كرسي داود ولا يكون لملكه نهاية. فحفظوا هذه النبوات والمعنى الخلاصي التي فيها، وانتظروا المخلص في أرض العبودية، إلى أن أُبيدت مملكة الكلدانيين (بابل – أشور) من مملكة فارس، ومَلك كورش على فارس الذي تعاطف مع الشعب اليهودي. وغالباً ما يكون أن الله كلمه لرجوع الشعب وبناء الهيكل، إذ يفهم هذا من ندائه لرجوع الشعب في سفر عزرا:

"هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا" (عز ١: ٢)

وفعلاً ابتدأ الشعب في الرجوع وقد تعلم الدرس جيداً أن الحرية الحقيقية لا تأتي إلا بالحياة مع الله، والمجد الحقيقي لا يكون إلا في ملكوته. ورجع من الشعب حينها من أحب الحياة مع الله وكان هذا بمثابة غربلة جيدة لمن يصير من شعبه، ويحفظ وعده، ويعمل به الله لاستمرار الخلاص.

◈ الهيكل مركز العبادة

وكان أهم شيء عند رجوع الشعب هو بناء الهيكل فاهتم الراجعون من السبي ببناء هيكل الله، وقد ساعدهم في تشييده عدة ملوك من فارس (أرتحشستا – داريوس) ومن خلالهم استطاع الشعب أن يبنيه، إذ بدأ الله يعمل في تدبير الخلاص في هذه المرحلة لا من خلال شعبه فقط – الذي أثبت عدم قدرته على تحمل هذه الرسالة – ولكن أيضاً من خلال تهيئة العالم كله. فقد أصبحت رسالة هذا الشعب في ذلك الوقت قاصرة على حفظ الناموس، والثبات في وصايا الله، وتقديم الذبائح في الهيكل، ليحفظوا الصورة حسب النبوات إلى أن يأتي السيد المسيح له المجد منهم فيعرفه العالم ويؤمن به. وبهذا تكتمل كل الإشارات والنبوات التي سبق الله وأعدها للتجسد، ويؤمن الكل بالسيد المسيح حينما يأتي منهم حسب الجسد. أما رسالة الشعب في الكرازة بالله

وسط العالم من خلال ثبات المملكة والغنى والحكمة، فقد أثبت الشعب عدم استطاعته عمل هذه الخدمة.

لذلك فقد دبر الله صورة جديدة يهيئ بها العالم لمعرفته ولاستقبال الخلاص الذي من السماء بصورة أخرى. فتعامل الله مباشرة مع ملوك فارس لرجوع شعبه ولبناء هيكله. وهذا نلمسه من رسالة كورش (عز١ : ٢)، ونلمسه أيضاً من رسالة داريوس للشعب عندما قال لهم:

"وقد صدر مني أمر بما تعملون مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الله هذا فمن مال الملك من جزية عبر النهر، تُعط النفقة عاجلاً لهؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا. وما يحتاجون إليه من الثيران والكباش والخراف محرقة لإله السماء، وحنطة وملح وخمر وزيت حسب قول الكهنة الذين في أورشليم، لتعط لهم يوماً فيوماً حتى لا يهدءوا عن تقريب روائح سرور لإله السماء، والصلاة لأجل حياة الملك وبنيه. وقد صدر مني أمر أن كل إنسان يُغيِّر هذا الكلام تُسحب خشبة من بيته ويُعلق مصلوباً عليها، ويُجعَل بيته مزبلة من أجل هذا. والله الذي أسكن اسمه هناك يُهلك كل ملك وشعب يمد يده لتغيير أو لهدم بيت الله هذا الذي في أورشليم. أنا داريوس قد أمرت فليفعل عاجلاً" (عز ٦: ٨-١٢)

فقد وضع الملك الأموال والكباش والثيران تحت تصرف إله إسرائيل. بل طلب من الشعب أن يصلوا من أجله، فكيف يصنع هذا إن لم يكن هو مؤمناً بالله، ونلمس هذا أكثر من خلال أرتحشستا الملك:

"وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك أرتحشستا لعزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل: من أرتحشستا ملك الملوك، إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل، إلى آخره. قد صدر مني أمر أن كل من أراد في مُلكي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع. من أجل أنك مُرسل من قِبل الملك ومشيريه السبعة لأجل السؤال عن يهوذا وأورشليم حسب شريعة إلهك التي بيدك، ولحمل فضة وذهب تبرع به الملك ومشيروه لإله إسرائيل الذي في أورشليم مسكنه. وكل الفضة والذهب التي تجد في كل بلاد بابل مع تبرعات الشعب والكهنة المتبرعين لبيت إلههم الذي في أورشليم، لكي تشتري عاجلاً بهذه الفضة ثيراناً وكباشاً وخرافاً وتقدماتها وسكائبها، وتُقربها على المذبح الذي في بيت إلهكم الذي في أورشليم. ومهما حسن عندك وعند إخوتك أن تعملوه بباقي الفضة والذهب، فحسب إرادة إلهكم تعملونه. والآنية التي تُعطى لك لأجل خدمة بيت إلهك فسلمها أمام إله أورشليم. وباقي

احتياج بيت إلهك الذي يتفق لك أن تُعطيه، فأعطه من بيت خزائن الملك. ومني أنا أرتحشستا الملك صدر أمر إلى كل الخزنة الذين في عبر النهر أن كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء فليُعمل بسرعة، إلى مئة وزنة من الفضة ومائة كر من الحنطة ومائة بث من الخمر ومائة بث من الزيت، والملح من دون تقييد. كل ما أمر به إله السماء فليُعمل باجتهاد لبيت إله السماء، لأنه لماذا يكون غضب على مُلك الملك وبنيه؟ ونُعلِمكم أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنثينيم وخدام بيت الله هذا، لا يؤذن أن يُلقى عليهم جزية أو خَراج أو خِفارة. أما أنت يا عزرا، فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حُكاما وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلهك. والذين لا يعرفون فعلموهم. وكل من لا يعمل شريعة إلهك وشريعة الملك، فليُقضَ عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس" (عز ٧: ١١-٢٦)

◈ إعداد اللـه للعالم في هذه المرحلة

ولقد أعد الله الإنسانية كلها بطريقة أخرى وذلك من خلال حكماء الأمم، الذين أصبحت لهم رؤية وبصيرة روحية علَّموا بها الشعوب عن الله الواحد وكيفية الحياة معه. وإن كانت هذه الرؤية لا تزال مشوبة بتراكمات الأفكار الغريبة، إلا أنها كانت بمثابة إعداد جيد للعالم كله لاستقبال معرفة الله ومجيئه متجسداً.

وقد حفل القرن السادس والخامس قبل الميلاد بهؤلاء الأشخاص الذين أثروا في الشعوب. وكانت لهم رؤية رائعة عن الإله الواحد وكيفية عبادته وانتظار الخلاص. وكما ذكرنا، فقد كان هذا من الله حتى يعوض تقصير شعب إسرائيل ككارز بالله وسط الأمم بحياته وثباته معه. وعن هذا قال **القديس إكليمندس السكندري:** "إن الفلاسفة هم أنبياء الأمم."

☜ مصر

بدأ الاعتقاد في ألوهية الفرعون يقل جداً، وتسلل أفكار عن الإله بصورة مجردة من الأمور المادية. وبدأ الاتجاه نحو التصوف والنسك أكثر فظهرت جماعات تعيش حياة مشتركة وتدعوا إلى الصوم والصلاة والتسابيح.

☜ إيران

وفي القرن السادس قبل الميلاد ظهر زرادشت في إيران وقد رفع إلهاً واحداً وأنزل باقي الآلهة من درجاتهم، وهذا الإله العظيم الذي دعاه "اهورامزادا" هو إله ذو شخصية بشرية، ولكنها فريدة وقادرة على كل شيء ، وقد خاض حرباً مقدسة ضد قوى الشر وانتصر من أجل عبيده.

وزرادشت هو من ذكر نبوة إنه في عصر من العصور هناك نجم سيظهر وهو لإله متجسد وملك عظيم وكاهن كبير الذي على أساسه تناقل هذا الكلام إلى أن جاء المجوس وذهبوا للمسيح حينما رأوا النجم.

وبالطبع لم يكن زرادشت أحد الأنبياء ولكنه مثله مثل بلعام الذي لم يكن نبياً للرب ولكنه أُستخدم ليخبر الأمم بنبوة عن السيد المسيح وهذا في سفر العدد الأصحاحات (٢٢- ٢٤). هكذا كان الرب يرسل إشارات وكلمات لهؤلاء الذين كانت شعوبهم تؤمن بكلامهم حتى يعد العالم كله للإيمان بالرب يسوع حين يأتي للخلاص.

☜ مملكة نيبال

وفي القرن السادس والخامس قبل الميلاد (٥٦٧ ق.م – ٤٨٧ق.م) عاش بوذا في مملكة نيبال وقد نادى بالولادة الثانية في أجساد أخرى، ونادى أيضاً بالجهاد الشاق للإنسان حتى يصل إلى النيرفانا، وهي حالة تؤهل الإنسان لسكنى السماء وذلك من خلال "البوديساتفا" وهو المخلص. وبالطبع هذه الأمور لا نؤمن بها ولكنها كانت تهيئ الأذهان إلى الأمور الروحية التي لم تشبعها إلا في الحياة المسيحية.

☜ الصين

في الصين ظهر "كونفوشيوس" في القرن السادس والخامس قبل الميلاد (٥٥١ – ٤٧٩ ق. م) وقد علَّم هذا الرجل تعاليم روحية قوية، ونادى بأن هناك درب في السماء يدعى "تيئن" وهو درب له وجود سابق، وهو الحالة الأولى التي كان يحيا فيها الإنسان أول وجوده. وقد تكلم عن إله شبيه بالإنسان وهو قوي ولكن ليس كمثل باقي البشر.

☜ اليونان

وفي اليونان في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد ظهرت الفلسفة الهيلينية والتي علمت بأنه لا يوجد أساطير وأنزلت فكر اليونانيين من

صورة أساطير فوق جبال الأوليمب إلى فكر راقي والتي هي فلسفة أفلاطون وسقراط وأرسطو، الذين تكلموا أن المعرفة بالإله معرفة كيانية أي ليس من خلال مجتمع الآلهة الأسطوري الذي كانت تتكلم عنه كتب الألياذة والأوديسا، بل إن الإله عمق داخلي، ونراه في عمق داخلي وهو أبعد مما نتصوره وقالوا إن الإله هو علة الوجود.

هؤلاء وآخرون كانوا معاصرين بعضهم لبعض، وقد وصلوا لحالة من الصفاء الروحي والذهني وطلب الحكمة، مما أشرق الرب عليهم بشعاع من الحكمة الإلهية كي يكونوا نوراً ولو بسيط لكي يُعلِّموا أو يمهدوا الطريق أمام الإيمان الحقيقي لشعوبهم. فقد كان دورهم هو تحريك نفوس الشعوب نحو القوى العليا التي احتاجها الإنسان، ولأهمية المخلص للحياة الأخرى. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يروا أكثر من ذلك، مما جعلهم منتظرين هذا المخلص بنفسه، لذلك نرى المجوس وهم حكماء من الشرق قد جاءوا ليعلنوا إيمانهم بالسيد المسيح له المجد حين وُلد. وفي اليونان وجد بولس الرسول هيكلاً للإله المجهول؛ الذي كان يعبر عن احتياجهم إلى الإله الواحد المطلق الذي يجهلونه ويشتاقون إلى الحياة معه.

ثانياً: فترة من بناء الهيكل إلى مجيء السيد المسيح له المجد

في هذه الفترة كان دور الشعب هو التقديس والانتظار لمجيء السيد المسيح ، فقد انتقل الشعب من مرحلة الجهاد حسب الجسد الأرضي إلى الجهاد لأجل تحقيق الوعد وانتظار الخلاص. فبعد ما رجع الشعب وبنى المذبح تراخى من جديد مدة خمس عشرة سنة. فأرسل الله لهم نبوة ورسالة على فم حجي النبي لكي يقوموا ويبنوا الهيكل قائلاً :

"...اجعلوا قلبكم على طرقكم. اصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وابنوا البيت، فأرضى عليه وأتمجد، قال الرب. انتظرتم كثيراً وإذا هو قليل. ولما أدخلتموه البيت نفخت عليه. لماذا؟ يقول رب الجنود. لأجل بيتي الذي هو خراب، وأنتم راكضون كل إنسان إلى بيته. لذلك منعت السموات من فوقكم الندى، ومنعت الأرض غلتها. ودعوت بالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار وعلى الزيت وعلى ما تُنبته الأرض، وعلى الناس وعلى البهائم، وعلى كل أتعاب اليدين" (حج ١: ٧-١١)

وأرسل لهم أيضاً نبوة لزكريا النبي وملاخي ليؤكد لهم مجيئه وعلامات هذا المجيء :

"ولكم أيها المتقون اسمي تُشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها، فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة. وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بُطون أقدامكم يوم أفعل هذا، قال رب الجنود" (ملا ٤: ٢، ٣)

ثم صمتت النبوة مدة أربعمائة عام، وكان هذا ليجعل الكل متشوقاً لمن يأتي ويتكلم باسم الله. وقد كانت مرحلة الانتظار واجبة على الكل، إذ أن الأساسيات التي تجعل من الشعب مملكة ليست لها وجود فانتظروا تحقيق ملكوت الله للآتي:

☜ **وجود الله في وسطهم من خلال تابوت العهد الذي صار غائباً:** كان تابوت العهد قد أخفاه أرميا النبي قبل السبي في الجبل وهذا مثبت في سفر المكابيين الثاني:

"وجاء في هذه الكتابة، أن النبي بمقتضى وحي صار إليه، أمر أن يذهب معه بالمسكن والتابوت، حتى يصل إلى الجبل الذي صعد إليه موسى ورأى ميراث الله. ولما وصل إرميا وجد كهفاً، فأدخل إليه المسكن والتابوت ومذبح البخور ثم سد الباب. فأقبل بعض من كانوا معه ليسموا الطريق، فلم يستطيعوا أن يجدوه. فلما أعلم بذلك إرميا لامهم وقال: إن هذا الموضع سيبقى مجهولاً إلى أن

يجمع الله شمل الشعب ويرحمهم. وحينئذ يبرز الرب هذه الأشياء، ويبدو مجد الرب والغمام كما ظهر في أيام موسى، وحين سأل سليمان أن يقدس الموضع تقديساً بهياً" (٢مك٢: ٤ – ٨)

فالشعب حينما رجع من السبي لم يكن للتابوت وجود، وكان معنى هذا أنهم لابد أن ينتظروا كلمة الله النازل من السماء من جديد، كما نزلت الشريعة في لوحي العهد قبلاً، وينتظرون المن الجديد الذي نزل من السماء ليوضع في التابوت كما كان القديم. لهذا حينما جاء السيد المسيح لفت أنظارهم إلى أنه هو الكلمة والمن النازل من السماء.

☜ **كانت المملكة بلا وجود:** رجعوا ولكن ليس لهم ملك ولا مملكة، فقد كانوا تحت سلطة ملك آخر ومملكة أخرى، من فارس إلى اليونان إلى الرومان. فانتظروا من يحقق لهم وجود مملكة داود حسب النبوات.

☜ **كان الشعب مشتتاً:** لم ترجع الأسباط كلها بل تشتت مملكة إسرائيل ويهوذا، وأصبح الشعب محتاج إلى راع يجمعهم تحت رايته.

إذاً فقد كانوا ينتظرون كلمة الله النازل من السماء، والملك الذي يجلس على عرش داود في ملكوته ويرعى شعبه، ويحميهم تحت رايته القوية. ففسروا النبوات على هذا المنهج وصاغوا الأحلام لتحقيق ذلك.

☆كيف سار التاريخ إلى أن جاء السيد المسيح له المجد؟!

ظلت مملكة فارس مسيطرة على العالم المتحضر الذي كانت مصر طرفاً هاماً فيه. فقد استولى قمبيز الفارسي على مصر، وجلس على عرش الفراعنة، إلى أن جاء الإغريق وساعدوا القوى الوطنية المصرية، فانهزم الفرس. وجاء الإسكندر المقدوني وهزم داريوس الثالث في موقعة أسوس، وسادت الإمبراطورية اليونانية بقيادة الإسكندر العالم كله وجعل كل بلد ذات سيادة خاصة، ولكنها خاضعة للإمبراطورية اليونانية. فكل شعب له الحرية في العبادة والسيادة، لكنه تابع للإسكندر.

وقد حاول الإسكندر أن يصنع آلهة توفيقية يعبدها العالم كله، أي أنه يجمع مثلاً بين آلهة المصريين وآلهة اليونانيين. وقد نجح في ذلك على مستوى كثير من البلدان، لكنه لم يستطع أن يقترب من إله إسرائيل. لكنه نجح في أن يجعل الثقافة اليونانية من لغة وفكر وفلسفة، طريقة حياة منتشرة في العالم كله. فقد أسس الإسكندر الأكبر (٣٢٩ ق.م) مدن يونانية في كل مكان في العالم. وقد اعتلى العرش عام ٣٣٤ ق.م، وتمكن من السيطرة على العالم عام ٣٢٥ ق.م، ومات في عام ٣٢٣ ق.م

بعد أن غير وجه التاريخ، واستطاع أن يربط العالم كله من خلال الفكر والثقافة اليونانية. وكان هذا بمثابة مسح لهُوية الشعوب، وجعلهم ينتمون كلهم إلى الهُوية اليونانية. وبذلك يضمن انتماء الشعوب للإمبراطورية الأم.

وبعد موت الإسكندر ظل قواد الجيش يتحاربون أربعين عاماً إلى أن قسَّموا الإمبراطورية فيما بينهم. فحكم السلوقيون سوريا والبطالمة مصر وفلسطين. وقد أخذ بطليموس جالية يهودية كبيرة وجعلها تستوطن الإسكندرية. ولكي يُرضيهم ترجم لهم الأسفار المقدسة إلى اليونانية من خلال اثنين وسبعين شيخاً عهد لهم بهذا العمل وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية.

وظلت أرض فلسطين التي يسكنها اليهود موضع صراع بين البطالمة والسلوقيون فترة طويلة. وأما المجتمع اليهودي فقد أصبح ينقسم إلى قسمين – القسم الأول والمعروف بالفريسيين، وهم المتزمتين بالنسبة للأمم وبالتالي اليونانيين، وهم معادين لكل ما هو أممي من لغة يونانية وثقافة وفكر وطريقة حياة. وهؤلاء كانوا يقومون بثورات دائمة لكي ينالوا الحرية ويُعيدوا مملكة شعب الله من يد الأمم. والقسم الآخر والمعروف بالصدوقيين وهم موالين لليونانيين، ولهم الفكر اليوناني

وطريقة الحياة اليونانية، مثل بناء المدن والبيوت على الطراز اليوناني، وقد كانوا موافقين على وجود اليونانيين في المملكة، وظل الأمر هكذا إلى أن ساعد اليهود السلوقيين ضد البطالمة أملاً منهم في الاستقلال وطمعاً في حرية أكثر.

حكم السلوقيين لليهودية

وفي عام ١٩٨ ق.م استولى السلوقيون على فلسطين ولم يعرف الشعب اليهودي أن السلوقيين متعصبين جداً لليونانية. فبعد حرية العبادة والسيادة الذاتية التي كان يتمتع بها الشعب أيام حكم البطالمة، استبد بهم السلوقيون وارتفعت حدة الاضطهادات أيام أنطيوخس أبيفانيوس الرابع، الذي جاء وعزل رئيس الكهنة وسرق الهيكل.

وفي عام ١٦٧ ق.م دخل أنطيوخس أورشليم بجيشه إثر حركة تمرد من الشعب وانتقم منهم، وأخذ أواني الهيكل والمذبح ومنع العبادة اليهودية. وقدم ذبائح لآلهة اليونان على مذبح الله في أورشليم، بل وذبح خنازير على المذبح إمعاناً في إهانة الشعب وديانته، وحَرم الختان وأذل الشعب جداً. إلى أن قام كاهن يُدعى متياس وأولاده الخمسة بثورة جَمع فيها كل الغيورين على اليهودية، وحارب اليونانيين، ومات

متياس، وقاد الثورة من بعده ابنه يهوذا الذي لقبوه بالمكابي أي المطرقة نظراً لشدته (١٦٦ ق.م). وفعلاً انتصر على أنطيوخس وطرد اليونانيين وتوالت الأيام من جهاد وحروب، ثم مات يهوذا وتولى من بعده أخوه سمعان المكابي، ثم ابنه يوحنا هركانوس عام ١٣٤ ق.م وحينذاك أصبح للفريسيين قوة ضغط شعبي لمواجهة حزب الصدوقيين الذين لهم الصبغة اليونانية.

ومات هركانوس (١٠٤ ق.م) وتولى ابنه أرستوبولس، ومَلك بعده ألكسندريانوس، وهذا جلس على العرش سبعة وعشرين عاماً وقتل خمسين ألفاً من الفريسيين لأنهم عارضوه حينما جعل نفسه رئيساً للكهنة وهو من أم سامرية. وهو أول من أدخل عقوبة الصلب في أورشليم. وحينما مات تولى ابنه هركانوس الثاني رئاسة الكهنة، وابنه الآخر أرستوبولس الثاني رئاسة الجيش، ولكنهما تحاربا معاً ودخلت البلاد في حرب أهلية، تدخلت روما على إثر ذلك، إذ أن روما حينها قد أصبحت هي الإمبراطورية العظمى وكانت تحاول أن تستولي على نفوذ الدولة اليونانية. فتدخل بومباي إمبراطور روما وأسر أرستوبولس ونَصب هركانوس الثاني ملكاً. وحينما دخل بومباي أورشليم وبعدما

تعرف على الهيكل وإله اليهود رجع إلى روما ليحدثهم عن إله اليهود الذي انبهر به وبهيكله.

+ هيرودس الملك

وفي عام ٤٨ ق.م اعتلى يوليوس قيصر عرش روما وكان أنتيباتر الأدومي صديقاً له، فطلب منه أن يُعين ابنيه حاكمين على أورشليم. وفعلاً عين فسائيل وهيرودس في الحكم، وأخذ من أنطونيوس وأوكتافيوس لقب حاكم اليهودية وملكها، وهذا هو هيرودس الذي في نهاية عصره وُلد السيد المسيح له المجد. وبعدما مات قُسِّمت المملكة على أبنائه فيلبس، وهيرودس، وأنتيباس، وأرخيلاوس. وبذلك أصبحت أرض اليهودية جزءاً من إمبراطورية روما. بل وكان للحاكم الروماني الحق في التدخل في شئون الهيكل، مما جعل الشعب في ثورات دائمة من جماعة تسمى الغيوريين. وأما الفريسيون فقد كانوا ينادون بالانعزال عنهم.

وظل الحال بهذه الصورة إلى أن جاء السيد المسيح له المجد. وكان الشعب مع كل مشاعر الضيق والاضطهاد والذل يطلب بإلحاح أكثر مجيء المخلص، حتى أنهم أدخلوا في الصلوات الطقسية طلبات وصلوات لمجيء المسيح المخلص.

وهكذا أصبح التاريخ أداة ضغط على مشاعر الشعب ليجعلهم ينحصرون أكثر فأكثر في فكرة واحدة فقط، هي مجيء المخلص وطلب المسيا في كل وقت. ولكن للأسف مع كل هذا حينما جاء السيد المسيح له المجد رفضوه لأنه لم يحقق لهم حلم الأرض والمملكة الوطنية، والمكاسب التي تنحصر في الماديات.

☆رؤية تدبير الخلاص في الأزمنة التى سبقت مجيء السيد المسيح له المجد مباشرة

لقد استخدم الله كل الظروف لتهيئة العالم والإنسان للخلاص. فالتاريخ والفكر والثقافة والحرب والسلام والملوك والسياسات، كل ذلك كان بمثابة أدوات صنعت طريقاً ممهداً يعرف فيه العالم مسيحنا المخلص. فآلاف السنين قد مرت لتهيئة الإنسان إلى طريق الخلاص وليرجع إلى الحياة.

وها هو الزمان يقترب، والخيوط تتجمع من العالم المشتت بعد برج بابل وانفصال العالم إلى أمم منفصلة ولغات وثقافات مختلفة. وهذا كله يتجمع قبل مجيء السيد المسيح ليذوب الكل في الاحتياج الكائن في

أعماق الإنسان منذ السقوط صارخاً طالباً التجسد والفداء . وكأن هذه هي حالة ملء الزمان التي كانت لابد أن تسبق مجيء السيد المسيح له المجد .

ولما كان اليهود هم مركز الإعلانات والنبوات، فقد كان لابد أن يعرفهم العالم كله ويختلط بهم، فرأينا مكانهم في قلب العالم. ثم جاءت إمبراطوريات من شرق الأرض لتتصارع عليهم، مثل أشور وبابل وفارس، وكانت كل أمة تدخل وتعرف إله إسرائيل الممجد وتختبر شيئاً من معرفته وقوته. ثم جاءت إمبراطوريات غرب العالم لتعرف أيضاً إله إسرائيل. فاليونان والرومان دخلوا أورشليم وعن قرب عرفوا إله إسرائيل، فرأينا بطليموس يُترجم العهد القديم ويقدسه، ووجدنا بومباي الروماني يطلب أن يعرف عنه أكثر ويدخل إلى الهيكل ليُخبر به روما .

وذلك كله كان تمهيداً لمجيء السيد المسيح له المجد . وكأن كل أمة حينما تدخل وتعرف الإله العظيم في أورشليم كانت تسألهم أيضاً : لماذا ترككم هكذا؟ فتكون الإجابة: لأننا تركناه وعصيناه ولكننا ننتظر المسيح المخلص حسب الوعود والنبوات.

والآن أسوق إليك – عزيزي القارئ – صورة تدبير الخلاص في تهيئة العالم كله كمناخ عام يقبل السيد المسيح له المجد، حينما يأتي ويستعلن للعالم كله شرقاً وغرباً.

◆ وحدة العالم

قبل مجيء السيد المسيح له المجد بثلاثة قرون كان العالم كله ممزقاً في صورة شعوب وأمم متحاربة، فملوك آشور وبابل وفارس لم تستطع أن تذيب العالم كله في إمبراطورية واحدة، ولكن كل ما فعلته هذه الأمم هو أنها فرضت سلطانها على الشرق فقط. ولكن الغرب كان منفصلاً سياسياً، وكان الارتباط الوحيد بين الشرق والغرب هو التجارة فقط. وبالتالي كانت الأفكار والديانات منفصلة. فإذا جاء السيد المسيح في الشرق لن يشعر به الغرب.

إذاً كان لابد أن يكون العالم وحدة واحدة، حتى يمكن أن يكرز بالسيد المسيح المخلص في العالم كله ويكون المناخ مهيئاً للإيمان به. لذلك شهدت الثلاثة قرون التي سبقت الميلاد وحدة سياسية في العالم كله. فلقد جاء الإسكندر الأكبر ليصنع عالماً يونانياً له تأثير على كل الأرض، ليس عسكرياً فقط بل ثقافياً وحياتياً أيضاً. وبعدهم جاء

الرومان لتكتمل صورة العالم الواحد . هذا الذي أدى إلى قبول فكرة المخلص الواحد للعالم كله، والكنيسة الواحدة الجامعة التي لا تعرف التحزب لبلد أو جنس أو لون. وبعدما كان العالم أمماً منفصلة بعد حادث برج بابل، أصبح في العالم – بفضل الرومان – شبكة للطرق تربط كل بلاد العالم، مما سهل الكرازة بالسيد المسيح له المجد فيما بعد .

✍ وحدة اللغة والثقافة

وقد كانت هناك عقبة أخرى أمام الكرازة بالمخلص، وهي اللغة. إذ كيف يعرفه العالم وهو ممزق بين لغات وأفكار وثقافات مختلفة، وظل هكذا إلى أن تم اجتياح ثقافي يوناني. فأصبحت كل الشعوب تعرف اليونانية بعدما نشر الإسكندر المقدوني الثقافة اليونانية في كل العالم. وأصبحت هذه هي لغة العالم المثقف والمفكر، وهؤلاء هم الذين يملكون التأثير على فكر الشعوب. وانتشار الثقافة اليونانية بفلسفتها وأفكارها هيأت العالم للبحث في الأمور الفلسفية، تلك التي كانت تحاول التفكير في أمور خمسة هي :

الله – الإنسان – الكون – الوجود والمصير – الأخلاق

وهذا دفع الإنسان في العالم كله إلى ترديد بعض الأسئلة عن الحياة والموت. والحقيقة لم يجد أحد أي إجابة إلا في المسيح يسوع؛ لذلك نسمع بيلاطس يسأل السيد المسيح:

"ما هو الحق؟!" (يو ١٨: ٣٨)

فقد أصبح الجميع يفكر بمنطق فلسفي نتيجة اجتياح الثقافة اليونانية لكل العقول.

ﻉ وحدة الاحتياج إلى السيد المسيح له المجد

بعدما انتشرت الإمبراطورية الرومانية بدأ عهد يسميه المؤرخون عهد السلام الروماني. حيث اختفت الحروب منذ تولي "أغسطس قيصر" عرش روما. وبذلك تفرغ العالم بعد الصراعات الدموية إلى التفكير في الأمور الميتافيزيقية أي الأمور العالية أو ما وراء الطبيعة أو فوق المحسوسات.

إلا أن الثقافة اليونانية وفلسفاتها لم تعد تفي باحتياج البشر وتساؤلاتهم الكثيرة. فلم تعد الأساطير تكفيه ليروي بها ظمأ المعرفة، ولم تعد مقنعة لعقله، ولم تعد الآلهة الوثنية الحجرية، والآلهة الرمزية كافية لإشباع الروح. وعلى مستوى العالم كله فقد اهتزت عروش كل

الآلهة في الفترة التي سبقت مجيء السيد المسيح مباشرة. فعلى مستوى الآلهة التقليدية في بلاد الشرق مثل فارس وأشور وبابل والفراعنة، قد تصاغر هؤلاء في أعين شعوبهم بعد اجتياح الإسكندر للعالم، ثم الرومان مما جعلهم يشعرون بأن آلهتهم لم تعد قادرة على حمايتهم فتركوها.

وفي اليونان حيث الإشعاع الفلسفي، والهالة الكبيرة التي وضعوها على آلهة اليونان التقليدية، هذه أيضاً اهتزت، فقد كانوا يؤمنون حسب الأساطير القديمة أن هذه الآلهة تعيش في مجتمع فوق جبال الأوليمب. فقد استطاع اليونانيين أن يتسلقوا الجبل، ولكنهم لم يجدوا هذه الآلهة، فلم يروا هوميروس ولا هذيود ولا جوبيتر ولا زيوس، تلك الآلهة التي كانوا يوقرونها جداً. فارتدوا إلى انحطاط خلقي، وسادت نزعة عبثية في اليونان، والذي تمسك بهذه الآلهة لم يعد يعطيها قدرها السابق. بل بدءوا ينادون بالإله المجهول الذي وجد معلمنا بولس الرسول له مذبحاً في أثينا وقال لهم:

"إنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه: لإله مجهول. فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أُنادى لكم به" (أع ١٧: ٢٣)

وعلى مستوى آخر نجد العالم الروماني المليء بالقساوة والكبرياء والشر والشذوذ، نشر جواً من الاستياء العام من آلهة الرومان عند الأمم. ومع فشل الفلاسفة في تغيير الحياة وإعطاء الأمل في حياة أخرى، تطلع إلى وحدانية الفكر والديانة، وبحثوا عن الإله الواحد خالق السماء والأرض. بل نادى المفكرين بمقولة مشهورة هي: **"عالم واحد أو لا عالم على الإطلاق."**

وتعالت أصوات المطالبين بتغيير حياة العالم والإنسان، وظل الإلحاح شديداً لمن يأتي ويغير حياة البشر. ومن يعطي للإنسان وجوده الخالد. لذلك انبهر العالم اليوناني بالمسيحية لأنها أشبعت احتياجه، وأعطت جواباً لكل اشتياقات الفكر والروح. وانبهر العالم الروماني أيضاً بالسيد المسيح له المجد إذ وجد فيه احتياجهم لقوة الروح التي هي أعلى وأعمق من قوة الجسد والحرب. وتهاوت أمام المسيحية كل فلسفات العالم وآلهة الأمم لأنها لم تشبع الإنسان.

وقد كان لانتشار اليهود في بلدان العالم كله أثر هام فقد انتشر معهم أيضاً فكرهم الديني وعرف العالم الإله العظيم مما كان له الأثر في انهيار الديانة الوثنية هناك. فالوحدانية أصبحت منطقاً فلسفياً

وأصبحت الفلسفات الأخلاقية مثل الرواقية والأفلاطونية تنادي بالحب والتسامح مما هيأ العالم لاستقبال المسيحية بمبادئها السامية.

۞ اليهود الذين في الشتات

هؤلاء هم اليهود الذين تشتتوا في العالم عبر تاريخ اليهود منذ سبي أشور لإسرائيل والذين عاشوا خارج المملكة، وأصبحت لهم حياة أخرى في مجتمعاتهم الجديدة ولكنهم ظلوا متمسكين باليهودية. فكوَّنوا مجتمعات صغيرة بمثابة كرازة وتهيئة لهذه الأمم، ومن خلالهم عرف العالم المخلص المنتظر حسب نبوات الأنبياء.

وقد كان هؤلاء اليهود مشتتين في أماكن كثيرة من العالم، حتى أنه في القرن الخامس قبل الميلاد كان إله إسرائيل يُعبد في بابل ومصر من خلال عائلات هاجرت إلى تلك الأماكن. ففي مصر استقروا في المنطقة المعروفة بجزيرة فيلة في جنوب مصر، ومع مرور الزمان ازداد هذا الانتشار في العالم كله حتى أنه عام ١٣٩ ق.م أجبرت السلطات الرومانية اليهود المقيمين في روما على مغادرتها بتهمة تدنيس الأفكار الرومانية لانتشار عبادة إله إسرائيل.

وفي عام ١٠٣ ق.م انتشرت عبادة إله إسرائيل في مملكة أديابيه وهي إحدى ولايات أشور القديمة على نهر الزاب شرقي دجلة. وقد دخلوا جميعاً في العبادة اليهودية بما فيهم الملك واختتنوا وحافظوا على الناموس اليهودي. وكتب **المؤرخ الروماني "سترابو"** عن اليهود في عصر أغسطس قيصر يقول: "وقد انتشروا في كل البلدان ولا يخلو مكان في العالم منهم".

وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة انتشار اليهودية في العالم إذ اكتشفوا حتى الآن مائة وخمسين موضعاً يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد كانت منتشرة فيها الحياة اليهودية، مثل سوريا وما بين النهرين وفرنسا وإسبانيا وشمال أفريقيا، ويؤكد لنا سفر أعمال الرسل هذه الحقيقية.

"فكان يُكلم في المجمع اليهود المتعبدين، والذين يُصادفونه في السوق كل يوم" (أع ١٧: ١٧)

وأيضاً:

"وكان يُحاج في المجمع كل سبت ويُقنع يهوداً ويونانيين" (أع ١٨: ٤)

وفي الإسكندرية وصل تعداد اليهود في عصر الإسكندر الأكبر مائة ألف يهودي. ويقول التاريخ أنه حينما تُرجمت التوراة وقُدمت إلى بطلميوس، فإنه أبدى استحسانه وسجد للمخطوط ووضعه في المكتبة. مما يعكس لنا تقدير العالم كله للديانة اليهودية. وهذا الانتشار يُبين لنا التهيئة التي تمت من خلال هؤلاء المشتتين في العالم كله، إذ عرفوا من خلالهم إله إسرائيل والمسيح المنتظر منهم حسب النبوات التي لهم.

الأحزاب اليهودية

لقد استخدم الله كل ما في العالم والمجتمع اليهودي لعمله الخلاصي. فحتى انقسامات الشعب إلى أحزاب كان له عمل استخدمه التدبير في خلاص الإنسان. فلقد انقسم المجتمع اليهودي إلى أحزاب منها من له انتماء يوناني مثل الصدوقيين، وأخرى متمسكة بالناموس متحفظة جداً ضد كل ما هو أممي، مثل الفريسيين. وكان لذلك أهمية كبرى في تحقيق الخلاص. فقد كان لابد أن يتم عمل الاتجاهين في نفس الوقت. فلابد أن ينفتح اليهود على الأمم لكي تعرف الأمم المسيح المنتظر، وكان لابد أيضاً ألا تضيع أساسيات المجتمع اليهودي ولا تتسرب الأفكار والعادات الأممية إلى الحياة اليهودية، حتى لا يتأثروا وتذوب الرموز في الصورة الجديدة، فحينما تتحقق في المسيح نجد من يعرفها ويؤمن بتحقيقها.

☆ الأسفار التى تغطـــي هذه المرحلة

ويستكمل الوحي صورة تدبير الخلاص من خلال أسفار تاريخية هي :

☜ **عزرا:** وفيه استكمال التدبير رغم حالة الشعب ورغم الأحداث السياسية. فنرى رجوع الشعب وبناء الهيكل ليبدأ الله معهم مرحلة جديدة من تدبير الخلاص.

☜ **نحميا:** ويتكلم عن تنظيمات الشعب الراجع، وكيف قام المجتمع اليهودي من جديد ، وكيف حافظوا على هويتهم كشعب الله.

☜ **أستير:** وهي قصة حدثت أيام السبي ولكن لها قصد رائع أراد الله أن يسوقه لنا ، وهو أنه رغم السبي والعبودية، إلا أن الله كان مع شعبه ولم يقف عمله الخلاصي على مكان معين ولا أشخاص معينين، فهؤلاء الذين يطلبونه يجدونه.

☜ **المكابيين الأول والثاني:** ويحكي لنا الصراع الذي تم بين الشعب اليهودي واليوناني على المقدسات وعبادة الله والهيكل، وكيف حافظ الله على شعبه وأعطى الانتصار لهم. وطهر المملكة من النجاسات الخاصة بالعبادة اليونانية وحفظ الهيكل والناموس. كما كان كتمهيد لظهور

المخلص. ويكمل لنا التدبير حالة الشعب قبل مجيء السيد المسيح ليصف لنا المناخ الخاص بالخلاص قبل المجيء.

☜ **يهوديت:** وهو سفر يحكي عن قصة حدثت أيام الاضطهاد اليوناني ويبين ثبات الشعب وأمانته مع الله رغم كل الظروف.

وقد كان لابد أن يسجل الوحي في هذه المرحلة أسفاراً للحكمة التي تسجل انطباعات الشعب ومشاعره المقدسة أمام عمل الله المتجدد بعد السبي. وكما كتب داود النبي وسليمان الحكيم مشاعر الإنسانية المقدسة التي تعلن إرادة الإنسان أمام عمل الله، والتي تبين أيضاً محبة الإنسان لهذه الحياة التي أرادها الله. فإنه في هذه الفترة وبعد مرحلة الارتداد التي كانت قبل السبي قدم حكماء إسرائيل مشاعرهم مصاغة في سفر:

☜ **يشوع بن سيراخ:** وهو سفر قدمه الكاتب ليحافظ على هوية الشعب اليهودي وسط عالم متقلب، مبيناً جمال وروعة الحياة مع الله.

وأخيراً...

☜ **أسفار النبوات:** وهي النبوات التي أرسلها الله في بداية هذه المرحلة منها أسفار النبوة التي كانت في أيام السبي مثل دانيال وحزقيال.

ومنها أسفار النبوة التي كانت ما بعد السبي وهي : حجي – زكريا – عوبديا – ملاخي .

وبعد ملاخي صمتت السماء مدة أربعمائة عام ليرهف الجميع أذنيه، ولترتفع العيون مشدودة نحو السماء ، انتظاراً لأي صوت يتكلم باسم الرب، أو أي عمل يكون من السماء . وظلوا هكذا يراجعون النبوات وينظموها ويضيفون إلى الطقوس الجماعية طلبات خاصة بمجيء المخلص حتى امتلأت الحياة اليهودية بأشواق الانتظار للمسيح المخلص. وكانت أنات الشعب تصرخ نحو السماء تطلب المسيح فالكل ينظر إلى السماء وينتظر الخلاص، وأفكارهم تطوف النبوات منتظرين مشتهى الأجيال الذي تكلم عنه الأنبياء ، ولمسوه في الرموز والطقوس وظلوا هكذا إلى أن جاء السيد المسيح له المجد .

كل هذا عزيزي القارئ قد اجتمع معاً في تكامل عجيب من التاريخ إلى الفكر إلى السياسة، ومن الحياة الفردية إلى الانتقالات الجماعية بين الشعوب، **لتدق أجراس الزمان أمام عيون العالم كله، معلنة عن ملء الزمان لمجيء المخلص المنتظر ربنا يسوع المسيح له المجد .**

صلاة

هيا يا أحبائي...

نشارك الملائكة في تسبيح اللـه

على محبته ورحمته،

تعالوا نخرج للطبيعة الصامتة،

ونحكي لها عن عمله معنا،

تعالوا نُكرِّس له الحياة،

القلب والفكر والإرادة.

إذ أنه صنع أعمالاً عجيبة لأجلنا،

إذ أنه جمع أشلاء جسد الإنسانية

المتناثر من حربة إبليس،

ثم عاد ليُعطيه الحياة والوجود،

فأخذنا الحياة من جديد

بعدما كان الموت هو مصيرنا.

نعم يا رب...

فلولا يداك التي أعادت لنا

الحياة من جديد...

بتدبيرك الرائع...

لصارت حياتنا الآن...

معنى مكسوراً ...

وغاية لم تتحقق...

آمين...

الفصل السابع

الملكوت الحقيقي للإنسان في الإنسان

المرحلة السادسة

"من مجيء السيد المسيح إلى صعوده"

- التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة
- السيد المسيح هو مشتهى العهد القديم
- السيد المسيح في العهد الجديد
- قانون الخلاص في العهد الجديد
- أسفار العهد الجديد التي تتكلم عن هذه المرحلة

❖المرحلة السادسة

من مجيء السيد المسيح إلى صعوده

☆ التدبير الإلهي والقصة الإنسانية لهذه المرحلة

وبعد زمان الضيق الذي مر على الإنسان منذ أن سقط، جاء زمان الفرح. وبعد زمان عبودية الشر وسلطان الظلمة، جاء زمان حرية المجد وملكوت النور.

بعد زمان الرمز والغيمة والحجاب الفاصل بين المقدسات والإنسان، جاء زمان الحقيقة والرؤية الواضحة لله، وسقوط الحجاب وانفتاح السماء على الأرض.

لقد ظلت البشرية آلاف السنين في حزن وجهل وعبودية، إلى أن جاء المخلص الذي به تجددت طبيعتنا من جديد. ولقد ظلت صورة الكون كله مشوهة وبلا جمال، إلى أن جاء السيد المسيح له المجد ليعطي الصورة جمالها المفقود ويرفع اللعنة عن الكون كله. فالسنون التي كانت قبل الميلاد كان التدبير الإلهي يحاول أن يدرك الإنسان في حالة تجعل العلاقة معه ممكنة، إلى أن يأتي السيد المسيح الذي فيه يتم

تغيير إمكانيات البشر الروحية، ومن خلاله يعمل الروح القدس في الإنسان من جديد، ليصير ملكوته ويرجع إلى صورته الأولى.

لقد كان هدف التدبير في كل المراحل السابقة هو عمل حالة مؤقتة للملكوت الأرضي على مستوى رمزي، يمكن لله من خلاله أن يحل ويتواجد مع شعبه، ولكن كان هذا دون أن يتحد به الشعب حقيقة، بل ولا يمكن أن يقترب من مكان حلوله. فالحجاب يفصل بين القدس ومكان تواجد الإنسان، ولا يمكن لأحد أن يقترب أو يلمس تابوت العهد. وكان هناك عدد لا حصر له من النواهي والأوامر في طريق الشعب مع الله.

ولكن الآن في هذه المرحلة لقد نزل الله ذاته إلى الأرض وتجسد، فالذي كان يحل في التابوت، ولا يمكن لأحد أن يلمسه أو يفكر أن يراه حل في الناسوت ومشى وسط الناس ولمسه البشر، بل وقدم ذاته للموت، ليرفع الحكم الصادر ضد الإنسان. وليكون هو الذبيحة التي تفي عدل الله، ويكون هو موضوع الحب، الذي من خلاله نذوب جميعاً ونتواجد فيه لنتحد مع الله، فنحيا من جديد.

لقد أعاد لنا الرجاء في الحياة مرة أخرى

فالسيد المسيح لـه المجد هو هدف كل تدبيرات الخلاص التي دبرها الله منذ أن سقط الإنسان. لذلك نرى في العهد القديم تاريخ لم يكتمل إلا في المسيح، والنبوات تظل منتظرة التحقيق والإتمام وبلا معنى، إلا في المسيح.

وهكذا لا نفهم الغاية ولا المعنى ولا الطريقة التي قصدها الله في تاريخ الخلاص إلا بالمسيح. ويقول معلمنا بولس الرسول في ذلك:

"بل أُغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرٌقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير مُنكشف، الذي يُبطل في المسيح"
(٢كو ٣: ١٤)

ويقول أيضاً:

"غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن"
(رو ١٠: ٤)

نعم إن الصورة الكاملة للعهدين تعكس لنا روعة التدبير، فالعهد الجديد لا ينقض القديم بل يُكّمله ويُظهر جماله وقوته.

"لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأُكمل" (مت ٥: ١٧)

فالجديد إذن هو أعماق القديم، والقديم بدونه لا يعني شيئاً، وكأنه الظل بالنسبة للحقيقة، فإعلان الحقيقة لا تعني إذن زيف الظل، بل إن إعلان الحقيقة يجعلنا نفهم ما هو حقيقة الظل.

☆ السيد المسيح هو مشتهى العهد القديم

ويأتي العهد الجديد الذي بدأ بميلاد السيد المسيح له المجد وفيه تم كل الناموس والنبوات، وعاش كإنسان ليحقق للإنسانية – ويضيف إلى رصيدها الروحي – إمكانيات الحياة المقدسة. ثم أظهر ذاته للشعب الذي في الجليل أولاً، ثم في اليهودية وأورشليم، ثم أعلن ملكوته الذي تحقق بالصليب والفداء، وقام ليُعطي الإنسانية قيامتها من الأموات، وصعد ليفتح السماء أمام طبيعتنا، وأرسل لنا روحه القدوس الذي يوحدنا به ويجعلنا سماءً له، وعرشاً لمجد لاهوته. ففي العهد الجديد يستعلن السيد المسيح كملك يعطي شعبه الحياة، وتحققت فيه نبوات ملكوت الله التي رسمها بدقة لأنبيائه عبر تاريخ العهد القديم، التي كانت صورته في النبوات هي:

٥ ملكاً مخلصاً ومحيياً

هكذا يراه إشعياء النبي:

"الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور. أكثرت الأمة. عظمت لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد. كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة. لأن نير ثقله، وعصا كتفه، وقضيب مُسخره كسرتهن كما في يوم مديان. لأن كل سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء، يكون للحريق، مأكلاً للنار. لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدُعى اسمه عجيباً، مشيراً إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام" (إش ٩: ٢-٦)

إذاً هو المولود ذو الاسم العجيب الذي يحمل الرئاسة لأنه مصدر الحياة والميلاد الجديد للإنسانية كرئيس للسلام والمصالحة، وهو إذاً ويا للعجب الإله القدير.

وظلال الموت تعنى أن كل من يولد يحمل ظل الموت، ثم يأتي من يشرق فيهم حتى يرفع عنهم ظلال الموت. ومتى يتم هذا الحل؟ إلا في المسيح الذي هزم الموت وقام من الأموات.

وهذه النبوة قيلت القرن الثامن قبل الميلاد . ويوجد لدينا مخطوطات وادي القمران التي اكتشفت القرن الماضي به مخطوط لإشعياء النبي يرجع تاريخه لعام ٢٥٠ ق.م.

وأيضاً يراه إرميا النبي هكذا :

"ها أيام تأتي، يقول الرب، وأُقيم لداود غُصن بر، فيملك ملك وينجح، ويجري حقاً وعدلاً في الأرض. في أيامه يُخلَّص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمناً، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب برنا. لذلك ها أيام تأتي، يقول الرب، ولا يقولون بعد: حي هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل من أرض مصر، بل: حي هو الرب الذي أصعد وأتى بنسل بيت إسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الأراضي التي طردتُهم إليها فيسكنون في أرضهم" (إر ٢٣: ٥-٨)

فهو إذاً المخلص الذي يمنح البر لشعبه.

۞ ابن داود

كانت النبوات ترسم بدقة شخص ربنا يسوع المسيح فيقول في سفر التكوين:

"لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب" (تك ٤٩: ١٠)

والترجمة الدقيقة لكلمة "شيلون" هي "الذي هو بحق يكون له السلطان"، أي إنه هو الوحيد الذي يملك هذا السلطان، فكل الملوك وكل من يحمل سلطان ليس من نفسه. أما المسيح فهو الملك الحقيقي الذي له سلطان على كل شيء. ورسمت النبوات ملامح الرب يسوع فقالت إنه سيأتي من نسل داود:

"ويخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غُصن من أصوله" (إش ١١: ١)

وأيضاً:

"في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أُنبت لداود غُصن البر، فيُجري عدلاً وبراً في الأرض" (إر ٣٣: ١٥)

وكلمة غصن لها أكثر من كلمة في العبري، لكن الكلمة التي اختارها الوحي الإلهي هنا هي (Nazareth) التي منها الناصرة، لأن السيد المسيح دعي ناصرياً.

"وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء: "إنه سيدعى ناصرياً" (مت ٢: ٢٣)

وأيضاً يقول في سفر حزقيال:

"وداود عبدي يكون ملكاً عليهم، ويكون لجميعهم راعٍ واحد، فيسلكون في أحكامي ويحفظون فرائضي ويعملون بها" (حز ٣٧: ٢٤)

وتعطي لنا النبوة في إشعياء صورة أقوى فيقول:

"ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٤)

وهناك أكثر من كلمة للفظ العذراء، اللفظ الأول يأتي بمعنى "فتاة صغيرة" ولكن يمكن أن لا تكون عذراء، واللفظ الثاني "بتولة" وهي تعني فتاة غير متزوجة ولكن تكون كبيرة في السن، ولكنه اختار لفظ "ألما" التي تعني فتاة صغيرة غير متزوجة، حتى يصف بدقة شديدة من ستكون

أم المسيح وكانت هي مريم العذراء. وتقترب النبوات أكثر في تحديد تجسد الرب فيقول في المزمور الثاني:

"لماذا ارتجت الأمم... قال لي: "أنت ابني، أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك"
(مز ٢: ١، ٧، ٨)

وداود النبي لم يأخذ الأمم ميراثاً، ومن أهمية هذه الآية استخدمها معلمنا بولس الرسول أكثر من مرة:

"إن اللـه قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك"
(أع ١٣: ٣٣)

"لأنه لمن من الملائكة قال قط: "أنت ابني أنا اليوم ولدتك"؟"
(عب ١: ٥)

"كذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له: "أنت ابني أنا اليوم ولدتك" (عب ٥: ٥)

لأن السيد المسيح له ميلادين، ميلاد أزلي لاهوتي كياني فهو الابن المولود من الآب، لفظ "آب" يعني نبع، ولفظ "ابن" يعني الذي يحمل

نفس الطبيعة. ونحن نؤمن بأن الآب والابن والروح القدس كيان واحد، الابن الذي يولد من الآب يولد كيانياً مثل ميلاد الكلمة من العقل في الداخل دون انفصال، وهو مساوي للآب في كل شيء فهو إله حق من إله حق. والميلاد الثاني هو ميلاده بعد التجسد في الزمن، لذلك كلمة "يوم" تعني زمن، كما قال المسيح للسامرية:

"ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق" (يو ٤: ٢٣)

وتقول النبوة "أنا اليوم ولدتك" وهذا يعني دخول الكلمة المتجسد في الزمن، وحلوله في أحشاء العذراء فصار الكلمة اللوغوس مولوداً في الزمن. لذلك هذه الآية تصف عمل التجسد الإلهي فقد قالت النبوة "أنت ابني" وهذا هو اللاهوت، و"أنا اليوم ولدتك" تعني عمل التجسد الإلهي فوجود السيد المسيح لاهوتياً سابق لعمل التجسد.

۞ يولد في بيت لحم

وتأتي النبوة لتحدد أين يُولد أيضاً :

"أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخا ٥: ٢)

فهو الملك الذي لابد أن تستعد له الأرض حينما يأتي .

۞ يحكم بالعدل وسلطانه أبدي على العالم كله

ولأنه الملك الحقيقي فلابد أن تأتي النبوة لتخبرنا عن ملكوته الجديد ، وسمات الحياة معه لنشتاق إلى مجيئه والحياة معه :

"هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يُطفئ. إلى الأمان يُخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته. هكذا يقول الله الرب، خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، مُعطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحاً: أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون

العمي، لتُخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة. أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أُعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أُعلمكم بها" (إش ٤٢: ١-٩)

فحينما يأتي شخص يخلق عينين لأحد، ويحول الماء إلى خمر، ويمشي على الماء، ويغفر خطايا، ويقيم أموات، ويقيم لعازر بعدما أنتن وظل في القبر أربعة أيام، كل هذا لا يفعله سوى الإله فقط، لذلك هو قال مجدي لا أعطيه لأخر، فلا يمكن أن يكون هناك من يحمل سلطان وقوة وعمل الإله ولكنه ليس إلهاً، ولكن يمكن أن يتجسد الإله وهذا ما حدث.

الملك يعلن مملكته في أورشليم

وتحدد النبوات صورة إعلانه لملكوته. إذ يدخل أورشليم ملكاً ولكن وديعاً، لذلك نراه يدخل على حمار وجحش ابن أتان:

"ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكُك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع، وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان" (زك ٩: ٩)

◄ سيتألم ويموت من أجل شعبه

ونأتي إلى أعظم صورة وأقوى نبوات، وهي نبوات الألم والصلب والفداء. فهو الذي تكلمنا عنه ورأيناه في النبوات، الإله المتجسد، والملك الذي جاء ليُعلن ملكوته، يُصلب ويُهان ويموت. ولماذا؟ حسب النبوة كي يحمل أوجاعنا ويشفع في المذنبين:

"مَنْ صدق خبرنا، ولمن استُعلنت ذراع الرب؟ نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة، لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومُختبر الحزن، وكمستر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا. كلُنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفي جيله مَنْ كان يَظن أنه قُطع من أرض الأحياء، أنه ضُرب من أجل ذنب شعبي؟ وجُعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش. أما الرب فسرُ بأن يسحقه بالحزن، إن جعل نفسه

ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح. مِنْ تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يُبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يُقسم غنيمة، من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصى مع أثمه، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين" (إش ٥٣: ١-١٢)

وحين استعلن الثالوث وقت المعمودية قال الآب:

"هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"
(مت ٣: ١٧)

والسرور هنا يعني اكتمال التدبير. كما كان يقول الوحي عند الخليقة:

"ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً"
(تك ١: ٣١)

وهذا التدبير الحسن قد كسر بخطية آدم، أما هنا على الصليب فالآب سر أن يسحقه لأن الصليب أتم التدبير والصلح. وهذا هو السرور الذي به أعيدت صورة التدبير الحسن. هذا هو الإله المتجسد الذي جاء بكل حب كما قال السيد المسيح:

"ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه"

(يو ١٥: ١٣)

ويقول معلمنا بولس الرسول:

"لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"

(رو ٥: ٨)

☆ السيد المسيح في العهد الجديد

وبالرغم من قوة النبوات ووضوح الصورة التي أعلنتها السماء لنا إلا أنه لا توجد كلمات تكفي لوصفه حين جاء وتجسد. فالكلمات قاصرة، والمعاني سطحية، أمام شخصه المبارك وقوة عمل لاهوته، ورقة مشاعره التي قدمها للإنسانية، هذا ما نراه في العهد الجديد. فلقد وصفه البشيرون لنعرف مسيحُنا وحبيبنا وصديقنا الذي انحنى لكي يرفعنا. فلقد كانت صورته الجبارة التي تكلمت عنها النبوات على مملكة الشر، وخلاصه وانتصاراته ليست على مملكة أرضية ولكن على مملكة إبليس، وقوته وغلبته ليست للحياة الأرضية ولكن كانت على الموت. وهذا لم يفهمه اليهود. فلقد تصوروا أن هذه النبوات الخلاصية عن الأوطان

الأرضية، والملك الزمني. وعندما وضح لهم السيد المسيح ذلك رفضوه، وأسلموه ليُصلب عندما قال لهم:

"مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خُدامي يجُاهدون لكي لا أُسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا" (يو ١٨: ٣٦)

يا للمحبة الفائقة...

فبأي كلمات نصف مشاعرنا التي لحبيبنا وإلهنا،

فالبشرية لم تقدر حتى

أن تفكر في الاقتراب من مجده،

أما هو فقد تنازل ليصير واحداً معنا،

وصار ملكاً لا على العروش الذهبية،

ولكن على القلوب اللحمية.

يا للعجب...

إله الحياة تجسد ليأخذ طبيعتنا

واحتضن موتنا، لتنساب في جنسنا الحياة التي فيه ومنه...

☆ قانون الخلاص في العهد الجديد

١. ليتحد بطبيعتنا لإعادة خلقتنا

الله الكلمة، الابن الأزلي، نزل من السماء كما في النبوات واتحد بطبيعة الإنسان (الناسوت)، ولكن بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. أي لم تختلط الطبائع ولا امتزجت ولا تغيرت. وبهذا تصالحنا مع الله في ذاته. فيقول معلمنا القديس بولس الرسول:

"لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء، وأن يُصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلُح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان: ما على الأرض، أم ما في السماوات" (كو ١: ١٩، ٢٠)

ويقول أيضاً:

"أي أن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة" (٢كو ٥: ١٩)

وهذا هو هدف عملية التجسد والفداء، أن الله تجسد ليتحد بنا ويعيد تشكيل طبيعتنا من جديد فيه، وبموته وقيامته فتح لنا طريق الحياة الأبدية. **فيقول القديس البابا أثناسيوس الرسول:** "وإن تلطخت الصورة المرسومة ... فلابد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكي يساعد

الرسام على تجديدها على نفس اللوحة". **ويقول أيضاً**: "الجسد الترابي أخذ الشركة في طبع الكلمة". **ويقول القديس هيلاري**: "هذه أسرار المشورة السمائية التي تحددت قبل إنشاء العالم. كان ينبغي أن ابن الله الوحيد يصير إنساناً بإرادته لكي يستوطن الإنسان في الله إلى الأبد فقد تجسد لكي يأخذنا في نفسه." **ويقول القديس كيرلس الكبير**: "أنه يوحد نفسه بواسطة نفسه البشرية مع الله، فقد صار حلقة الوصل لأنه يجمع في نفسه الطرفين الذين يسعيان نحو الوحدة".

٢. يكمل الطاعة ليرفع عنا صورة العصيان والعداوة القديمة

يقول القديس أمبروسيوس: "باحتمال المسيح للموت أهان الموت لأنه هو القادر أن يعيد فساد طبيعتنا إلى حالها الأول باتحادنا به". فالبشرية كلها صارت ممثلة فيه لذلك أطاع الآب في كل شيء، لأنه كان يمثلنا.

فإن البشرية قد فشلت في كل زمانها أن تكمل تدبير الطاعة للآب. وكان العصيان مصاحباً لكل فصول قصة حياة الإنسان منذ آدم إلى عهد الناموس. لذلك جاء المسيح له المجد ليُكمِّل تدبير الطاعة أمام الآب،

كي تحيا البشرية من جديد بطاعة الابن للآب عنا . ومن خلال هذا يكون هناك إمكانية للخلاص بهذه الصورة وبهذا الرصيد الروحي .

ويقول القديس إيريناؤس : "لأنه يوجد ابن واحد يتمم مشيئة الأب، وجنس بشري واحد تتمم فيه أسرار الله ولا نستطيع أن نفحص حكمة الله التي بها يوصي جُبلته إلى الكمال بواسطة اشراكها في جسد ابنه، وتغيير صورتها إلى صورته حتى أن المولود منه ابنه البكر الكلمة ينزل إلى الخليقة، أي إلى الجبلة فيحتويها في نفسه ... ويصعد بها إلى نفسه ويجعلها تنطلق فوق الملائكة فتصير على صورة الله ومثاله ."

ويقول القديس هيلاري : "البشرية كلها كانت في المسيح بواسطة ناسوته، والمسيح موجود الآن في البشرية كلها بواسطة لاهوته" . كل هذا ليصنع إنساننا الجديد الذي فيه، ليُدخلنا إلى أسراره فنحيا إلى الأبد .

ولكن لا يظن أحد إننا كنا فيه كأشخاص، بل كنا فيه طبيعة، أي أعطى قوة لهذه الطبيعة أن يعاد خلقتها ، ولكن كأشخاص تعني إني مخلص حتى قبل أن أولد وهي فكرة غير أرثوذكسية بل هي أيضاً فكرة تسقط حريتي ، فأين حرية الاختيار؟ وأين حرية الشر والخير؟ لذلك فهو قد جدد الطبيعة الإنسانية فيه فقط أي كل من يأتي ويولد منه ويتحد به

تتجدد طبيعته فيه، وهذا كي يحفظ قانون الحرية الذي خلق الإنسان عليه.

فقد قدم ذاته لكي يعطي الإنسانية الحياة الجديدة، فالمسيح له المجد قد جاء لكي يغير وجه الكون، كي يغير الحياة الأرضية، كي يصير هو مركز الحياة الجديدة ويصير العالم كله على اختلاف مؤسساته وجنسياته وأفكاره يأخذ من هذا النبع الجديد لتتغير الإنسانية ليس فقط على مستوى الصلح ولكن أيضاً على مستوى الشخصية الإنسانية.

ويقول القديس كيرلس الكبير: "الشخصية البشرية في عموميتها كانت تتشكل من جديد في المسيح"، فنجد بدل الوحشية التي في الإنسان القديم إنسانية جديدة، وبدل العداوة إنسانية تحب، وبدل صورة العبودية والشر إنسانية متحررة من الشر. وهذا الذي جعل روما في بداية المسيحية تضطهد الكنيسة لأنهم خافوا من التعليم المسيحي الذي يساوي بين العبد والسيد، فالمسيحية تُعلم أن الجميع متساويين وبل تعلم أن المحبة تصل إلى محبة الأعداء.

لذلك كان المسيح بميلاده الجديد هو عمق البشرية، وهذا الذي جعل الإنسانية في القرن السادس عام ٥٥٢م تضع مبدأ هام إن سنة ميلاد المسيح هي السنة الفارقة للبشرية، فكان ميلاد الرب يسوع علامة

التاريخ ليكون الزمن هو ما قبل المسيح، وما بعد المسيح، لأن ميلاد المسيح هو بداية الحياة الجديدة الفعلية بل بداية خلقة الإنسان الحقيقية.

٣. قدم ذاته ليُذبح فداءً عنا

وجاء المسيح أيضاً لكي يعطي الإنسانية رصيد روحي يوضع لها لكي يحفظها وينقذها من الفساد الذي عانت منه البشرية طوال هذه السنين. لذلك حينما أتى لكي يعتمد قال له القديس يوحنا المعمدان إني لست أهلاً أن أحل سيور حذائك، فقال المسيح له:

"لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر"
(مت ٣: ١٥)

هو أتى ليكمل كل بر للإنسانية. فقد جاء المسيح لكي يعطي الإنسانية في تاريخها وفي رصيدها العمق الذي كانت تحتاجه حتى تستطيع أن تستند عليه في حياتها إلى الأبد، في صلاته وصومه، في معاملاته مع الخطاة، في عمله الخلاصي على الصليب، في قيامته، وفي إرساله للروح القدس كان هذا كله لأجل الإنسانية كي يبني إنسانية جديدة.

وبعد فترة وجيزة عاش فيها بيننا على الأرض، واجتاز فيها أعماق الإنسانية، موضحاً أعماق الحياة الروحية. صعد إلى المذبح ليُقدِّم ذاته ذبيحة على الصليب، وليحمل حكم الموت أمام الآب. وكان هو الكاهن والذبيحة في نفس الوقت، وقدم نفسه إلى الموت وقام من الأموات ليقوم معه كل من اتحد به، منقذاً إياه من سلطان الموت، وليعطيه روحه القدوس، فيكون فيه سكنى الله. ويبين القديس بولس الرسول عمله الكفاري فيقول:

"الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله" (رو ٣: ٢٥)

ويقول أيضاً

"ولكن الله بَيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خُطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨)

ويقول أيضاً:

"الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟" (رو ٨: ٣٢)

"وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضَعَ نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (في ٢: ٨)

"وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً" (عب ٩: ١٢)

وبهذا تنتهي قضية الموت المؤلمة، إذ بصليبه قد تصالحنا مع السماء. وبه أصبح لنا جسارة الدخول إلى الأقداس. والحياة الأبدية مع الله. ويقول **القديس أثناسيوس الرسولي**: "ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بإرادته سمح لهم أن يقودوه حتى الموت فنرى فيه صورة لكل صلاح وخلود". **ويقول أيضاً القديس إيريناؤس**: "الخلاص هو جمع كل شيء في المسيح".

☆ أسفار العهد الجديد التى تتكلم عن هذه المرحلة

وتغطي هذه المرحلة البشائر الأربعة التي لها هدف واحد هو تقديم الخلاص للعالم كله. ولكن كل بشارة كُتبت كانت تُغطي وجهة خلاصية معينة، فتكتمل الصورة بالوجهات الأربعة:

☜ **القديس مارمتى البشير:** كتب بشارته ليقدم لنا المسيح المخلص المنتظر حسب اليهود ورسم النبوات. وهذه وجهة هامة جداً في إيماننا بالسيد المسيح له المجد، إذ نثق في لاهوته حينما نراه في النبوات.

☜ **القديس مارمرقس البشير:** قدم لنا السيد المسيح له المجد الإله القوي الذي جاء ليُنقذ البشرية بقوته وسلطانه. وهذا أيضاً جانب هام في البشارة إذ أن كل الأمم كانت تحلم بالإله القوي المخلص كما ذكرنا سابقاً.

☜ **والقديس مارلوقا البشير:** قدم لنا الفادي مخلص العالم كله والإله المتجسد الذي فتح أحضانه لكل البشر (اليهود والأمم). وليُقيم علاقة شخصية مع كل فرد يؤمن ويتحد به. وبهذا نرتبط به على مستوى شخصي ونحبه كأب وصديق ومُخلص. ففي بشارة مارلوقا

يستطيع كل منا أن يجد نموذجاً له في علاقات السيد المسيح له المجد مع البشرية التي يذكرها لنا هذا البشير.

☜ **والقديس ماريوحنا البشير:** قدم لنا الإله الكائن قبل الدهور، الذي فكر فيه كل فلاسفة العالم وحكماء إسرائيل، هذا تجسد ونزل إلينا ليُخلصنا ويرفعنا إلى مجده، وبمحبته يجذب الكل إلى الخلاص والمجد المُعد قبل إنشاء العالم. وهذا جانب مفرح ومعزي ومبهر للنفس الإنسانية.

إنها رؤية متكاملة لمسيحنا ومخلصنا، كانت لازمة للإيمان والكرازة، ولشبعنا الشخصي بالرب يسوع. ولكن لابد أن نعرف ملاحظتين ونحن نقرأ البشائر:

١. أن الأناجيل ليست بصدد تقديم سيرة شخصية للسيد المسيح له المجد، لأن هذا غير ممكن إذ أنه ليس إنساناً فقط ولكنه إلهاً أيضاً. فوصفه من الناحية البشرية لا يُعطي حقيقته الشخصية، فهو ليس مخلوقاً له بداية ونهاية نتتبع سيرة حياته ولكنه الإله الأزلي. لذلك فإن الأناجيل قدمت لنا مسيرة المسيح على الأرض وليست سيرته على الأرض، أي قدمت لنا ما فعله السيد المسيح، ولم تؤرخ

لشخصه المبارك. فصورة الأناجيل تُشبه كثيراً الأيقونات المرسومة بالكلمات للسيد المسيح له المجد.

٢. لابد أن نلاحظ أيضاً أن هناك فرقاً بين تقديم تعاليم خاصة بمذهب أو عقيدة مُصاغة بأشكال أدبية، وبين البشارة بشخص تندمج فيه كل الأفكار والمبادئ وتتحقق فيه كل النبوات وترتكز عليه كل سبل الحياة والخلاص.

وهذا هو مسيحنا

الذي صارت فيه ملامحنا،

مكتملة الوجود...

ومشاعرنا مصاغة،

بدقة في محبتنا له...

فقبل التجسد كانت مشاعر الإنسان لله

ليست لها ملامح...

وبالكاد يمكن أن نصيغ خيوط الحب،

وأما في المسيح...

فالمحبة فياضة...

والأحضان دائمة...

والاحتواء كامل...

إذ هو أبونا الذي في السموات

وكائن في عرشه الذي في قلوبنا

فمن يراه لا يمكن أن يتركه

ومن يعرفه لا يشبع إلا به

إذ في كل منا اشتياق فطري إليه

لأننا فيه نحيا ...

وبه نوجد...

وله قد خُلقنا...

الفصل الثامن

الكنيسة
ملكوت المسيح على الأرض

المرحلة السابعة

"من حلول الروح القدس إلى المجيء الثاني"

- الكنيسة هي الرجوع إلى حالة الفردوس

☆ الأسرار والخلقة الجديدة

- الأسفار التي تغطي هذه المرحلة

❖المرحلة السابعة

من حلول الروح القدس إلى المجيء الثاني

وتأتي المرحلة النهائية في تدبير خلاص البشر وهي مرحلة الخلاص في الكنيسة، حيث التمتع ببركات التجسد ونعمة الخلاص وعمل الروح القدس. وفي هذه المرحلة نجد تحقيق إرادة الله من خلقة الإنسان. فالإنسان حينما يتحد بالسيد المسيح له المجد ويحيا به على مستوى شخصي تُعاد خلقته من جديد. وبهذا يتم تحقيق قصد الله، أما خارج الكنيسة فيبقى العالم الذي لم يتجدد ولم يَخلُص.

☆ الكنيسة هي الرجوع إلى حالة الفردوس

ونرجع إلى نفس الصورة الأولى التي خلقنا الله عليها، فإن الإنسان أصبح عليه أن يختار القداسة بحرية ليحيا إلى الأبد. ولكن القداسة الآن هي المسيح ذاته فمن يختار المسيح يأخذ الحياة ومن يثبت فيه يحيا إلى الأبد.

ومرحلة الكنيسة هي مرحلة الإعلان عن الإرادة الحرة مرة أخرى، وقد أعطى الرب سلطان الكنيسة للآباء التلاميذ والرسل ونفخ في وجوههم وقال:

"اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣)

وقال أيضاً:

"دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"
(مت ٢٨: ١٨، ١٩)

وقد أمرهم بالكرازة في كل العالم وأعطاهم السلطان الكنسي. وقد قال لهم:

"وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا "موعد الآب الذي سمعتموه مني"
(أع ١: ٤)

ففي يوم الخمسين حل الروح القدس حتى يتمم عمل الكنيسة في العهد الجديد التي أصبحت تحمل كل النعم، وتحمل كل سلطان السيد المسيح

فقد أعطى سلطانه وكل ما تممه لخلاص الإنسان وتغيير الإنسانية كعمل للكنيسة حتى يتحقق قصد الله من جديد .

ولكن كل من يريد أن يدخل في تدبير الخلاص بالكنيسة لابد أن يقبل ويؤمن بسلطان الرب وبكنيسته، فالإيمان أصبح هو الذي يحدد الحرية في العهد الجديد ، هل تريد أن المسيح يخلصك؟ فيقول القديس ماريوحنا :

"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (يو ١: ١٢)

لذلك المسيحية ليست مجرد فضائل، ولكن الفضائل تكون نتائج، ولكن المسيحية هي الإيمان بالمسيح نفسه.

فالمسيحية هي اختيار أن تتحد بالمسيح، ومن خلال هذا الاتحاد تخلص ولكن قبل الاتحاد لابد أن تؤمن وهذه هي الحرية والاختيار الذي أعده الرب يسوع بالفداء والقيامة. لذلك يقول السيد المسيح له المجد :

"لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم" (يو ٨: ٢٤)

فالموت هنا لأن الطبيعة البشرية ستظل في حالة فساد وبلا حياة، فعمل المسيح له المجد ليس فقط أن يفدينا على الصليب، ولكن ليغير طبيعتنا ويدخلنا في شركة الحياة الأبدية.

لذلك الإيمان عملية هامة جداً لتغيير كيانك الداخلي، فهل تؤمن بالمسيح المخلص؟ تؤمن بالكنيسة؟ يظن البعض أن المسيحية أنك تؤمن بالمسيح فقط وهذا خطأ، بل المسيحية هي أن تؤمن بالمسيح وبطريق الخلاص الذي رسمه، الذي هو الكنيسة وبدونها لا تخلص.

لذلك في قانون الإيمان نقول نؤمن بكنيسة واحدة، وهي التي تحدد طريق الخلاص، فكيف نخلص؟ وكيف نأخذ المسيح؟ يقول معلمنا بولس الرسول:

"ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"
(أف ٣: ١٧)

فبالإيمان تنفتح طاقة العقل والنفس والروح حتى تستقبل المسيح، ويقول القديس ماريوحنا:

"وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو ٢٠: ٣١)

الإيمان بالمسيح هو المدخل لنوال كل البركات لذلك حينما تكلم المسيح له المجد مع مريم أخت لعازر قال لها :

"إن آمنت ترين مجد الله"
(يو ١١: ٤٠)

ويقول القديس بولس الرسول :

"وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى"
(عب ١١: ١)

بينما نحن لا نرى المسيح لكن نؤمن، لا نرى الأبدية ولكن نؤمن، لا نرى السماء ولكن نؤمن.

والإيمان هو المدخل إلى الكنيسة ولكن إيمان محدد، فالإيمان ليس كلمة مجردة ولكنه إيمان محدد، وهو الإيمان حسب تسليم الآباء الرسل للكنيسة، وهذا ما نقول عنه الإيمان الكنسي.

فالكنيسة ليست مجرد جدران وتنظيمات، ولكن الكنيسة هي وجود المسيح ومن خلاله يتم تلاقي الزمن الذي نعيشه في اللازمن اللاهوتي، تلاقي المادة مع الروح، تلاقي الأرض بالسماء في المسيح.

لذلك يقول **القديس ميثودوثيوس الأولمبي**: "تنمو الكنيسة يوماً فيوماً في القامة والجمال خلال نقاوتها واتحادها مع اللوغوس الذي ينزل إلينا حتى الآن ويستمر نزوله إلينا في ذكري آلامه في القداس". فهو يقول إن الكنيسة تنمو دائماً من خلال حلول المسيح ووجوده معنا لذلك **نقول في القداس**: "هوذا كائن معنا على هذه المائدة عمانوئيل"، وهذه هي قوة الكنيسة. فالكنيسة هي أشخاص مجتمعة في وجود المسيح نفسه. ثم لن يخرجوا أفراداً بل سيدخلون في حالة اتحاد شخصي معه وهذه هي قوة الكنيسة.

لذلك يقول **القديس إيريناؤس**: "أننا نحن موضوع الرمز والنبوة في العهد القديم إذ أن أبرار الناموس يجدون صورتهم في الكنيسة وينالون فيها أتعابهم". فكل أشخاص العهد القديم ينظرون إلى الكنيسة ويجدوا اشتياقاتهم فيروا المسيح المذبوح هو ذبيحتهم الرمزية، والكهنوت في الكنيسة هو كهنوتهم الرمزي. ولكن كانت اشتياقاتهم هذه غير محققة فقد كانت كل آمالهم إنهم يقتربوا فقط من قدس الأقداس ولم يستطيعوا، أما في الكنيسة ينفتح الحجاب ونرى قدس الأقداس، ونرى المذبح، ونرى الذبيحة، ونرى المسيح نفسه قائم، ونرى الروح القدس

يحل. ثم ندخل في شركة حقيقية مع السماء، والمسيح نفسه يحل ويتحد بنا.

في إحدى القصص يحكوا عن زعيم قبيلة - وهذه القبيلة كانت قد قبلت المسيحية- كان يشعر إنه أعلى من كل القبيلة. وكان في وقت القداس الأب الكاهن يصلي، وكان الشعب يقف في الخلف، ولكن زعيم القبيلة كان يقف عند الهيكل بالقرب من المذبح. وفجأة وجدوه ركض ورجع إلى أخر الكنيسة. وبعد القداس سأله الأب الكاهن: "ماذا حدث؟" فقال له: "وقت حلول الروح القدس وجدت المذبح كله كأنه كتلة نار فخفت أن أحترق فرجعت إلى الخلف".

ويقول **القديس أوغسطينوس**: "حينما كان السيد المسيح منظوراً على الأرض كانت الكنيسة مختفية فيه، يفعل كل شيء لحسابها. والآن صعد إلى السماء وصار مختفياً في الكنيسة جسده، لتعمل هي كل شيء باسمه ولحسابه". فنحن لم نعد نحيا لحسابنا الشخصي، كل ما نفعله يكون لحسابه. **ويقول أيضاً**: "الكنيسة سماوية بل هي السماء، لقد قادنا المسيح مرتفعاً بنا إلى السماء، وأظهر لنا أنه قد صارت لنا عوض الهيكل القديم".

ويقول **القديس كيرلس الكبير**: "الكنيسة هي المدينة المقدسة التي تتقدس لا بحفظ الناموس ولكن بالاتحاد بالمسيح"، أي عبادة مسيحية ليست فيها اتحاد بالمسيح لا يمكن أن تخلص.

الكنيسة يقول عنها **القديس أغريغوريوس النيصي**: "أن تأسيس الكنيسة هو إعادة خلقة العالم مرة أخري"، بينما هو خلق الإنسان في الفردوس ولكنه سقط، فصارت الكنيسة هي الفردوس الجديد، وصرنا نحن نخلق من جديد في الكنيسة.

الأسرار والخلقة الجديدة

وهذه الخلقة الجديدة تتم داخل الكنيسة. فالإنسان الذي يريد أن ينال الخلاص يدخل الكنيسة فيخلُص، وهذا كما كان في أيام فلك نوح، فمن يدخل الكنيسة ويموت مع المسيح في سر المعمودية ينال الخلاص.

وبذلك يؤهل أن يكون فيه سكنى روح الله. فيأخذ سر تثبيت الروح القدس من خلال الميرون، فيعمل فيه روح الله بقوة ليُغيرها من صورة العالم إلى صورة وملامح المسيح له المجد، ويظل يجدده بعمل النعمة وينقيه من الخطايا التي يرفضها، ويعلن رفضه لها من خلال سر التوبة

والاعتراف الذي فيه أيضاً يؤكد على عدم وجود شركة بينه وبين مملكة الظلمة. وهكذا يصير مؤهلاً أن يكون عضواً في جسد الرب بالإفخارستيا، ويصبح من الكنيسة الممجدة.

وفي الكنيسة نجد الله يُعيد الإنسان إلى مجده الأول ويُزيل كل نتائج الخطية كما سنرى في الآتي:

١. الخطية أدخلت الموت إلى الإنسان ولم يعد يحيا مع الله، والمسيح يُعطي الحياة من جديد بالمعمودية من خلال الكنيسة.

٢. الخطية أحدثت فساداً للطبيعة البشرية، والمسيح يُعطي ذاته على المذبح ليتحد به المؤمن من خلال الإفخارستيا التي في الكنيسة.

٣. الخطية أحدثت عداوة، والمسيح أرسل روحه ليسكن داخل النفوس التي اعتمدت، فيموت العتيق ويحيا الجديد الذي يمكن لروح الله أن يسكن فيه بالميرون وهذا لا يُعطى إلا بسلطان الكنيسة.

٤. الخطية أحدثت تشتتاً لوحدة البشر، والمسيح جعلنا واحداً فيه، ومن خلال روحه القدوس صارت لنا إمكانية الحياة الواحدة والفكر الواحد من خلال الكنيسة. هذا الذي رأيناه بصورة ألسنة نار جعلت كل اللغات مفهومة في يوم الخمسين، وبالإفخارستيا تتم

وحدتنا على المذبح. حتى وإن كنا مختلفين في اللون واللغة والجنس.

٥. الخطية صنعت انفصالاً بين السماء والأرض، والمسيح شق الحجاب الفاصل وصارت لنا السماوات مفتوحة، وفي الكنيسة نُحسب في السماء.

٦. بالخطية لم يعد الله يملك على قلب وحياة الإنسان، وبالمسيح أصبح الله هو الملك الحقيقي وملكوته كائن في الكنيسة وثابت في أحضانها.

وهكذا صرنا بالكنيسة في شبهه، وفي شبهه صرنا كنيسته

ويكون قانون تدبير الخلاص العام هو أن العهد القديم يكتمل في المسيح، وأن السيد المسيح يُعطى في كنيسته.

فالعهد القديم يُظهر الاحتياجات والضعفات، وصورة الإنسان الساقط. ونسمع فيه اشتياقات الخلاص والوعود والنبوات الخلاصية، ونرى معاملات الله عبر الزمان وكيفية الحياة معه على مستوى الرمز. ثم يأتي العهد الجديد ليُحقق الخلاص بالسيد المسيح له المجد، ويُعيد الحياة المفقودة، ويسدد الاحتياجات ويرفع الضعفات. فصورة الإنسان

الذي بلا رجاء في العهد القديم تختفي في الجديد بالمسيح، واشتياقات الخلاص والوعود والنبوات تتحقق بالمسيح، والرموز التي بلا قيمة تأخذ قيمتها من ارتباطها به. وإرادة الله الآب تكتمل من خلاله، بل إننا نصير محبوبين فيه.

وإن كان السيد المسيح له المجد فعل كل هذا لكل من يتحد به. ولكن يبقى سؤال هام عن كيفية تحقيق هذه الأمور الخلاصية على مستوى شخصي... كل هذا يتم من خلال **الكنيسة**، فكل ما للمسيح أُعطى للكنيسة لكي بالروح القدس تُعطي إمكانيات الخلاص والفداء. لذلك فإن الكنيسة هي مجد المسيح وبره وتبريره فيها، كل حبه للبشرية، قوته وعمله. وبهذا يكون الرمز في العهد القديم يتحقق في المسيح، وكل ما للمسيح يتحقق في الكنيسة. وبذلك يتم الخلاص لكل شخص.

والكنيسة حسب تعبير الآباء الرسل إنها واحدة وحيدة جامعة رسولية، وهذه هي كنيسة العهد الجديد، **واحدة وحيدة** لأن ربنا يسوع المسيح سلم كنيسة واحدة ولم يسلم كنائس مختلفة. **وجامعة** لأنها كنيسة تضم كل العالم بمعنى أنها لا تخضع لسلطان مرتبط بدول أو

أماكن جغرافية ولكنها كنيسة تجمع العالم كله الذي جاء السيد المسيح لكي يخلصه.

ورسولية لأن إيمانها مبني على إيمان الرسل وسلطانهم، فحينما سلم السيد المسيح الكنيسة لهم سلمها بسلطان محدد يقول:

"دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"
(مت ٢٨: ١٨، ١٩)

إذن سلطان المسيح أعطاه للرسل للتلمذة والتعليم وإعطاء الحياة الجديدة من خلال المعمودية لذلك فهي تدعى رسولية.

والكنيسة التي لا تبنى على سلطان الرسل لن تكون كنيسة قد تكون جامعة لها فكر، أو مجموعة تجتمع بصورة ما تنشد ترانيم وتفسر الكتاب المقدس ولكنها ليست كنيسة. فالكنيسة هي من لها سلطان أي قوة ربنا يسوع المسيح بالروح القدس التي أعطاها للتلاميذ هذه تعطى في الكنيسة فقط.

فالكنيسة هي التقاء الله بالإنسان، كان في العهد القديم يلتقي بهم ولكن خلف حجاب، وفي العهد الجديد يتحد بهم بصورة مباشرة، لذلك

الكنيسة لها شقين، شق إلهي الذي له سلطان الخالق، والذي أعطى عمل الخلاص للكنيسة. والشق الأخر هو الشعب الذي يدخل الكنيسة لكي يأخذ نعمة العهد الجديد وقوة الروح القدس.

فالكنيسة على مستوى الناس هي الواحدة الوحيدة التي أعطاها المسيح قوة الحياة الجديدة، يقول:

"فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"

(مت ٢٨: ١٩، ٢٠)

والوصايا هي تعليم الرسل من فم المسيح، ونحن نأخذ هذا من داخل الكنيسة فقط، ويقول معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس:

"احفظ الوديعة" (١تي ٦: ٢٠)

ويقول مرة أخرى لتلميذه تيطس:

"من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة، وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك"

(تي ١: ٥)

إذن هي ليست مجرد أفكار ولكنها تعاليم محددة من السيد المسيح للرسل.

والكنيسة هي السماء على الأرض، فأحياناً ننظر للكنيسة أنها جدران ومباني ولكن الكنيسة في معناها الحقيقي هي السماء. لذلك **يقول القديس إيريناؤس:** "لننسى الأرض ونصعد إلى السماء، لندخل إلى خيمة الله حيث دخل يسوع ليعد لنا طريقاً فيظهر أمام وجه الله يشفع فينا".

ويقول **القديس هيلاري:** "الكنيسة حارسة الاستعلان الإلهي، ومستودع كل نعمة. وهي وحدها وريثة الحق، لها وحدها إيمان وعقيدة الرسل والتتابع الرسولي القانوني منهم".

لذلك الكنيسة يتم فيها تحقيق قصد الله في خلقته، فمن خلالها نأخذ قوة وسلطان الروح القدس التي تغيرنا من إنسان ترابي إلى إنسان سماوي. السيد المسيح له المجد قال لنيقوديموس:

"إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥)

فكيف ستأخذ جسد المسيح إلا من على المذبح، ويقول السيد المسيح له المجد:

"إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣)

وكيف تأخذ جسد المسيح من على المذبح إن لم يكن هناك كاهن؟! والكاهن يأخذ سلطانه الذي به يتمم وظيفته الكهنوتية من المسيح نفسه. لذلك يقول معلمنا بولس الرسول:

"وهو رأس الجسد: الكنيسة. الذي هو البداءة، بكر من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء"
(كو ١: ١٨)

ويقول مرة أخرى:

"لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب"
(أف ٥: ٢٧)

إذن الكنيسة لها هدف محدد أنها تدخلك إلى الملكوت، فالكنيسة من خلالها فقط تستطيع أن تدخل وتتحد بالمسيح وتعد للأبدية أيضاً. لذلك في سفر الرؤيا يقول:

"وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: "هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ ٢١: ٢، ٣)

فالكنيسة هي أورشليم على الأرض، وهذا ما تعمله لنا الأسرار الكنسية، فيقول **القديس إكليمندس السكندري**: "الكنيسة هي ممارسة الحياة السمائية، وعضويتها الحقيقية تتمثل في المعرفة الروحية، وإدراك الحق الكنسي، والتأمل في مسيح الكنيسة بلا انقطاع". ويقول **القديس إيريناؤس**: "لا شركة لنا مع المسيح إلا في الكنيسة".

يقول **البابا أثناسيوس الرسولي**: "الكنيسة هي شعب الله المختار الذي يقوده الله نحو أرض الموعد. ففي الكنيسة وحدها نقبل عطية الروح القدس الذي يعطى للمؤمنين حياة من خلال الأسرار السمائية". فيدخل الإنسان الكنيسة إنساناً عادياً يصطبغ بالمعمودية ويموت مع

المسيح ثم يقوم، كما قال المسيح له المجد لنيقوديموس يولد من جديد . وبذلك أصبح مهيأ للملكوت، ثم يمتلئ بالروح القدس في سر أخر، وبعد أن يتحد به في الإفخارستيا يمارس حياته السمائية في الكنيسة يتعلم ويحيا ويخرج إلى العالم الخارجي والملكوت في داخله .

لذلك الكنيسة بالنسبة لنا هي كل شيء، هي الحياة الجديدة، وهي الأبدية، وهي الوجود الأرضي مع المسيح، وهي أيضاً الرجاء الذي ننتظره. إذن الكنيسة بالنسبة لنا هي وجودنا في المسيح، وهذه هي قوة الكنيسة .

وأحياناً يظن البعض أن الكنيسة رؤية بشرية، وأنها منظمة بشرية . ويظنوا أن طقوس الكنيسة بأنظمتها بالقداس والأجبية، والأيقونات هي مجرد ترتيبات مثل أي ترتيب. وهناك من يظن أن الكنيسة تدار بعلم إدارة وبصورة معينة تخضع لنظريات وأفكار بشرية. والحقيقة أن الكنسية هي منشأة إلهية، وتدبيرها تدبير إلهى .

☆ الأسفار التى تغطي هذه المرحلة

بعد صعود السيد المسيح لـه المجد تغيرت صورة العالم والإنسان، وأصبح لنا بالمسيح إمكانية الحياة المباشرة مع الله في الكنيسة. وبقي للبشر أن يتم التغيير الداخلي والشخصي لكل واحد من المؤمنين. فكنيسة المسيح صاحبة الإيمان القويم هي وحدها محل سكنى الروح القدس، ومركز عمله، لذلك نرى في **سفر أعمال الرسل** عمل الروح القدس في بناء الكنيسة وانتشارها.

فبعد الصعود مكث الرسل عشرة أيام في صلاة واستعداد لقبول الروح القدس. وحينما حل عليهم في يوم الخمسين، اهتز المكان إعلاناً عن ميلاد الكنيسة وملكوت الله في العهد الجديد، الذي يتشكل بملامح المسيح وصورته. ويروي لنا سفر أعمال الرسل انتشار الملكوت في أورشليم واليهودية، ثم إلى أقصى الأرض من خلال كرازة الآباء الرسل وخاصة معلمنا القديس بولس الرسول.

وبعد بناء الكنيسة التي هي ملكوت الله على الأرض، يعطينا الكتاب المقدس تفصيلات أكثر عن بناء الكنيسة، إيمانياً وتنظيمياً أو رعوياً من خلال **رسائل بولس الرسول الأربعة عشر، ورسالة ماريعقوب الرسول، ورسالتي ماربطرس، ورسائل ماريوحنا الثلاثة، ورسالة ماريهوذا.**

وبعدما نتعرف على كنيسة العهد الجديد ونفهم لاهوتها وكيف نحيا فيها، ينقلنا الوحي إلى المرحلة الأخيرة من التدبير وهي رحلة الحياة الأبدية وذلك في **سفر الرؤيا** وهو سفر النبوة الوحيد في العهد الجديد إذ يُخبرنا عن صورة الكنيسة في الأبدية. وهو سفر مفرح لأنه يكلمنا عن فرح السماء ومجد الأبدية بأسلوب رمزي راقٍ يكشف لنا عن صورة الأبدية وانتصار ملكوت الله بالمسيح ونهاية الشر ومملكة الظلمة، ومجد الذين ساروا مع الله من كنيسة العهد القديم والجديد. وفيه نسمع نغمات التسبيح ونستشعر شروق اليوم الثامن الذي هو الأبدية السعيدة.

لتنتهي القصة برجاء الفرح الأبدي، ومجد الأبرار في ملكوت أبيهم السماوي، وحبيبهم الذي مات عنهم وقام وصعد ليُعد لهم مكاناً، وها هو يرد النفوس المنتظرة للحياة الأبدية – من آدم إلى نهاية الدهور – إلى أحضانه. ويكشف عن شجرة الحياة التي يحرسها الشاروبيم منذ السقوط لتُعطى للغالبين في السماء.

وبفرح السماء ومجد الأبرار في الملكوت تختتم قصة التدبير لتترك فينا مشاعر الرجاء في الأبدية، وتظل العيون مرفوعة نحو السماء،

لتعطي القصة النهاية المفرحة. ولنعرف حل القضية الصعبة ومعنى الوجود الذي فُقد ثم عاد بالمسيح ليكتمل في الأبدية السعيدة في السماء .

والآن ...

وكأنني أسمع صوتك يا عزيزي القارئ في تنهد بالغ القوة يخرج من أعماقك مع أعماقي أنا أيضاً، حينما نتذكر تدبيرات الله الثلاثة من خلقة، ثم عمل الخلاص، ثم آفاق الأبدية. فإننا نصرخ في داخلنا من فرط المحبة القوية التي غلبت الموت ووهبت الحياة.

نعم يا أحبائي...

كل هذا لأجلي ولأجلك،

كل هذا الطريق، وهذه الآلام

لأجل الابن العاصي

الذي جعل أباه يجري

في الغابات والقفار والجبال

ليبحث عنه...

يقلب الصخور،

ويدخل إلى الطرق الوعرة

ليجذبه بمحبة الآب إلى أحضانه.

وحينما يجده...

يرفعه إليه ليضمد جرحه،

أما هو فكان يوافق مرة،

ومرات يصر على عصيانه

ولكن الأب لم يتركه ...

بل ظل بحنان يهدهد ويحتضن

وإذ لم تصلح هذه الطريقة

يحاول بالعصا والعكاز.

ثم يرجع يحمل على الأكتاف.

إلى أن مر زمان العصيان

وانكشفت رؤية البشرية

على مسيحها الحنون.

فبعد جهل الخطية وعتامة الظلمة

رأينا الله بوجهه المشرق في النفوس،

وانفتحت عيوننا عليه

وهو يُصلَّب ويُهرق جسده ويسُفك دمه،

لكنه قام ليقيمنا،

وصعد ليُصعدنا،

بل وأرسل روحه

لكي نتحد به إلى الأبد.

نعم يا صاحبي...

إلى الأبد...

أرجوك ألا تصمت الآن...

وأنت تشعر بمشاعر الحب

الجارف الذي لمسيحنا...

أرجوك أن تخرج من ذاتك

مع الملائكة تسبحه

وترفعه وتزيده علواً

لأنه أحبنا إلى الحد

الذي لا يمكن لأحد

إلا أن يحبه حينما يعرفه

تعالوا معي...

لننضم إلى هذه السيمفونية الرائعة

سيمفونية التدبير الأبدي

لنكون حرفاً

في منظومة الحب

التي تنطق بها كلمات الكتاب المقدس

والتي صنعت وتمت ...

على مستوى شخصي لي ولك

يا صاحبي...

إن كل ما فات هو لي ولك

نعم...

كل التدبيرات وكل النبوات وكل الآلام

وكل الحب المقدم من اللـه

هو لكي نصير في النهاية

نحن موضوع الحب...

لنكون أبناءه الذين نحمل ملامحه واسمه

وشخصه المبارك له المجد إلى الأبد...

آمين...

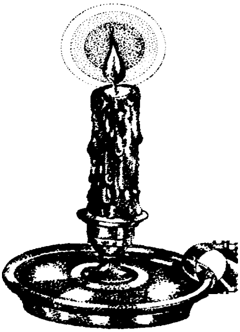

المحتويات

مقدمة ٧

الفصل الأول: محور القصة ورؤية عامة للتدبير ١١

الفصل الثاني: قصة الإنسان ٤١

الفصل الثالث: تشتيت العالم والبحث عن آلهة مادية ٧١

الفصل الرابع: إعلان الله عن ذاته من خلال شعبه ١١٩

الفصل الخامس: الملكوت في مملكة إسرائيل ٢٨٣

الفصل السادس: الملكوت الرمزي في انتظار الحقيقي ٣٦١

الفصل السابع: الملكوت الحقيقي للإنسان في الإنسان ٣٩٥

الفصل الثامن: الكنيسة ملكوت المسيح على الأرض ٤٢٣

مؤلفات الكاتب

أولاً: مجموعة كتاب مقدس

- يوميات مع كلمة الحياة:

١ . سفر التكوين نفذ

٢ . سفر الخروج نفذ

٣ . سفر عزرا نفذ

٤ . سفري أخبار الأيام الأول والثاني نفذ

٥ . سفر هوشع نفذ

٦ . سفر نشيد الإنشاد "سيمفونية الحب الإلهي" بالمكتبات

٧ . إنجيل لوقا بالمكتبات

- تدبير الخلاص (الطبعة الخامسة منقحة ومزيدة) بالمكتبات
- من يطعن في النور (الطبعة الخامسة) بالمكتبات

ثانياً: مجموعة الكنسيات

- وجود الله وصور الإلحاد (الطبعة الرابعة) بالمكتبات
- نحيا بموته (الطبعة الثانية) نفذ
- فكر وروحانية الصلاة بالأجبية (الطبعة الثالثة منقحة) بالمكتبات
- التقليد (الطبعة الثالثة) بالمكتبات

- يوميات الكنيسة ... (الطبعة الأولى) بالمكتبات

١ . شهر توت (عام ٢٠٢٠م)

ثالثا: مجموعة الكتب الروحية:

- كن جاداً مع الله (الطبعة الثامنة) بالمكتبات
- لك قلبي كرسه (الطبعة الثالثة) بالمكتبات
- أنا هو الطريق (الطبعة الثالثة) بالمكتبات
- نكون للمسيح أو لا نكون (الطبعة الثالثة منقحة) بالمكتبات
- بالمسيح أغلب (الطبعة الثانية) بالمكتبات
- مع المصلوب لأجلي (٢٠٢٠م) (الطبعة الأولى) بالمكتبات
- فلسفة الحياة ...

١ . مع الله (الطبعة الأولى) بالمكتبات

٢ . مع الذات

- الجزء الأول (الطبعة الأولى) بالمكتبات

الجسد والنفس والروح

- الجزء الثاني (الطبعة الأولى) بالمكتبات

الشخصية الإنسانية

- الجزء الثالث (الطبعة الأولى) بالمكتبات

الذات بين وصايا الإنجيل ونظريات علم النفس

(تكوينها – أمراضها – الشفاء)

رابعاً: مجموعة الكتب النفسية والاجتماعية

- الحياة في عالم مضطرب:

١ . الخوف (الطبعة الثالثة) بالمكتبات

٢ . القلق (الطبعة الرابعة) بالمكتبات

٣ . الغربة (الطبعة الثانية) بالمكتبات

٤ . الحياة والموت (الطبعة الثانية) بالمكتبات

خامساً: مجموعة القصص

- حينما تزوج الملك (الطبعة الخامسة) بالمكتبات
- الفجر يشرق رغم الليل أحياناً (الطبعة الثانية) بالمكتبات

سادساً: تاريخ الكنيسة

- ملامح من رحلة العائلة المقدسة (الطبعة الأولى) بالمكتبات
- تاريخ الأقباط في الستة القرون الأولى (الطبعة الأولي) بالمكتبات

Seventh: English Translated Books:

- By His Death We Live
- Planning of Salvation
- Countenance from the Journey of the Holy Family and the Cavern Church